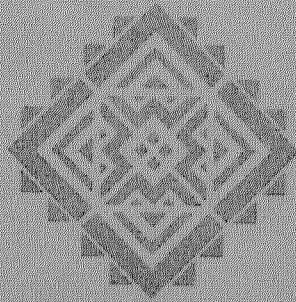
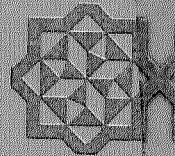
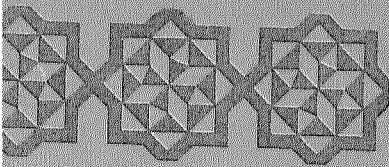


دراسات إسلامية



السِّيَرُ الْمَلَكِيُّ لِحَمْدِ بَيْتِ الْحَرَامِ

قطب إبراهيم محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب



دراسات إسلامية

السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

قطب إبراهيم محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨

الاخراج الفنى : م . ماجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

دعاني لاختيار موضوع هذا الكتاب وهو عن « السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز » الرغبة في تقديم نموذج اسلامي متكامل لسياسة مالية عامة حققت ازدهار الوطن ورفاهية الشعب واستقرار المجتمع نتيجة لما اتسم به رئيس الدولة من تقوى وعلم وعدل وزهد في الأموال العامة واختيار مستشاريه وتعيين ولاته وعماله على أساس المقدرة والكفاية . فلما رجعت الى ما كتب عن سيرة عمر بن عبد العزيز تبين أنها حظيت باهتمام الكثير من الكتاب غير أن ما خص منها السياسة المالية العامة للدولة قليل ، لا تكتمل معه عناصرها من إيرادات عامة للدولة ونفقات عامة وإدارة مالية توجه كلا من الإيرادات والنفقات لتحقيق الأهداف العامة .

وربما كان عذرهم في ذلك أن مناقشة السياسة المالية في عهد من العهود تتطلب تخصصا في الفن المالي يتمكن معه الكاتب من دراسة الوقائع التاريخية لذلك العهد وتحليلها واستنباط ماله منها علاقة بالمال العام وترتيبها وإدراجها داخل الإطار الفني للسياسة المالية ثم مقارنتها بالسياسات المالية السابقة وتتبع طرق تطبيقها وما أسفرت عنه من نتائج ومدى مساهمة هذه النتائج في تحقيق المصالح العليا للدولة ورفاهية الشعب . وللوصول لصورة متكاملة عن السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز وضعت هذا الكتاب فبدأت بتحديد عناصر السياسة المالية العامة الإسلامية وتحليل عام للسياسات المالية للخلفاء الراشدين وما طرأ عليها بعدهم من مخالفات وتجاوزات في عهد خلفاء

بنى أمية السابقين لعهد عمر بن عبد العزيز ثم تسلسلت فأوضحت كيف آلت الخلافة اليه ولم يكن راغبا فيها واخترت ماله صلة بسياسته المالية من أقواله وبلورتها وانتهيت الى أنها سياسة للإصلاح المالي اقترنت بسياسة للإصلاح الاقتصادي ، وتتبع تطبيق هذه السياسة على الإيرادات العامة للدولة الإسلامية في عهده إيرادا وإيرادا وكذلك على النفقات العامة سواء أكانت مخصصة وهي نفقات الزكاة وخمس الغنائم أم مطلقة وتمول من إيرادات الجزية والحراج وعشور التجارة ثم أوضحت كيفية امتداد تيار الإصلاح العام لإدارة المالية العامة وأن ذلك كان بترشيده عمالة الدولة وقيام الإدارة على المبادئ الفاضلة والقذوة الحسنة التي بدأها رئيس الدولة بنفسه فزهد وعائلته في الأموال العامة ودقق في اختيار مستشاريه وعين ولاته وعماله على أساس الكفاءة المطلقة وألبس نشاط المالية العامة للدولة رداء التقوى فاقبدي فيها بالرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وأقامها على المشورة وأحاطها بالعدل وقادها بالرفق والتيسير على الرعية فحققت فيض الأموال وكفلت غنى الشعب وكفاية الفقير وأعزاز المسكين في ظل نظام عادل وشامل للعطاء وسياسة حازمة لرد المظالم أنصفت المظلومين من الظالمين فردت الحقوق المغتصبة الى أهلها وبذلك حققت السياسة المالية الازدهار وأشاعت الأمن والاستقرار في عهده .

هذا وقد تتبعت سياسته المالية بعد وفاته وأوضحت أن بعض خلفاء بنى أمية بعده حادوا عن سياسته ، فعادت اليها تجاوزات ومخالفات ساهمت في نهاية حكم الأمويين .

ولما كانت سياسة الإصلاح المالي التي وضعها «عمر بن عبد العزيز» جديرة بأن تتخذ نموذجا يهتدى به في العصور الحديثة لانجاح سياسات الإصلاح المالي التي تقوم بها الدول لإزالة ما أصاب مالياتها العامة من عجز وخلل في التوازن وما اعترأها من تجاوزات ومخالفات في التطبيق فلذلك شخصت ثغرات الماليات العامة الحديثة وأوضحت ما يمكن اقتباسه من مسالك الإصلاح التي سلكها عمر بن عبد العزيز في القرن الأول من الهجرة لعلاج مثل هذه الثغرات بعد تطويرها لتلائم أوضاع المالية العامة لكل دولة .

ولما كانت سلوكيات عمر بن عبد العزيز وسياساته محل تنويه رؤساء الدول والحكام والأئمة والكتاب والشعراء على مر العصور ، فقد ختمت الكتاب بشهادات صدق صدرت منهم وبذلك يكون لدى القارئ نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة إسلامية اعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .

هذا وقد راعيت في صياغة الكتاب تجميع أقوال وأعمال
عمر بن عبد العزيز وصنفتها ووضعتها في سياسات عامة فرعية منبثقة
من سياسته المالية لتكون هاديا ومرشدا لمن يضعون السياسات المالية
للأمة ولن ينفذونها •

وأفرغت ما ورد بالكتاب في القوالب الفنية للمالية العامة الحالية
تحيثا للتراث وتحقيقا لسهولة الاقتباس منه والانتفاع به •

كما دعمت وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى
الله عليه وسلم كلما لزم الأمر باعتبارهما من مصادر المالية العامة
الاسلامية •

وفي ضوء ما سبق حوى الكتاب أبوابا ثمانية وبكل باب
فصلان •

ويعتبر هذا الكتاب رابع الكتب التي صدرت لي عن السياسة المالية
في عهود مختلفة فالأول عن « السياسة المالية للرسول صلى الله عليه
وسلم » هدف الى إبراز وتتبع مرحلة تأسيس المالية العامة الاسلامية •

والثاني وهو عن « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » رضى الله
عنه • هدف الى ايضاح مرحلة نمو وتطور المالية العامة الاسلامية •

والثالث وهو عن « السياسة المالية لعثمان بن عفان » رضى الله
عنه هدف الى اظهار حركة المالية العامة الاسلامية في مواجهة فتنة كبرى
وقعت في عهد ثالث الخلفاء الراشدين وأدت الى مقتله •

وهذا الكتاب وهو عن « السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز » رضى
الله عنه يبرز كما ذكرنا مرحلة اصلاح مسار المالية العامة الاسلامية
وارجاعها الى النبع الأول وهو نبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين من بعده •

فاذا كنت بذلك قد قدمت عملا طيبا وعلما نافعا فليقبله الله
ويباركه •

● وما توفيقى الا بالله ●

المؤلف

قطب ابراهيم محمد

الباب الأول

السياسة المالية للدولة الإسلامية قبل عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

عموميات عن السياسة المالية للخلفاء الراشدين

عناصر سياسة المالية العامة الإسلامية :

عناصر أى سياسة للمالية العامة هى :

- إيرادات عامة تفرضها وتجيئها الدولة .
- نفقات عامة توجهها الدولة لمصلحة الرعية .
- ادارة الدولة لايراداتها ونفقاتها العامة لتحقيق أهدافها العامة .

وفى المالية العامة الإسلامية تدار هذه العناصر فى اطار من أحكام الشريعة الإسلامية وتحقق اهداف المجتمع الإسلامى .

مسار السياسة المالية قبل « عمر بن عبد العزيز » :

قامت الدولة الإسلامية بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فأدار الدولة بسياسات عامة إسلامية ومنها سياسة المالية العامة ، ولما خلفه الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ساروا على هدية فى ادارة المالية العامة للدولة ، ولما خلفهم امراء بنى أمية اعترى مسار السياسة المالية بعض التجاوزات ، غير أنه لما تولى عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه امارة الدولة الإسلامية جدد سياستها المالية وعدل مسارها الى ما كان عليه فى عهد الخلفاء الراشدين ، ونورد فيما يلى عموميات عن مسار السياسة المالية فى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم متناولين كل عنصر من عناصرها ثم نوضح ما وقع من مخالفات فى مسار السياسة المالية فى عهد امراء بنى أمية قبل « عمر بن عبد العزيز » .

مسار السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين

الإيرادات العامة :

– كانت الإيرادات العامة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هي الزكاة وخمس الغنائم والجزية وخراج الأرض وما تطوع به المسلمون من أموال للجهاد في سبيل الله وفي عهد « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه تحقق للدولة إيراد جديد من فرض عشور التجارة .
وفيما يلي كلمة عامة عن كل إيراد .

الزكاة :

فرضت الزكاة بالقرآن الكريم بأكثر من آية وحدد الرسول صلى الله عليه وسلم تفاصيلها فأوضح فئاتها والأموال الخاضعة لها وشروط استحقاقها وحدود وحالات الإعفاء منها ومواعيد أدائها وطرق تحصيلها وعقوبات المتخلفين عن سدادها وغير ذلك من الأوضاع المتعلقة بها ، وبذلك تركها صلى الله عليه وسلم محددة الأوضاع واضحة المعالم كاملة التفاصيل .

وجاء الخلفاء الراشدون من بعده فالتزموا في أمور الزكاة بما ورد بالقرآن الكريم وبسنن الرسول ، وفي عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه أراد بعض المرتدين أن يوقفوا مسار فريضة الزكاة بدعوى أنها إنما كانت تؤدى للرسول صلى الله عليه وسلم وبأنه سيقطع فرضها بصعوده الى الرفيق الأعلى ، فعاربهم أبو بكر وانتصر عليهم وعادت الزكاة الى مسارها الذى كانت عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت تعرض للخلفاء الراشدين حالات للزكاة مستحدثة فيفتون فيها استنتاجا من آيات الله وسنن رسوله ، وزادت حصيلتها في عهدهم ونمت نتيجة لانتشار الاسلام ودخول الناس في دين الله أفواجا وأدائهم لما فرض الله عليهم من زكاة وباعتبارها أحد أركان الاسلام الخمس .

خمس الغنائم :

فرض الله الجهاد على المسلمين وأحل الله لهم الغنائم ، ينالونها من الأعداء وتوزع عليهم بعد النصر على أساس أربعة أخماس للفاتحين والخمس

لبيت المال ليوزعه رئيس الدولة طبقا لآية الخمس لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . قاد الرسول صلى الله عليه وسلم الغزوات وأرسل السرايا للجهاد في سبيل الله بعد أن خطط لها تخطيطا محكما فتحقق النصر وانتشر الاسلام ، ونظم جمع الغنائم وأوضح قواعد توزيعها . ومن بعده استمر الخلفاء الراشدين في نشر الاسلام ورفرفت راياته على كثير من البلاد فاتسعت ارجاء الدولة الاسلامية وزادت مواردها العامة ومنها الغنائم التي كان يؤول خمسها لبيت المال حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكى عندما فاضت الغنائم في عهده خشية أن يكون الله أراد بفيض الأموال أن يستحنه ويختبر قوة ايمانه ، وقد ألحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالغنائم الركاز وهو ما يوجد في باطن الأرض من المعادن فاذا غنمها المسلم وجب فيها الخمس لبيت المال وسار الخلفاء على هدى رسول الله وافتوا فيما عرض عليهم من حالات استنادا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الجزية :

لم تفرض الجزية في أول الدعوة الاسلامية انما فرضت في السنة التاسعة من الهجرة حين نزلت « براءة » متضمنة آية فرض الجزية وهي :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٩) .

وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم من أهل الكتاب يدعوهم الى الاسلام فان أبوا فالجزية ، وبذلك كان يوصى أمراء جيوشه وسراياه ، وان أبوا دفع الجزية حل قتالهم ، أما ان استجابوا لأداء الجزية أصبحوا في ذمة المسلمين لهم الأمان على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم .

وفرضت الجزية على الرجال ولم تفرض على النساء والأطفال لأن الرجال هم الذين يقاتلون عادة والنساء والأطفال لا يقاتلون ، وأعفى من الجزية من لا يستطيع من الرجال القتال كالأعمى الذي لا حرفة له والمساكين والشيخ الكبير الذي لا شيء له وإذا أسلم الكتابي تسقط عنه الجزية استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » ولم تكن فئات الجزية واحدة في جميع الأوقات وفي جميع البلاد ،

فقد كانت معاهدات الصلح بين المسلمين وأهل الكتاب تتضمن فئات للجزية محددة طبقا لطاقة أهل الذمة ودرجة يسارهم واختلفت هذه الفئات في عهود الخلفاء الراشدين ، فقد جعلها عمر بن الخطاب مثلا متصاعده طبقا لدرجة يسار الرجال من أهل الكتاب فجعلها اثني عشر درهما على الشخص العادي ، وأربعة وعشرين درهما على متوسط اليسار ، وثمانية وأربعين درهما على الغنى ، وكانت الجزية في عهد الخلفاء الراشدين تؤخذ نقدا أو عينا كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يصاحب التحصيل حسن المعاملة وتحقيق العدالة تنفيذا لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ظلم أهل الذمة فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقتة فأنا حجيجه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا » وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند وفاته « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم » .

الحراج :

الحراج هو ما يوضع من الضرائب على الأرض الزراعية للدولة بعد الفتح وبقي عليها أصحابها .

وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نصره الله على يهود خيبر وآلت أرضهم للمسلمين فقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المقاتلين من المسلمين ودفعها الى أهل خيبر لا ليملكوها ولكن ليعملوا فيها ويؤدوا النصف من الزرع والثمر كخراج .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه انتصر المسلمون في فتوحات اسلامية كثيرة وحصلوا على غنائم كثيرة . منها أراضى زراعية فرأى الخليفة عدم تقسيم الأرض واعتبارها ملكا عاما للدولة الاسلامية ويفرض الخراج عليها للاتفاق من حصيلته على متطلبات الدولة الجديدة كحراسة ثغورها التي امتدت واتسعت بعد الفتح ، طالب الفاتحون بالتقسيم وأيدهم بعض الصحابة ، لكن أمير المؤمنين استشار جماعة مجتهدي الأمة فاعتمدت رأيه وأقرت فرض الخراج فأرسل من مسح الأراضى وفرض عليها الخراج مراعىا في تحديده درجة جودة الأرض وأنواع الزرع وسهولة أو صعوبة ريعها وبذلك تدفق مال الخراج على بيت المال .

ومما يتصل بالأرض ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من
اقتطاع أرض مملوكة للدولة الإسلامية دون مقابل للمسلمين ليعمروها ،
وقد أقطع الخلفاء الراشدون من بعده الأرض للتعمير على أن ترد للدولة
خلال ثلاث سنوات إذا لم تعمر ، وقد توسع عثمان بن عفان رضى الله
عنه فى اقتطاع الأرض •

ومما يتصل بالأرض كذلك حمى الأرض أى أن تمنع عن الناس
الأرض العامة التى ينبت فيها الكلاً نباتاً طبيعياً دون جهد من أحد فلا يرعوا
فيها أنعامهم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا حمى الا لله
ورسوله » وطبق الخلفاء الراشدون المبدأ فلم يحرم عمر بن الخطاب الأرض
الا للخيل الغازية فى سبيل الله ولا بل الصدقة ، وطبق من بعده عثمان
وعلى رضى الله عنهما نفس المبدأ •

عشور التجارة :

وهى ضريبة فرضها عمر بن الخطاب على التجار غير المسلمين الذين
يمرون بموانئ الدولة الإسلامية •

النفقات العامة :

النفقات العامة للدولة الإسلامية اما أن تكون مخصصة لها بعض
الموارد العامة وهى وجوه الانفاق من الزكاة ووجوه الانفاق من خمس الغنائم
وأما أن تكون عامة تمول من باقى الموارد العامة للدولة ونوضح فيما يلى
هذه الأنواع :

الانفاق من الزكاة :

بين الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فى آية « انما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين
وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »
التوبة الآية (٦٠) •

وقد أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النص ضمن ما بلغ
وعمل به فأعان الفقراء والمساكين وأثاب العاملين على الزكاة وألف منها
القلوب للإسلام وأعتق العبيد وأعان الغارمين وأنفق منها فى سبيل الله
وعلى ابن السبيل • وكان يسرع فى اخراجها وحرماها على آل محمد لأنها
من أوساخ الناس ، وقرر محليتها فتؤخذ من أغنياء البلدة وتعطى لفقرائها ،

وأمر المصدقين بأن يصدقوا الناس على مياهم بالعدل ٠٠٠٠٠ الى غير ذلك من حالات التطبيق للزكاة .

وقد سار الراشدون على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في وجوه الاتفاق من الزكاة ، الا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أن لا محل للاتفاق من الزكاة على سهم المؤلفة قلوبهم بعد أن قويت الدولة الإسلامية في عهده وأصبحت في غير حاجة للتأليف واقترض عثمان بن عفان رضى الله عنه من أموال الزكاة لينفق على فتوحات الاسلام على أن يردّها حين ميسره ولا غضاضة في ذلك ما دامت قد أحسنت على سبيل القرض ، وفي عهده أيضا زاد غنى الأغنياء فقام الصحابي أبو ذر الغفاري بدعوى عامة مطالباً الأغنياء بالاتفاق على الفقراء من أموالهم فوق الزكاة المفروضة .

الاتفاق من خمس الغنائم :

يبين الله سبحانه وتعالى مصارف خمس الغنائم في آية « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (الأنفال/ من ٤١) .

ولتطبيق الآية كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل توزيع الغنائم وأيلولة خمسها لبيت المال ينهى عن الغلول وهو ما يأخذه الغازي بحق من الغنائم وكان يقضى بالسلب لقاتل العدو قبل بدء المعركة والسلب هو ما كان على القتييل في الحرب من لباس وما كان معه من سلاح وما كان تحته من فرش . وكان ينفل من صلب الغيمة قبل أن تخمس وكان النفل لدليل أو راع ساعد جيش الاسلام ، كما كان يرضخ للنساء اللائي داوين الجرحى وسقين المجاهدين الماء أى يعطيهم شيئاً قليلاً ، وبعد ذلك يأخذ الخمس لبيت المال ويعطى المحاربين أربعة أخماس الغنيمة فيجعل للفارس سهمين وللراجل سهماً واحداً وفي غزوة حنين جعل للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمين واحداً وكان يقسم الخمس بين المذكورين في الآية وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة حنين للناس أنه ليس له من الغنائم الا الخمس وان الخمس مردود عليهم كما دفع عليه الصلاة والسلام صداق بعض قرابته من سهم ذى القربى .

وقد سار الخلفاء الراشدون على ما كان يسير عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنهم وجهوا سهمه وسهم ذى القربى للاتفاق على الكراع والسلاح في سبيل الله .

النفقات العامة :

النفقات العامة مصدرها الإيرادات العامة غير المخصصة وهي الجزية والخراج وعشور التجارة وتشمل الانفاق على أجور العاملين بالدولة الذين يقومون بأداء وظائفها وتأدية خدماتها العامة والانفاق على الأساكين والدواوين التي يعملون بها كما تشمل الانفاق على المشروعات العامة التي تقيمها الدولة . وقد تعددت النفقات العامة واتسعت باتساع الدولة الإسلامية ، فقد بدأت ضئيلة القدر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أن مسجده بالمدينة وكان مقر الحكومة الإسلامية الأولى بنى بالجهود الذاتية ، ثم زادت النفقات العامة بعد ذلك فتناولت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنواعا عديدة كمرتب أمير المؤمنين ومرتبات العاملين بالدولة والانفاق على مرفق القضاء والمساهمة في أعباء الفتوحات الإسلامية وتوسعة المسجد الحرام وإثارة المساجد ليلا وحفر الخليج وإنشاء مدينتي البصرة والكوفة ، ومما ساعد على التوسع في الانفاق العام زيادة الموارد العامة بزيادة من يدفعون الجزية ويؤدون الخراج من أهل البلاد المفتوحة .

إدارة المالية العامة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدير المالية العامة للدولة الإسلامية الأولى بالقرآن وبخلق العظيم ، فالقرآن المجيد حدد بعض الموارد العامة وهي الزكاة وخمس الغنائم والجزية وخطط طريق النفقات العامة حينما أمر بأن لا يتولى السفهاء إدارة الأموال وأن يكون الانفاق قواما خال من الاسراف والتقتير وأن لا يدلى الناس بالأموال للحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس ، ووضع القرآن كذلك الأسس القويمة للعمل والعمالة ومنها عمالة الدولة حينما أمر بصالح الأعمال ونهى عن سيئها وفاسدها ، كما تضمن مبادئ للرقابة العامة ومنها الرقابة على المال العام حينما قضى بأن الناس سيحاسبون على أعمالهم في الدنيا والآخرة ، ووضع للمخالفين العقوبات الدنيوية والأخروية . وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم النهج القرآني في إدارة المال العام وكانت أخلاقه وسلوكه قدوة يقتدى بها في هذا الشأن فزهد هو وعائلته عن المال العام ومنع ذوى قرباه من الأخذ من أموال الزكاة كما ذكرنا ولم يعينهم في المناصب العامة إلا الامام علي بن أبي طالب لتقواه وكفاءته وحكمته وعلمه وأخلاقه التي تميز بها ، واختار ذوى الكفاءة للعمل ، واعتبر العاملين الذين يؤدون ما أؤتمنوا عليه كاملا غير منقوص من الصديقين ، وطبق الشورى في الإدارة كما أمر الله ونهى عن هدايا الولاء أثناء ولايتهم الى غير ذلك من مقومات الإدارة المالية الناجحة المتميزة .

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هدية فطبقوا أحكام القرآن وتعاليمه وأعملوا سنن الرسول القولية والفعلية فى الادارة المالية للدولة تنظيمًا ومتابعة ورقابة وطوروا الادارة المالية بتطور أمور الدولة فأنشأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ديوانى العطاء والحراج وأدخل التقويم الهجرى ودقق فى اختيار الولاة وتابع معهم خراج الولايات وراقبهم واسترد لبيت المال أى زيادة فى ثرواتهم .

وأكسب عثمان بن عفان المالية العامة وادارتها المرونة وان كانت هذه المرونة قد تناولها البعض بالنقد بحجة أنها ساهمت مع عوامل أخرى فى قيام الفتنة وقتل الخليفة نفسه ، وحصى على بن أبى طالب ادارة المال العام من ان يوجه لخدمة النزاع الذى قام بين أنصاره وأنصار معاوية بن أبى سفيان للمطالبة بدم عثمان فلم يستخذه لجذب الأنصار ولا لاغراء المعارضين ولا لتثبيت المواليين .

نظام العطاء :

أسفرت ادارة المال العام فى عهد الخلفاء الراشدين واتساع رقعة الدولة الاسلامية وغزارة مواردها العامة عن تحقيق فائض فى الأموال العامة تم توزيعه على المسلمين ابتداء من عهد أبى بكر الصديق بالتساوى ثم طوره عمر بن الخطاب فميز بين المسلمين على أساس منازلهم فى الاسلام واستمر هذا الأساس فى التوزيع فى عهد الخلفتين بعده ، وتميز نظام العطاء فى عهد الخلفاء الراشدين بعدله وشموله ونموه فبدأ محدودا فى عهد الخليفة الأول ثم ارتفعت قيمته بعد ذلك (١) .

(١) لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى كتبنا التالية :

- النظم المالية فى الاسلام - طبعة ثالثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- السياسة المالية للرسول - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- السياسة المالية لعثمان بن عفان - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الفصل الثاني

مخالفات مالية فى عهد بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز

خلفاء بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز :

- كان خلفاء بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز هم :
- معاوية بن أبى سفيان (٤٠ - ٦٠) هجرية
- يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (٦٠ - ٦٤) هجرية
- معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤) هجرية
- مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥) هجرية
- عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦) هجرية
- الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) هجرية
- سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩) هجرية

وقد هبط فى عهودهم مستوى أداء المالية العامة الاسلامية فلم تعد تنحرك تحركاً منضبطاً بهدى من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهج الخلفاء الراشدين من بعده ، بل مالت عن الانضباط المالى الاسلامى ووقعت بها بعض التجاوزات والمخالفات

أسباب وقوع المخالفات المالية :

ومن أسباب وقوع التجاوزات المالية أن الامارة لم تعد فى الحقيقة بالبيعة وانما أصبحت ملكاً يتوارثه الابناء عن الآباء وأن الرعية انقسمت بين مؤيدين لبنى أمية ومناصرين لبنى هاشم بعد الحروب التى قامت بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وأن الأمراء الأمويين اضطهدوا من يشايعون بنى هاشم وحرموهم بعض حقوقهم من الأموال

٩.٧ - السياسة المالية

العامّة ، كما أنّ بعض أمراء بني أمية انغمسوا في ملاذ الدنيا وترفها ولم يفرقوا بين ماليّتهم الخاصّة والماليّة العامّة فنالوا ما يشاءون فبعدوا عن حالة الزهد والتّقشف التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما امتدت التجاوزات الى طريقة اختيار الولاة وعمال الدولة ومنهم عمال الخراج فلم يكن معيار اختيارهم الكفاءة وانما قام الاختيار في بعض الحالات على معايير أخرى منها التشييع للعهد الأموي وصلة القربى بالحكام .

نماذج لمخالفات الماليّة العامّة :

وفيما يلي نماذج من مخالفات وتجاوزات وقعت في العهد الأموي قبل عمر بن عبد العزيز شاملة عناصر الماليّة العامّة ، فنتناول :

- مخالفات الإيرادات العامّة .
- مخالفات النفقات العامّة .
- مخالفات إدارة الماليّة العامّة وعلى الأخص عمالة الدولة .

- مخالفات عطاء بيت المال .

نماذج من مخالفات الإيرادات العامّة :

قتل من تزكى :

جاء رجل الى سمرة بن جندب وكان واليا على البصرة بعد زياد في عهد معاوية وأدى الزكاة لماله ، فجعل يصلي في المسجد فجاء رجل فضرب عنقه فاذا رأسه في المسجد وبدنه في ناحية أخرى فمر أحدهم فقال « يقول سبحانه وتعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) » (الأعلى / ١٤ ، ١٥) .

ويقول من شهد ذلك : « فما مات سمرة حتى أخذ الزمهرير فمات شر ميتة » (١) .

غلول في الغنائم وخمسها :

- كتب زياد والي معاوية الى الحكم بن عمرو بعد انتصاره في غزوة جبل الأشل وحصوله على مغنم كثيرة ، « ان أمير المؤمنين كتب الى أن أصطفى له صفراء وبيضاء والروائع فلا تحركن شيئا حتى تخرج ذلك »

(١) تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - جزء ٥ ص : ٢٩٢ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

فكتب اليه الحكم « أما بعد فان كتابك ورد ، تذكر أن أدير المؤمنين كتب الى أن أصطفى له كل صفراء وبيضاء والروائع ولا نحر كن شيئا ، فان كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد اتقى الله عز وجل ، جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجا » .

وقال للناس : « أغدوا على غنائكم » فغدا الناس ، وقد عزل الخمس ، فقدم بينهم تلك الغنائم فهدده زياد .

فقال الحكم : اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى ، فمات بخراسان بمرور (٢) .

— لما أفتتحت الاندلس فى عهد الوليد بن عبد الملك أصاب الناس فيها غنائم فغلوا فيها غلولا كثيرا حملوه فى المراكب وركبوا فيها ، فلمسا وسطوا البحر سمعوا مناديا يقول : اللهم غرق بهم .

فدعوا الله وتقلدوا المصاحف .

فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصفة وضربت المراكب بعضها بعضها حتى تكسرت وغرقت بهم (٣) .

اهداء أساسى فى الجزية :

يقضى القرآن المجيد بأن الجزية على من لم يسلم من أهل الكتاب . وسبق أن أوردنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » .

ومع ذلك كان الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد عبد الملك بن مروان والوليد أول من أبقى الجزية على من أسلم فقد لاحظ أن عددا كبيرا من أهل الذمة قد اعتنق الاسلام وأن اسقاط الجزية يؤثر على حصيلتها فأثر بقاء الحصيلة على تطبيق القرآن والحديث (٤) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ٠٠ لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المسلم ابن اعين الخزنى المصرى . - تقديم وتحقيق محمد صبيح - ص ١٤٠ مؤسسة التعاون والنصر .

(٤) الاسلام وأهل الذمة - د . على حسن الحروبلى ص ١٣٧ - طبعة المجلس الأعلى للدراسات الإسلامية .

ويفسر أبو عبيد الحديث السابق للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول « ان تأويل هذا الحديث أن رجلا لو أسلم في آخر السنة وقد وجبت عليه الجزية أن اسلامه يسقطها عنه فلا تؤخذ منه وان كانت قد لزمته قبل ذلك ، لأن المسلم لا يؤدي الجزية ولا تكون ديناً عليه كما لا تؤخذ منه فيما يستأنف بعد الاسلام (٥) » .

خراج فوق الطاقة :

كتب سليمان بن عبد الملك الى أسامة بن زيد التنوخي متولى خراج مصر متعسفا في جباية الخراج « احلب الدر حتى ينقطع ، فإذا ما انقطع فاحلب الدم حتى ينصرم » (٦) .

حصيلة محرمة من عشور التجارة :

كانت تؤخذ عشور التجارة على الحُمور (٧) مع أنها محرمة وأن الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه .

استيلاء الولاة على حصيلة الإيرادات العامة : -

شهدت الدولة الأموية نماذج من تجاوز امراء بنى أمية بغير حق للولاة على ما جمعه من أموال عامة والاكتفاء بعزلهم بعد ما رؤى عدم استمرارهم في أعمالهم ، واغفال مبدأ محاسبة الولاة وعمال الدولة على ما جمعه من أموال عامة يشيع بينهم الاستخفاف بقُدسية المال العام وينمى ظاهرة الاسراف والاستيلاء عليه ويرجع اثار المنافع الخاصة على النفع العام .

وفيما يلي نماذج للتغاضي عن محاسبة الولاة على ما جمعه من أموال في عهد معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية .

— أراد معاوية بن أبي سفيان أن يعزل عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربع وأربعين هجرية فقال له :

« اختر بين أن أتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك وأردك الى عملك وبين أن أسوغك ما أصبت وتعتزل » .

فاختار أن يسوغه ما أصابه من ولايته ويعتزل (٨) .

(٥) الأموال لأبي عبيد - ص ٥٩ .

(٦) عمر بن عبد العزيز/ سعد عبد السلام ص ٢١ .

(٧) الأموال لأبي عبيد ص ٦٤ .

(٨) الطبري جزء ٥ مرجع سابق ص ٢١٤ .

— فى سنة احدى وأربعين كان زياد بفارس فكتب معاوية الى زياد :
 « ان فى يدك مالا من مال الله وقد وليت ولاية فاد ما عندك من
 المال » .

فكتب اليه زياد :

« انه لم يبق عندى شيء من المال » وقد صرفت ما كان عندى فى
 وجهه واستودعت بعضه لنزله ان نزلت » .

فكتب اليه معاوية :

« أن أقبل الى ننظر فيما وليت وجرى على يدك فان استقام بيننا
 أمر فهو ذاك والا رجعت الى مأمك » .

فلم يأبه زياد (٩) .

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه قد وجه زيادا الى فارس
 لحربها وخراجها (١٠) .

— قدم عبد الرحمن بن زياد حاكم خراسان على يزيد بن معاوية
 فقال له يزيد : كم قدمت به معك من المال من خراسان قال : عشرين
 ألف درهم قال يزيد : ان شئت حاسبناك وقبضناها منك ورددناك
 على عملك ، وان شئت سوغنناك وعزلناك وتعطى عبد الله بن جعفر
 خمسمائة ألف درهم .

قال : بل تسوغنى ما قلت ويستعمل عليها غيرى . وبعث عبد الرحمن
 بن زياد الى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم وقال : خمسمائة ألف
 من قبل أمير المؤمنين وخمسمائة ألف من قبل (١١) .

حدث هذا فى عهد بنى أمية بينما كان عمر بن الخطاب رضى الله
 عنه يحاسب الولاة على الزيادات التى طرأت على أموالهم الخاصة ويقاسمهم
 اياها ويوردها لبيت المال .

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الانفاق العام على ترف الأمراء

- (٩) الطبرى - جزء ٥ مرجع سابق ص ١٦٨ .
- (١٠) الطبرى - جزء ٥ - مرجع سابق ص ١٣٧ .
- (١١) الطبرى - جزء ٥ - مرجع سابق ص ٣١٦ .

فى عهد بنى أمية اختفى زهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده وكان لا يتم الفصل بين الأموال العامة وأموال رؤساء الدولة فتمرغوا فى الدنيا وعاشوا عيشة الترف وأنفقوا على ترفهم من بيت مال المسلمين ، وفيما يلى نماذج لذلك :

– وقال عبد الله بن مسعود بن حكمة الفزارى من بنى آل بدر :

تنقل معاوية بن أبى سفيان من بعض كور الشام فبسط له على ظهر اجار مشرف (أى السطح) على الطريق فأذن لى ، فقعدت معه ، فمرت القطرات والرحائل والحوارى والخيول فقال معاوية :

« يا ابن مسعود ، رحم الله أبو بكر لم يرد الدنيا ولم تردده الدنيا ، وأما عمر – أو قال ابن حنتم فأرادته الدنيا ولم يردّها ، وأما عثمان فاصاب من الدنيا وأصابته منه وأما نحن فتمرغنا فيها » .

ثم كأنه ندم فقال : « والله انه لملك أتانا الله اياه » (١٢) .

– لما حضرت الوفاة معاوية « أوصى بنصف ماله أن يرد الى بيت المال كأنه أراد أن يطيب له الباقي لأن عمر قاسم عماله » (١٣) .

– اتفق عمرو بن العاص مع معاوية بن أبى سفيان على قتال على بن أبى طالب على أن تكون مصر طعمة له ما بقى .

وقد طمع أن تؤول ولاية مصر من بعده لابنه عبد الله وتكون طعمة ، فكتب بذلك لمعاوية فقال معاوية :

« أريد أبو عبد الله أن يكتب فهدر ، أشهدكم أنى ان بقيت بعده فقد خلعت عهده » (١٤) .

– وعن ترف يزيد بن معاوية قيل :

« ان يزيد بن معاوية كان أشد الناس كلفا بالصيد ، وأنه كان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلجل المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبدا يقوم على رعايته وخدمته » .

وقيل :

« كان يزيد موفر الرغبة فى اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر – وكانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر ففى

(١٢) الطبرى جزء ٥ – مرجع سابق ص ٣٣٤ .

(١٣) المرجع السابق – ص ٣٢٧ .

(١٤) المرجع السابق – ص ٣٣٥ .

السنة الأولى قتل الحسين بن علي عليهما السلام وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام وفي السنة الثالثة غزا الكعبة (١٥) .

— وعن سليمان بن عبد الملك قيل :

« كانت الخلافة الأموية في الكلف بالنعمة الدنيوية على أتمها في سليمان بن عبد الملك فقد كان أكلفهم بنعمة العيش كانت : في طعام أو كساء أو ترف أو سرف أو خيلاء (١٦) .

« وكان سليمان يجلس وقد بسطت له البسط والتمارق عليها ، وإلى جانبه الأموال والكساوى وآنية الذهب والفضة » (١٧) .

نفقات عادة على مظهرية الحكم :

كان الخليفة من الراشدين يلبس الثوب من الكرباس (١٨) الغليظ وفي رجليه نعلان من ليف ويمشى في الأسواق كبعض الرعية دون حراس أو مظهر من مظاهر السلطان ، غير أن الدولة الأموية بعدهم استحدثت تقاليد عديدة ومميزات تميز بها السلطان ، وأنفق من بيت مال المسلمين على تمويل تلك التقاليد والمميزات .

وكان معاوية بن أبي سفيان هو أول من رأس تلك التقاليد والمميزات فبنى لنفسه قصرا سماه الخضراء واتخذ فيه السرير للجلوس وهو المكان المرتفع أو ما يعرف في الوقت الحاضر بكرسى العرش ، ثم وضع حول هذا السرير الستائر ، كما أحاط نفسه بالحجاب وجعل الحراس يمشون بين يديه وأوجد الشرطة لحراسته . واتخذ المقصورة في المسجد وأصبح يصلى فيها منفردا من الناس ، فاذا سجد قام الحرس رافعين السيوف .

وقد ظهرت أيضا أبهة الملك في عهد عبد الملك بن مروان ، اذ تشبه بملوك الفرس وقيصرة الروم فكان يجلس على عرشه وعلى يمينه الأمراء وعلى يساره رجال الدولة ورجال البلاط ثم يقف أمامه من يريد المثول بين يديه من رسل الملوك والشعراء والكتاب والفقهاء وغيرهم وصار عبد الملك — كما وصفه أحد المؤرخين المسلمين وهو البلاذري « أول من تجبر من الخلفاء » .

(١٥) ابن طباطبا — الفخرى ص ١١٣ .

(١٦) عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب — دار الفكر العربي — ص ٢١

نقلا عن معاوية للعقاد ص ٨٣ .

(١٧) المرجع السابق ص ٢٢ .

(١٨) الكرباس : قماش من القطن الأبيض .

وامتدت هذه التقاليد الجديدة الى ولاية بنى أمية وعمالهم فقد عين معاوية مثلاً زياد بن أبيه على البصرة ثم أضاف اليه الكوفة حتى صار أميراً على العراق كله . فاتخذ زياد له حرساً خاصاً مدرباً قوامه أربعة آلاف رجل ، كانوا له العيون والأرصاد ، كما كان منهم الشرطة لحفظ النظام ، وكان نفر من هذا الحرس يسير أمام موكب زياد يفسح له الطريق أشبه بأكاسرة الفرس (١٩) .

نفقات عامة لاسكات المعارضة :

بعد عصر الخلفاء الراشدين اتخذت حركة الانفاق العام مسارات جديدة بهدف تثبيت سلطان الحكام وكف المعارضة عنهم وإيلولة الحكم الى بنيتهم من بعدهم ، ويبين ذلك من النماذج التالية :

— لما قتل على بنى أبى طالب رضى الله عنه كان على رأس جيش العراق قيس بن سعد ، فاستخلف أهل العراق الحسن بن على عليه السلام على الخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل بالمدائن وبعث قيس بن سعد على مقدمة جيشه فى اثني عشر ألفاً ، وأقبل معاوية فى أهل الشام حتى نزل مسكن ، فبينما الحسن فى المدائن اذ نادى مناد فى العسكر : ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فانفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته ، فلما رأى الحسن تفرق الناس عنه قام فى أهل العراق فقال : يا أهل العراق انه سخطى بنفسى عنكم ثلاث : قتلتم أبى وطعنكم اياى وانتهاكم متاعى .

وبعث الحسن الى معاوية يطلب الصلح فأرسل له رسولان فصالحاه على أن يأخذ من بيت الكوفة خمسة آلاف ألف (٢٠) .

وفى رواية أخرى « صالح الحسن معاوية على أن جعل له ما فى بيت المال وخراج دار بجرد على أن لا يشتم على وهو يسمع . فأخذ ما فى بيت ماله بالكوفة وكان فيه خمسة آلاف ألف » .

وتذكر بعض الروايات أن أهل البصرة حالوا بين الحسن بن على وخراج دار بجرد حين رحيله من الكوفة الى المدينة (٢١) .

(١٩) تاريخ العالم الاسلامى - د. ابراهيم أحمد العدوى - مطبعة جامعة القاهرة

ص ١٤١ - ١٤٣ .

(٢٠) الطبرى - جزء ٥ ص ١٥٩ مرجع سابق .

(٢١) المرجع السابق ص ١٦٥ .

وان كان معاويا قد سمح بالمال العام لتثبيت ملكه واسكات المعارضة
الا أن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فهو من ذى القربى وله نصيب فى المال العام
استنادا لاية الخمس السابق الاشارة اليها ، ولم يكن المال الذى أخذه
له وحده ولكن كان أيضا لذى القربى ممن يتبعونه .

— وشبيهه بأموال الحسن بن علي عليه السلام ما أخذه عبد الله بن
عباس وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان واليا على الكوفة
فى عهد علي بن أبي طالب وكان على قضائها من قبل علي بن أبي طالب
أبو الأسود الدؤلى ، فكتب اليه :

« أما بعد ، فإن الله جل علاه جعلك واليا مؤتمنا وداعيا مستوليا
وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحا للرعية توفى لهم فيهم وتظلف
(وتمنع) نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترثى فى أحكامهم ،
وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلم يسعنى كتمانك
ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هناك واكتب الى برأيك فيما أحببت أنته
اليك والسلام » .

فكتب اليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه :

« أما بعد ، فمثلك نه —ح الامام والأمة ، وأدى الأمانة ودل على
الحق ، وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الى فيه من أمره ولم أعلمه أنك
كتبت ، فلا تدع اعلامى بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ،
فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام » .

وكتب علي الى ابن عباس فى ذلك فكتب اليه ابن عباس :

« أما بعد ، فإن الذى بلغك باطل وانى لما تحت يدي ضابط قائم
له ولة حافظ ، فلا تصدق الظنون ، والسلام » .
فكتب اليه علي :

« أما بعد ، فأعلمنى ما أخذت من الجزية ومن أين أخذت ، وفيم
وضعت ؟ »

فكتب اليه ابن عباس يستقيل من العمل :

« أما بعد ، فقد فهمت تعظيمك مرزاة ما بلغك أنى رزائه (٢٢) من
مال أهل البلد ، فأبعث الى عميلك من أحببت فانى طاعن عنه
والسلام » (٢٣) .

(٢٢) رزات المال : أصبته .

(٢٣) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ١٤١ ، ١٤٢ .

فلما قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلم عبد الله بن عباس بالذى يريد الحسن أن يأخذه لنفسه كتب الى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التى أصابها فشرط ذلك له معاوية (٢٤) .

ومما سبق يبين أن ابن عباس استنكر ما بلغ على بن أبى طالب من أخذه للأموال العامة وذكر أنه حفيظ على الأموال العامة وقائم عليها وضابط لها وأن ما بلغه هو من قبيل الظنون ، فلما راجعه على بن أبى طالب طلب منه أن يولى الكوفة واليا آخر وزهد فى الامارة ، فلما قتل غلى ورأى أن معارضة معاوية غير مجدية ، طلب الأمان لنفسه ولما معه من أموال ، وهو صاحب نصيب فى الأموال العامة باعتباره من ذوى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ابن عمه ، خصوصا وأن على بن أبى طالب رضى الله عنه حينما ولى أمر المسلمين طلب منه ذوى قربى الرسول نصيبهم فى الخمس تطبيقا للآية فرفض اقتداءا بما فعله الخلفاء من قبله . فمن محمد بن اسحق قال : سألت أبا جعفر محمد بن على فقلت : على بن أبى طالب حيث ولى من أمر المسلمين ما ولى كيف صنع فى سهم ذوى القربى ؟

قال أبو جعفر : سلك به سبيل أبى بكر وعمر .

قلت : وكيف أنتم تقولون ما تقولون ؟

فقال : ما كان أهله يصدرون الا عن رأيه .

قلت : فما منعه ؟

قال : كره . والله . أن يدعى عليه خلاف أبى بكر وعمر وقال على

« ما قسمت هنا لأهل عقدة شهدا عمر » .

وعن ابن شيرين عن عبيدة عن على قال :

« أقضوا كما كنتم تقضون ، فإنى أكره الاختلاف ، حتى يكون للناس

جماعة أو أموت على ما مات عليه أصحابى » (٢٥) .

— ومن أمثلة ذلك أيضا ما وقع بين معاوية بن أبى سفيان وبين

قيس بن سعد فقد كان معه أربعون ألفا من أتباع على بن أبى طالب بعد أن تركهم الحسن ، فلما فرغ معاوية من الحسن أرسل الى قيس بن سعد يذكره الله ويقول : على طاعة من تقاتل وقد بايعنى الذى أعطيته طاعتك ؟ فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل له معاوية بسجل قد ختم عليه فى أسفله فقال معاوية : أكتب فى هذا السجل ما شئت فهو لك .

(٢٤) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢٥) الأموال لأبى عبيد ص ٢١٦ .

فلما بعث اليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه ولشيعة على
الأذان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل معاوية في سجله ذلك
مالا وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه في طاعته (٢٦) .

— ولم تكن الأموال العامة تعطى للمعارضين فقط بل كانت تعطى
لأقاربهم أيضا فقد طلب هبيرة السكوني من معاوية أن يعفو عن ابن عمه
حجر بن عدي الذي كان يناوئ حكم معاوية ولكن معاوية قتله ، وأرسل
معاوية الى ابن عمه يطلبه ليسترضيه ولكنه لم يأت معاوية ، فلما كان
الليل بعث معاوية اليه بمائة ألف درهم وقال له :

« ان أمير المؤمنين لم يمنعني أن يشفعك في ابن عمك الا شفقة عليك
وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حربا أخرى ، وان حجر بن عدي لو قد
بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص اليه ، وأن يكون ذلك من
البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر » .

فقبلها مالك بن هبيرة وطابت نفسه وأقبل الى معاوية من غده في
جموع قومه حتى دخل عليه ورضى عنه (٢٧) .

نفقات عامة لتأليف القلوب للسلطة وليس للإسلام :

— وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامه والجون بن قتاده القشمي
والحتات بن يزيد أبو منازل الى معاوية بن أبي سفيان فأعطى كل واحد
منهم مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفا ، فلما كانوا في الطريق سأل
بعضهم بعضا فأخبروا بجوائزهم فكان الحتات أخذ سبعين ألفا فرجع الى
معاوية فقال له معاوية : ما ردك يا أبا منازل قال الحتات : فضحتني في
بنى تميم ، أما حسبى بصحيح ! أو لست ذا سن ؟ أو لست مطاعا في
عشيرتي ؟

فقال معاوية : بلى .

فقال الحتات : فما بالك خسست بنى دون القوم ؟

فقال : اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورأيك في
عثمان بن عفان — وكان عثمانيا .

فقال الحتات : وأنا فاشتر منى ديني .

(٢٦) الطبرى جزء ٥ — مرجع سابق ص ١٦٤ .

(٢٧) المرجع السابق — ص ٢٧٨ .

فأمر له معاوية بتمام جائزة القوم (٢٨) *

من هذا يبين أن نوعاً من الانفاق العام وجه نحو تأليف القلوب لحكم معاوية وليس هذا بتأليف القلوب الذي طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يمنح الأموال لحدِيثي العهد بالاسلام لتقوية ايمانهم أو لرؤساء العشائر لرد أذاهم عن الاسلام والمسلمين ، وشتان بين التأليفين ، فتأليف الرسول صلى الله عليه وسلم كان للاسلام وتأليف معاوية كان لاستتباب ملكه وتأيبه حكمه . والدليل على ذلك ما كان يوحى به الى عماله عند تعيينهم بالعمل على تمكين سبطانه وشتيم على بن أبى طالب وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له ، فقد حدث أن ولى معاوية بن أبى سفيان المغيرة بن شعبه الكوفة ، فكان مما أوصاه به ما يلي :

« وقد أردت ايضاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطانى ويصلح به رعيته ، ولست تاركاً ايضاءك بخصلة : لا تتحم (تتورع) عن شتم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب على والاقصاء لهم وترك الاستماع منهم ، وباطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والادناء لهم والاستماع منهم » (٢٩) .
وتنفيذاً لوصية معاوية كان المغيرة يخطب ويقول :

« اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فانه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل مظلوما ، اللهم فارحم أنصاره وأوليائه ومحبيه والطالبين بدمه ، ويدعو على قتلته » (٣٠) .

انفاق بعض المال العام على قتال المسلمين :

فجر النزاع بين على ومعاوية وأيلولة الحكم لمعاوية خلافات فى رأى بين الدولة وبعض طوائف الأمة ، وأدت تلك الخلافات الى منازعات استخدمت فيها الدولة الأموية جند الاسلام والسلاح والعتاد لفض تلك المنازعات وكان تمويل ذلك من بيت مال المسلمين ، وبذلك استخدم المال العام لقتال وقتل بعض المسلمين بدلاً من أن يوجه لأداء خدمات عامة لهم ومنها استتباب أمنهم الداخلى وأمانهم الخارجى .

(٢٨) الطبرى - جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٤٢ .

(٢٩) المرجع السابق جزء ٥ - ص ٢٥٤ .

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٥٤ .

ومن أمثلة ذلك القتال الذي نشب في عهد معاوية بن أبي سفيان بينه وبين الحوارج والقتال الذي وقع في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مع الحسين بن علي وأسفر عن قتله وبعض أهل بيته وعدد ممن شايعة من القبائل ، والقتال في عهد عبد الملك بن مروان الذي أدى لقتل عبد الله بن الزبير وبعض أنصاره (٣١) .

اسراف في النفقات العامة لحاشية الولاة وللشعراء :

- استلحق معاوية يزيد ابن سمية بأبيه وولاه البصرة ، فكتب خمسمائة من أهل البصرة في صحابته ورزقهم ما بين الثلاثمائة الى الخمسمائة ونظير ذلك نظم أحدهم فيه قصيدة أشاد به وبحكمه ، منها هذه الأبيات :

ألا من مبلغ عنى زيادا فنعم أخو الخليفة والأمير
فأنت امام معدلة وقصد وحزم حين تحضرك الأمور
أخوك خليفة الله بن حرب وأنت وزيره نعم الوزير
بأمر الله منصور معاف إذا جار الرعيعة لا تجور

ويعبر الشاعر عن العطاء وقسمته فيقول :

يدر على يدك لما أرادوا من الدنيا لهم حلب غزير
وتقسم بالسواء فلا غنى لضيم يشتكيك ولا فقير (٣٢)

- مدح الشاعر جرير عبد الملك بن مروان بقصيدة طويلة منها هذا البيت :

الستم خير من ركب المطايا وأندى العاملين بطون راح
وبعد أن فرغ من انشاده أمر له بمائة ناقة كلها سود الخدقة ، وكان بين يديه صحاف من فضة فقال له جرير : يا أمير المؤمنين تأذن لي بواحدة منهم .

فقال : خذها (٣٣) .

(٣١) المرجع السابق ص ٢٥٤ .

(٣٢) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٢٣ .

(٣٣) عبد الملك بن مروان (أعلام العرب ١٠) د. محمد ضياء الدين الرئيس ص ٣١٥

عن كتاب عمر بن عبد العزيز لسعد عبد السلام ص ١٣٣ .

– ويقول الأخطل فى قصيدة قضى سنة ينظمها ليمدح عبد الملك :

الحائض الغمر والميمون طائره خلفه الله يستسقى به المطر
وما الفرات اذ جاشت حواليه فى حافتيه وفى أوساطه العشر
يوما بأجود منه حين تسأل ولا بأجهر منه حين يجتهر

ثم يمدح بنى أمية فيقول :

حشد على الحق عيافوا البخنا أنف اذا ألت بهم مكروهة صبروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا (٢٢)

فلما فرغ الأخطل من انشاده طرب عبد الملك وأمر له بجفنة كانت
بين يديه فملئت دراهم من بيت المال ومنحها له وأنعم عليه بخلع ثمينة .

وهكذا لقاء المال غالى الشعراء فى المدح ، وفى سبيل ذلك البسوا
الباطل ثوب الحق فأساءوا الى الفضيلة والمثل والقيم ، وصدق قول الله
جل وعلا فى بعض الشعراء « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم فى
كل واد يهييمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » (الشعراء / ٢٢٤ – ٢٢٦) .

نماذج لمخالفات الادارة المالية وعمالة الدولة :

من عوامل نجاح السياسة المالية لأى دولة أن تكون ادارتها رشيدة ،
ولذلك نهى القرآن المجيد عن أن يتولى ادارة الأموال السفهاء وهم من
لا يحسنون ادارتها ، ولذلك كان من أهم عناصر نجاح الادارة المالية
اختيار العاملين بالدولة على أساس الكفاية المطلقة .

وفى العهد الأموى وقبل عمر بن عبد العزيز كان من أسباب هبوط
مستوى الأداء المالى العام ، اهتزاز سياسة عمالة الدولة ، فكان الهدف
السياسى الأول كما ذكرنا هو تشييت دعائم الحكم الأموى ، وفى سبيل
ذلك كان لا يختار لبعض وظائف الدولة الأصلح والاكفأ وانما أقربهم
مودة وأشدهم حماسا لتأييد السلطة والسلطان ، فتولى الخراج عمال غير
أكفاء أساءوا الى بيت المال والممولين وحاد بعضهم عن الحق فى التنفيذ
استجابة لرغبات الساسة وتعبيرا عن الولاء لهم .

وفىما يلى نماذج من المخالفات فى تعيينات عمالة الدولة :

الاستجابة لطالبي الولاية :

• قدم عبد الرحمن بن زياد وافدا على معاوية .

• فقال : يا أمير المؤمنين أما لنا حق

• قال : بلى

• قال : فماذا توليني

• قال : بالكوفة النعمان رشيد وهو رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان وعباد بن زياد على سجستان ، ولست أرى عملا يشبهك الا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله .

• قال : أشركني فإن عمله واسع يحتمل الشراكة

• فولاه معاوية خراسان (٣٥)

وبهذا استجاب معاوية لطالبي الولاية ، وقد سبق أن سأل الصباحي أبوذر الغفاري النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة .

• فقال : أنت ضعيف وهي أمانة وهي يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها (٣٦)

مناورات في تعيين عمال الخراج :

— استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فاتاه المغيرة بن شعبه وقال لمعاوية : « استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمرا على مصر فتكون أنت بين لحبي الأسد » فعزل معاوية عبد الله بن عمرو واستعمل المغيرة بن شعبه على الكوفة .

فدخل عمرو على معاوية فقال : استعملت المغيرة على الكوفة ؟

• فقال معاوية : نعم

• فقال عمرو : أجعلته على الخراج

• فقال معاوية : نعم

(٣٥) الطبري - جزء ٥ - مرجع سابق ٣١٥

(٣٦) الخراج للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم - المطبعة السلفية

قال عمرو : تستعمل المغيرة على الحراج فيقتال المال ، فيذهب فلا يستطيع أن تأخذ منه شيئا ، استعمل على الحراج من يخافك ويهاسبك ويتقيدك فعزل معاوية المغيرة عن الحراج واستعمله على الصلاة •

فلقى المغيرة عمرا فقال : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله ؟

• قال المغيرة : نعم •

قال عمرو : هذه بتلك (٣٧) •

فمن هذا يبين أن تعيين عمال الحراج كان يخضع أحيانا للدس والكيد والمناورة •

تعيين لتحقيق المصلحة الشخصية :

— أراد معاوية توجيه عتبة بن أبي سفيان على البصرة ، فكله ابن عامر وقال : ان لي بها أموالا وودائع فان لم توجهني عليها ذهبت فولاه البصرة فقدمها في آخر سنة احدى وأربعين هجريا (٣٨) •

وهذا مثال آخر على ان اختيار الوالي كان أحيانا لتحقيق مصالحته الشخصية •

ولاية للقرابة :

في سنة خمس وخمسين هجريا شكوا أهل البصرة الى معاوية واليها عبد الله بن عمرو بن غيلان فعزله معاوية •

وقال لهم : اختاروا من تحبون أن أولى بلدكم •

قالوا : يتخير لنا أمير المؤمنين •

فقال : هل لكم من ابن عامر فهو من عرفتم في شرفه وعفافه وطهارته •

قالوا : أمير المؤمنين أعلم •

فجعل معاوية يردد ذلك عليهم ليسبرهم (يختبرهم ويمتحنهم) •

ثم قال : قد وليت عليكم ابن أخى عبيد الله بن زياد (٣٩) •

(٣٧) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ١٦٦ •

(٣٨) المرجع السابق ص ١٧١ •

(٣٩) الطبرى جزء ٥ ب - مرجع سابق ص ٣٠٠ :

ولاية للمجاملة :

سأل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يستعمله على خراسان
وكان يزيد بن معاوية حاضرا .

فقال معاوية : ان بها عبيد الله بن زياد .

فقال : أما لقد اصطنعتك أبى ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى
الذى لا يجارى اليه ولا يسامى ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته بالآلة وقدمت
على هذا (اشارة الى ابن معاوية يزيد) وبايعت له والله لأنا خير منه
أبا وأما ونفسا .

فقال معاوية : أما بلاء أبيك فقد يحق على الجزاء به وقد كان من
شكرى لذلك أنى طالبت بذلك حتى تكشفتم الأمور ولست بلأثم نفس
فى التشهير . وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك والله خير منى وأقرب
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما فضل أمك على أمه فما ينكر ،
أمرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فما أحب أن
الخطوة (٤٠) دحست (٤١) ليزيد رجلا مثلك .

فقال يزيد لأبيه : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر فى
أمره وقد عتب عليك فأعتبه (٤٢) .

فولاه حرب خراسان وولى اسحق بن طلحة خراجها وكان اسحق
ابن خالة معاوية (٤٣) .

اثارة الحقد بين العاملين :

لما كان سعيد بن العاص على المدينة كتب اليه معاوية أن اهدم دار
مروان فلم يهدمها فأعاد عليه الكتاب بهدمها فلم يفعل فعزله ، وولى مروان
فكتب اليه أن اهدم دار سعيد فهم بذلك ، فأراه سعيد كتاب معاوية يهدم
داره وأنه لم يفعل فلم يهدم دار سعيد (٤٤) .

تعليمات بمخالفات فى الادارة المالية :

— كتب معاوية الى وردان مولى عمرو بن العاص أمير مصر أن زد كل
أمرى من القبط قيراطا ، فرد عليه وردان قائلا « كيف أزيد عليهم وفى
عهدهم ألا يزداد عليهم » .

(٤٠) الفوطه : مكان واسع بدمشق وهى احدى متنزهات الدنيا الاربع .

(٤١) دحست : أى ملئت .

(٤٢) أعتبه : أى أرضاه .

(٤٣) الطبرى جزء ٥ مرجع سابق ص ٢٩٤ .

(٤٤) الطبرى جزء ٥ — مرجع سابق ص ٢٩٤ .

ذلك أن معاهدات الصلح بين الدولة الإسلامية والذميين وما بها من
تصوص ومنها النصوص المتعلقة بالمال العام واجبة التنفيذ بين الطرفين •
- يصور أحد الكتاب إدارة المال العام في عهد معاوية فيقول :

« وان الذي يعلن لمن خصمه على بناء المساجد لا يكف عن الحمد
لنفسه في كل مكان وبكل لسان ! ولو لم يرد من أخبار تلك الفترة ان
معاوية كان يفتدق أموال المسلمين على الأعوان ومن يرجى منهم العون •
لكان لمن خصمه على المنابر كافيا للابانة عما صنعه لكسب الثناء عليه ،
واسكات القادحين فيه ••• ولكن أخبار الأموال المبذولة لتغيير الحقائق
في هذه الفترة يفيض بها كتب المادحين ومن لا يمدحون ولا يقدرحون •
ولم يعلم أحد مبلغها من الوفرة والجسامة ، ولكنها معلومة التقدير ، وان
لم تعلم بالاحصاء وأرقام الحساب ، لأنها استنفذت خزانة الدولة وجرت
الى مضاعفة المكوس والضرائب ومخالفة العهود لأهل الذمة وحسبان الزكاة
من حصة الخزانة التي يستولى عليها ولادة الأمور ••• (٤٥) »

- قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأعطى بها مالا كثيرا وكان
بصحبتة عمر بن عبد العزيز فقال لعمر بن عبد العزيز : كيف رأيت
ما فعلت يا أبا حفص ؟

قال عمر : رأيتك زدت أهل الغنى غنى وتركت أهل الفقر
بفقرهم (٤٦) •

مخالفات في عطاء بيت المال :

كان العطاء في عهد الخلفاء الراشدين مرتبطا بعدالة الاسلام فاتسم
بالحق والعدل والشمول ، غير أنه ابتداء من عهد معاوية اتجه العطاء
اتجاها سياسيا فارتبط منحة في بعض الحالات بتأييد شخص الخليفة
وتدعيم سلطانه وفيما يلي نماذج لذلك •

- قال زياد في عهد معاوية بن أبي سفيان على المنبر مهددا أهل
البصرة بقطع العطاء عنهم اذا لم يكفوه بعض الخارجين على الولاء لمعاوية وله :
« يا أهل البصرة والله لتكفني هؤلاء أو لأبدأن بكم ، والله لئن
أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهما » •

(٤٥) معاوية بن أبي سفيان في الميزان - طبعة دار الهلال بالقاهرة ص ٢٠ ، ٢١ ،
عباس العقاد •

(٤٦) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - الطبعة الثانية
مكتبة وهبه بالقاهرة ص ١١٢ •

• فشار الناس فقتلوهم (٤٧) •

— كان مما ورد فى خطبة عبيد الله بن زياد فى عهد يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان حينما أقبل الى الكوفة ليواجهه الحسين بن على أن طلب من الناس أن يكتبوا له عن أهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق وأيما شخص وجد فى عرافته أحد منهم صلب على باب داره وألغى عنه العطاء (٤٨) •

— ينوه الفرزدق عن مخالفات العطاء وقد كان معارضا لزياد فى عهد معاوية وكان اذا نزل زياد البصرة نزل الفرزدق الكوفة واذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة ، فتوسط الناس لدى زياد فقال :

« لو أتانى لأمنته وأعطيته » •

فبلغ ذلك الفرزدق فرفض فى قصيدة طويلة منها هذه الأبيات عن مخالفات العطاء :

دعاني زياد للعطاء ولم آكن لآتية ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم رجال كثير قديري بهم فقرا
قعود لدى الأبواب طلاب حاجة غوان من الحاجات أو حاجة بكرا

• وفر الفرزدق الى المدينة حتى هلك زياد (٤٩) •

هظالم فى المال الخاص :

واذا كان أمراء بنى أمية قد ارتكبوا المخالفات السابقة بالنسبة للمال العام ، فقد وقعت بعض الظلامات على المال الخاص ، من ذلك ما رواه الطبرى فقال •

— كان محمد بن يوسف عامل الوليد على اليمن ، فلما حجج حمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين زوجة الوليد : اجعل لى هدية محمد بن يوسف فأمر بصرفها اليها ، فلما أرسلت الى محمد بن يوسف طالبة الهدية فأبى وقال ينظر فيها أمير المؤمنين فىرى رأيه •

فقالت للوليد : يا أمير المؤمنين انك أمرت بهدايا محمد أن تصرف الى ولا حاجة لى بها •

(٤٧) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٣٨ •

(٤٨) المرجع السابق ص ٣٥٩ •

(٤٩) الطبرى جزء ٥ - مرجع سابق ص ٢٤٨ •

قال : ولم •

قالت : بلغنى أنه غصبها الناس وكلفهم عملها وظلمهم

فلما حمل محمد الهدايا الى الوليد قال : بلغنى أنك أصبتها غضبا •

قال : معاذ الله •

فأمر الوليد فاستحلف محمد بن يوسف بين الركن والمقام خمسين يمينا بالله ما غضب شيئا منها ولا ظلم أحدا ولا أصابها الا من طيب فحلف فقبلها الوليد ودفعها الى أم البنين •

فمات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء تقطع منه (٥٠) •

— حدود الله واجبه التطبيق وفى ذلك يقول الله جل علاه :

« تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (النساء / ١٣ ، ١٤) •

ومع ذلك تعدى سليمان بن عبد الملك الحدود عند البحث عن حق رجل ، فقد كان عمر بن عبد العزيز عنده ذات يوم وعنده ابن سليمان وهو يومئذ ولى عهده ، وجاء رجل يطلب ميراثا من بعض نساء الخليفة •

فقال سليمان : ما أخال النساء يرثن فى العقار شيئا •

فقال عمر : سبحان الله وأين كتاب الله •

فنادى سليمان بغلام وقال له • اذهب فأتنى بسجل عبد الملك بن مروان الذى كتب فيه ذلك •

فقال عمر : لكأنك أرسلت الى المصحف •

فغضب أيوب بن سليمان •

وقال لعمر : والله ليوشكن الرجل أن يتكلم بمثل هذا عند أمين المؤمنين فلا يشعر حتى يفارقه رأسه •

فقال عمر : اذا أفضى الأمر اليك والى أمثالك كان ما يدخل على الاسلام أشد مما يخشى عليكم من هذا القول (٥١) •

(٥٠) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٩٨ •

(٥١) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - طبعة ثانية

ص ٢٧ •

مقارنة السياسة المالية للخلفاء الراشدين والأمويين :

في ضوء ما سبق يمكن المقارنة بين أوضاع السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وعهد الأمويين قبل عمر بن عبد العزيز على النحو التالى :

— اتفق العهدان بصفة عامة على تطبيق الإيرادات العامة الإسلامية وهى الزكاة وخمس الغنائم والخراج والجزية وعشور التجارة ، وإن كان سيئضح فيما بعد أنحكام بنى أمية فرضوا نوعا من الرسوم لم تكن فى عهد الخلفاء الراشدين .

— تم تطبيق هذه الإيرادات العامة فى عهد الخلفاء الراشدين بالتزام أحكام القرآن المجيد وسنن الرسول الكريم ، بينما حدثت فى عهد بنى أمية تجاوزات ومخالفات فى التطبيق .

— حاد الاتفاق العام فى عهد بنى أمية عن الترشيح الكامل فى عهد الخلفاء الراشدين فاعترف بحكام بنى أمية من المال بغير حساب وكان لبعضى حاشية نالها نصيب من الأموال العامة وترك لبعض الولاة بعض ما حصلوه من المال العام ، كما أنفق من بيت المال لتأييد الحكم وتثبيت السلطة واغراء المعارضة لتسكت .

— كان تعيين الولاة والعمال فى عهد الخلفاء يتم بصفة عامة على أساس الأصلح والأكثر ، بينما كان يتم فى عهد بنى أمية فى بعض الحالات على أساس الثقة ، وفى بعض الحالات الأخرى على أساس القرابة والمجاملة مما عكس أثره على كفاءة السياسة المالية للدولة .

— التزمت إدارة المالية العامة فى عهد الخلفاء الراشدين بالتقوى فشح ألحق على التنفيذ وعمت العدالة المالية فى تحديد الأوعية الخاضعة للفرائض المالية ونفذت النصوص المالية التى تضمنتها عقود الصلح مع أهل الذمة وعومل أهل الذمة بالرفق والرحمة تنفيذا لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما فى عهد بنى أمية طرأت تجاوزات ومخالفات فى إدارة المالية العامة حادت بها عن خط التقوى ومبادئها .

— كان لكل حظه من عطاء بيت المال فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن فى عهد بنى أمية ، اتخذ العطاء سلاحا لتحقيق سياسة الدولة فاغدق على المؤيدين وحرم منه المعارضون .

— تضمنت آثار المخالفات المالية فى عهد بنى أمية وقوع مظالم على الناس ولم يكن ذلك يحدث فى عهد الخلفاء الراشدين .

الأسس العامة المطلوبة لإصلاح مسار السياسة المالية للدولة :

ينبنى على ما سبق أن إصلاح السياسة المالية للدولة ينبغي أن يقوم على أسس تؤدي إلى إزالة المخالفات التي لحقت بها ، حتى تعود لما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين وتكون هذه الأسس كالآتي : -

- إزالة ما أعتري الإيرادات العامة من مخالفات .
- ترشيده الانفاق العام .
- التزام الكفاءة والصلاحيات في تعيين ولاية الدولة وعمالها .
- التزام إطار التقوى في إدارة السياسة المالية .
- حصول كل صاحب حق على حقه من عطاء بيت المال .
- رد المظالم التي وقعت في عهد بني أمية .

نبوءة للرسول بالإصلاح تتحقق :

امتدت المخالفات في السياسة المالية حتى عهد الخليفة الأهوى سليمان ابن عبد الملك وقد توفي يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين هجرية (٥٢) .

وبذلك آن أوان نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإصلاح ، طبقاً لحديثه الذي رواه أحمد بن حنبل وهو « ان الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم لها أمر دينها » (٥٣) .

وسنرى في الأبواب التالية أن الله عز وجل بعث للأمة الإسلامية عمر بن عبد العزيز ليقيم لها أمر دينها في المالية العامة الإسلامية .

(٥٢) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٤٦ .

(٥٣) الامام الشافعى - للاستاذ عبد الجليم الجندى ص ٣٨٠ طبعة المجلس الاعلى

للسنن الاسلاميه .

الباب الثاني

خلافة عمر بن عبد العزيز وسياسته المالية

الفصل الأول

خلافة عمر بن عبد العزيز

نبذة عن خلافة عمر بن عبد العزيز :

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات ليلة رؤيا نهض من نومه على أثرها يعجب ويقول :

« من هذا الذى من ولد عمر يسمى عمر يسير بسيرة عمر »
وكان يقول أيضا :

« ان من نسلى رجلا بوجهه شج إلى الخلافة ويملا الدنيا عدلا »
ونقل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن أبيه تلك النبوة ، فكان يقول :

« ليت شعري من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه
علامة يملأ الأرض عدلا » •

وبدأت أولى حلقات نبوة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تتحقق فى حياته فقد خرج ذات ليلة كعادته يتفقد أحوال الرعية فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فترامى الى أذنيه حديثا جرى بين أم وأبنتها وتسرب من أجند المنازل ، وكان كالاتى : -

الأم : الا تمهقين (أى تخططين) اللبن بالماء •

البنت : كيف أمزق اللبن يا أماء وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟

الأم : قد مذق الناس فامزقى ، فما يدري أمير المؤمنين وهو لا يرانا •

البننت : ان كان لا يعلم ولا يرانا فبالله يعلم وهو يرانا ، ما كنت أفعله وقد نهى عنه .

تملك عمر بن الخطاب الاعجاب بصلاح الفتاة وخشيتها الله جل وعلا فلما أصبح الصباح تحرى عنها فاذا هي من بنى هلال .

فنادى ابنه عاصم وقال له : اذهب يا بنى فتزوجها فما أحرأها أن تأتي بفارس يسود العرب .

أطاع عاصم أباه وتزوج الفتاة فولدت له ليلي المعروفة باسم « أم عاصم » وتزوجها فيما بعد أمير من أمراء العرب وهو عبد العزيز ابن مروان بن الحكم فأنجبت ولدا أسمته باسم جدها عمر فكان عمر ابن عبد العزيز بن مروان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان مولده فى سنة احدى وستين هجرية وهى السنة التى قتل فيها الحسين بن على ، وفى طفولته رمحته دابة فى وجهه وهو بدمشق فأنت به أمه وضمته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه وهى تبكى .

ودخل عليها أبوه وهى على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه فقد ترك رمح الدابة شجا فى وجهه فقال لها : اهدئى أم عاصم ، فطوباك اذا كان عمر أشجع بنى أمية فسيلى خلافة الاسلام والمسلمين .

وبدأت ارهاصات خلافة الطفل تتوالى .

فلما شب ، وبينما كان يتلقى العلم على يدى أحد شيوخه سألته عن سبب الشجع فى وجهه فشرح له قصة الدابة التى رمحته .

فقال الشيخ : أنت اذن اشجع بنى مروان ؟ ستلى يا بنى الخلافة يوما فتملا الأرض عدلا ونورا بعد أن ملئت ظلما .

وحدث الخزاعى عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى روضة خضراء فقال له : انك ستلى أمر أمتى فزع (١) عن الدم فان اسمك فى الناس عمر بن عبد العزيز واسمك عند الله جابر (٢) .

ويروى أبو بكر بن أبى الدنيا رواية أخرى عن عمر بن عبد العزيز : أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

(١) فزع أى فكف .

(٢) عمر بن عبد العزيز لأبى كثير القرشى - تقديم وتعليق أحمد الشرباصى - دار الطباعة والنشر ص ٥٧ .

يقول : أدن يا عمر
فدنوت حتى خشيت أن أصيبه
فقال : اذا وليت فاعمل نحوا من عمل هذين •
فاذا كهلان قد اكتنفاه
فقلت : ومن هذان
فقال : هذا أبو بكر وهذا عمر (٣) •

خلافة عمر بن عبد العزيز : -

قص وزير سليمان بن عبد الملك رجاء بن حيوة (٤) وكان من علماء
التابعين وفضلائهم قصة خلافة عمر بن عبد العزيز فقال :
لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثيابا خضرا من خز ،
ونظر في المرأة •
فقال : أنا والله الملك الشاب
فخرج الى الصلاة فصلى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك
فلما ثقل (٥) عهد في كتاب كتبه لبعض بنييه وهو غلام ولم يبلغ •
فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! انه مما يحفظ الخليفة في قبره
أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح •
فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه
فمكث يوما أو يومين فدعاني
فقال : ما ترى في داود بن سليمان
فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحى هو أم ميت
فقال لي : فمن ترى
قلت : رأيك يا أمير المؤمنين
وكنت أريد أنظر من يذكر

(٣) المرجع السابق ص ٦٧ •

(٤) هو أبو المقدم - أو أبو نصر - رجاء بن حيوة بن جندل الكندي الشامي الفلسطيني
التابعي الامام ، روى عن كثير من الصحابة وخلق من التابعين وروى عنه جماعات من
التابعين وكان ثمة عالما فاضلا (عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي - تقديم وتعليق
أحمد الشرباصي هامش ص ٥٩) •
(٥) ثقل : أى اشتد مرضه •

قال : كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز

فقلت : أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما

فقال : هو والله على ذلك •

ثم قال : والله لئن وليته ولم أول أحدا سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبدا يلى عليهم الا أن يجعل أحدهم بعده ، فيزيد ابن عبد الملك أجعله بعده فان ذلك مما يسكنهم ويرضون به • (٦)

قلت : رأيك

فكتب سليمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ، أنى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم » •

وختم الكتاب •

وأرسل سليمان فى طلب صاحب الشرطة فلما حضر

قال : مر أهل بيتي فليجتمعوا

فأرسل صاحب الشرطة اليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا

ثم قال سليمان لوزيره رجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابتى هذا اليهم فأخبرهم أن هذا كتابى وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ، ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين •

قال : نعم

فدخلوا

فقال لهم سليمان : فى هذا الكتاب - وهو يشير لهم وهم ينظرون اليه فى يد الوزير - عهدى ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت فى هذا الكتاب •

فبايعوه رجلا رجلا

(٦) تذكر بعض الروايات. أن سليمان بن عبد الملك قال أيضا مشيراً الى استخلافه لعمر بن عبد العزيز « لا عقدين عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب » •
انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، تعليق أحمد هيد - طبعة ثانية ص ٢٩ •

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون قد أسند إلى شيئا من هذا الأمر ، فأشددك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة .

قال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفا .
فذهب عمر غضبان

قال رجاء : لقيني هشام به عبد الملك - وكان أخو الخليفة سليمان وكان يتطلع إلى المنصب .

فقال : يا رجاء إن بك حرمة ومودة قديمة ، وعندى شكر ، فاعلمني هذا الأمر ، فإن كان إلى علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت ، فليس مثلي قصر به ، فاعلمني فلك الله على ألا ذكر من ذلك شيئا أبدا .
فأبى رجاء وقال : والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسر إلى .

فانصرف هشام وهو قد يشس
ودخل رجاء على سليمان فاذا هو يعاني سكرات الموت .
وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
ومات فسبحاه رجاء بقطيفة خضراء
وأرسلت زوجة سليمان إلى رجاء تقول : كيف أصبح ؟

فأجاب رجاء : نائم وقد تغطى .

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق وأوصيته ألا يبرح حتى آتية ، فلا يدخل على الخليفة أحد ، فخرجت وأرسلت إلى صاحب الشرطة فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دائق .

فقلت : بايعوا

فقالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى .

قلت : هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمي في هذا الكتاب المختوم فبايعوا الثانية رجلا رجلا .

فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني أحكمت الأمر

قلت : قوموا إلى صاحبكم فقله مات .

فألوا : أنا لله وأنا اليه راجعون .

وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز

نادى هشام بن عبد الملك : لا نبايعه أبدا

قلت : أضرب والله عنقك ، قم فبايع

فقام يجر رجله

وأخذت بعمر بن عبد العزيز فأجلسته على المنبر

وقال عمر بن عبد العزيز « أنا لله وأنا اليه راجعون ، لكرايته

نتولى الخلافة (٧) »

وقال هشام بن عبد الملك « أنا لله وأنا اليه راجعون » لأنه نحي

عنها (٨) .

وتم ذلك في سنة تسع وتسعين هجرية .

وأراد عمر أن يتأكد منبيعة الناس له فخطب الناس وقال :

« أيها الناس ، اني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان مني فيه

ولا طلبت له ولا مشورة على المسلمين ، وانى قد خلعت ما فى أعناقكم

من بيعتى ، فاخاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون » .

فصاح المسلمون صيحة واحدة : « بل اياك نختار ، يا أمير

المؤمنين » (٩) .

ورؤى منامية عن خلافة « عمر بن عبد العزيز » :

وقد أحاطت بالبيعة لعمر بن عبد العزيز رؤى منامية مختلفة

أوردها بعض المؤلفين :

فكان عمران بن شرجيل بن حسنة يقول ان رجلا رأى فى المنام

ليلة ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أن مناديا بين السماء والأرض ينادى

(٧) « فلم يكن فى الخلافة مطمح ، فسلیمان بن عبد الملك كان له اولاده ومن عادة

خلفاء بنى أمية ايثار أولادهم بالاستخلاف ، فعل ذلك معاوية الثانى ثم فعله مروان حين

استخلف ولده عبد الملك وأراد عبد الملك حين أزداد تنحية أخيه عبد العزيز وأخذ البيعة

لولده الوليد » .

(٨) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٥٢ .

(٩) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - ص ٩٠ - طبعة دار

المعارف .

أتاكم الدين والدين واظهار العمل الصالح في المصلين فقال : ومن هو ؟
فنزل فكتب في الأرض : « عمر » (١٠) •

وعن وهيب بن الورد قال : بينما نحن خلف المقام اذ رأيت كأن
داخلا من باب بنى شيبة :

وهو يقول : يا أيها الناس ولي عليكم كتاب الله

فقلت : من

فأشار الى ظفري واذا مكتوب عليه : « عمر » ، فجاءت بيعة
عمر بن عبد العزيز « (١١) ، (١٢) » •

تحققت اذن نبوءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتولى خلافة الاسلام
والمسلمين من ولده رجل بوجهه شج •

مواصفات عمر تؤهله للإصلاح المالى :

حينما ولي عمر بن عبد العزيز امارة الدولة الاسلامية كانت صفاته
تنبئ بأنه سيقود بنجاح الإصلاح العام ومنه الإصلاح المالى - فقد

- التزم طريق التقوى •
- نهل من منابع العلم •
- أخذ بالشورى •
- أقام العدل •

ونوضح ذلك فيما يلي :

تقوى الأمير تصلح مسار المال العام :

عن تقوى عمر بن عبد العزيز قيل

- فاجأته أمه ذات يوم وهو طفل فى حجرته وحده يبكي وينتحب،
فألقت نفسها عليه متسائلة عما دهاه •

فكان جوابه « لا شئ » يا أماه - انما ذكرت الموت « !! (١٣)

(١٠) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشى - تقديم وتعليق أحمد الشرباصى
ص ٤١ - دار التوزيع والطباعة والنشر •

(١١) المرجع السابق - هامش ص ٤١ •

(١٢) رأينا ذكر الرؤى المتنامية لمجرد الإحاطة والعلم •

(١٣) معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - طبعة ثالثة ص ٢٨ •

— قال أنس بن مالك : ما صليت وراء امام أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى — يعنى عمر بن عبد العزيز — حين كان على المدينة • فكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود (١٤)

— قال عبد الله بن طاووس ق رأيت أبى تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء ، حتى أصبحت فلما افترقا

قلت : يا أبت من هذا الرجل ؟

قال : هذا عمر بن عبد العزيز وهو من صالحى هذا البيت — يعنى بنى أمية (١٥) •

— قال عبد الله بن كثير :

قلت لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء انابتك ؟

قال : أردت ضرب غلام لى قال لى : أذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة (١٦) •

— وجاء رجل الى سعيد بن المسيب

فسأله : من المهدي

قال سعيد : أدخلت دار مروان ؟

قال : لا

قال : فأدخل دار مروان ترى المهدي

فأتى الرجل دار مروان فرأى الأمير عمر بن عبد العزيز والناس مجتمعين •

فعاد الى سعيد بن المسيب وقال : يا أبا محمد دخلت دار مروان فلم أر أحدا ، أقول هذا المهدي •

فسأله سعيد : هل رأيت الأشج عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير ؟

(١٤) عمر بن عبد العزيز • ابن كثير القرشى — تعليق أحمد الشرباصى ص ٤٩ •

(١٥) المرجع السابق ص ٥٠ — عبد الله بن طاووس ثقة فاضل عابد وأبوه من كبار العلماء واقفوا على جلالة وعلمه وحفظه وصلاته •

(١٦) المرجع السابق ص ٥١ • وعبد الله بن كثير هو أحد القراء السبعة كان ثقة وله أحاديث صالحة •

قال : نعم

قال : فهو المهدي (١٧)

— لما خرج عمر بن عبد العزيز سنة ثمان وثمانين ومعه جماعة من قريش ، فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش فأخبروه أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحجيج العطش وذلك أن المطر قل .

فقال عمر : فالمطلب ها هنا بين ، تعالوا ندع الله .

فدعوا الله ودعا معهم فألحوا في الدعاء ، فلما كان الليل سسكت السماء ومطرت عرفة ومنى وجمع ونبتت مكة تلك السنة للخصب (١٨)

— وقال رياح بن عبيدة الباهلي الكوفي وكان من خواص عمر بن عبد العزيز ومن جلسائه — خرج عمر بن عبد العزيز الى الصلاة وشيخ متوكيء على يده .

فقلت في نفسي : ان هذا الشيخ جاف ؟

فلما صلي ودخل لحقته فقلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي أتكأته يدك ؟

فقال : يا رياح رأيته ؟

قلت : نعم

قال : ما أحسبك يا رياح الا رجلا صالحا ، ذلك أخى النضر ، أتاني فاعلمني أني سألى أمر هذه الامة وأنى سأعدل فيها (١٩) .

— أبان ولايته للمدينة أطاع عمر بن عبد العزيز أمر الوليد فجلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمكث يوما ثم مات . وكان الوليد بناء على كتاب من الحجاج يظن أن خبيب يعد للثار لأبيه وللوثوب على الملك .

ندم عمر على ما فعل ندما شديدا وأغلق على نفسه باب داره سبعين يوما ، ولما عزل عن المدينة في سنة ثلاث وتسعين وخرج منها التفت اليها وبكى .

(١٧) سعيد بن المسيب من المشتغلين بعلوم الحديث والفقهاء الذين كانوا يعرفون بأهم أهل الحديث أو التابعين . وقد سبق التنويه عنه .

(١٨) تاريخ الطبري جزء ٦ مرجع سابق ص ٤٣٨ .

(١٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي مرجع سابق ص ٥٧ ، ٥٨ وقد وردت في أكثر من مرجع . — رياح بن عبيدة الكوفي — سكن الحجاز وهو ثقة وكان من العباد .

وقال لمولاه : يا مزاحم نخشى أن تكون ممن نفت المدينة (٢٠) .

وكان في قوله يستند الى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم
« ان المدينة كالكير تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة
شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » . رواه مسلم (٢١) .

وكثيرا وهو خليفة ما كان يتذكر ذلك الحادث فيبكي بالرغم من أنه
دفع دية خبيب الى أوليائه لما استخلف .

فيقول له حواريوه المقربون .

فيم بكائك وقد وفقك الله لعمل أهل الجنة ؟

فتزداد دموعه ويقول : كيف بخبيب ؟؟ كيف بخبيب ؟؟ ان نجوت
من خبيب فأنا بخير (٢٢) .

— أحاط عمر بن عبد العزيز حكمه بتقوى الله وعبر عن ذلك
تعبيرا واضحا بالكثير من كلماته وخطبه وفيما يلي نموذج لاحدى خطبه :

« لقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده
سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة لدين الله ليس لأحد تبدلها
ولا الركون لأمر خالفها ، من اهتدى بها فهو المهتد .

ومن استنصر بها فهو المنصور ،

ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصله جهنم
وساءت مصيرا .

أيها الناس :

انه ليس بعد نبيكم نبي وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ،

فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال الى يوم القيامة ،

ألا وأنى لست بقاض وانما أنا منفذ ، ولست بمبتدع انما أن متبع ،

ولست بخيركم انما أنا منكم غير أنى أثقلكم حملا » (٢٣) .

(٢٠) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٨٢ .

(٢١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشى - مرجع سابق ص ٤٦ .

(٢٢) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ وسيرة

عمر لابن الجوزى ص ٣٣ - ٣٥ - عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٤٣ .

(٢٣) معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٨ .

— أصبحت تقواه فى عهده سمة عامة يتحادث بها الناس ويقتدون بها ، فيقول الطبرى « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضيايع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه ، فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع — فولى سليمان فكان صاحب نكاح وطعام — فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجورى .

فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ومتى تخرم ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ « (٢٤) .

فعمر بن عبد العزيز اذن كان من الأتقياء ، والتقوى فى المالية العامة الاسلامية ضرورية لتخطيط ايراداتها ونفقاتها وادارتها فتجعلها تنبع من مصادرها الأصلية وهى القرآن المجيد والسنة النبوية وتعصم مسارها من أهواء الحكام ونزعات العمال وتقومه بالاصلاح ان حاد عن الجادة ونكص عن الاستقامة .

علم الرئيس يشع على المالية العامة : —

علم رؤساء الدول ميزة كبرى تمكنهم من مناقشة وتوجيه واعتماد سياسات الدولة ومنها السياسية المالية ، ويصبح علم الرئيس ضرورة قصوى اذا كان يدير سياسات الدولة ادارة مباشرة ، كما كان الشأن فى عهود الاسلام الأولى ، فإشرافه المباشر على سياسة المالية العامة وتنفيذها يتطلب منه أن يتأكد من سلامة السياسة الموضوعة وأن تنفيذها يسير فى المسار السليم وأن الأموال العامة تدار ادارة رشيدة ولا يتحقق ذلك الا بالعلم والخبرة . وفى المالية العامة الاسلامية يتسع علم الرئيس ليشمل علوم القرآن وأحكام السنة وسائر العلوم المتصلة بها .

وهذا ما توفر فى « عمر بن عبد العزيز » قبل ولايته خلافة المسلمين .

— فقد جمع القرآن وهو صغير ، وبأن حرصه على العلم من صغره ، فيقول الزبير وابن بكار ان أول ما أستبين عن رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته فى الأدب ، ان أباه ولى مصر وهو حديث السن يشك فى بلوغه ، فأراد أبوه اخراجه معه الى مصر من الشام .

فقال له : يا أبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لى ولك ؟

(٢٤) الطبرى جزء ٦ — مرجع سابق ص ٤٩٧ .

قال : وما هو •

قال : ترحلنى الى المدينة فأقعد الى فقهاؤها وأتأدب بآدابهم (٢٥) •

فأرسله أبوه الى المدينة فقعده مع مشايخ قريش وتلقى العلم عنهم وأقبل على العربية وآدابها وشعرها فاستوعب محصولا وفيرا •

- وقد تحدث هو فيما بعد عن علمه فى طفولته •

فقال : « لقد رأيتنى بالمدينة غلاما مع الغلمان ثم تأقت نفسى للعلم فأصبت منه حاجتى » (٢٦) •

- والشهادات بعلمه كثيرة

كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه ، فلما حج أبوه اجتاز به فى المدينة فسأله عنه •

فقال الضحاك بن عثمان : ما خبرت أحدا الله أعظم فى صدره من هذا الغلام (٢٧) •

وعن ميمون بن مهران : أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أنه يحتاج إلينا فإذا نحن عنده تلاميذه (٢٨) •

وقال سفيان : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذه (٢٩) •

وعن مجاهد : أتينا عمر فما برحنا حتى تعلمنا منه (٣٠) •

وقال ابن وهب : حدثنى الليث عن أبى النصر المدينى ؟

قال : رأيت سليمان بن يسار خارجا من عند عمر بن عبد العزيز

فقلت له : من عند عمر خرجت ؟

قال : نعم

قلت : تعلمونه

(٢٥) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى تعليق أحمد الشرباصى ص ٤٥ •

(٢٦) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ص ٢٦ •

(٢٧) المرجع السابق ص ٢٩ - وصالح بن كيسان هو أبو محمد صالح بن كيسان اللدى ثقة ثبت فقيه مات بعد سنة ثلاثين ومائة هجرية •

(٢٨) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشى تعليق أحمد الشرباصى (ص ٥٠ •

(٢٩ ، ٣٠) المرجع السابق ص ٥٠ - ومجاهد هو مجاهد بن جبير كان من الأئمة

المعروفين •

قال : نعم

فقلت : هو والله أعلمكم (٣١) *

وقال الليث : حدثني رجل كان صاحب ابن عمر وابن عباس وكان
عمر بن عبد العزيز يستعمل الرجل على الجزيرة فقال :

« ما التمسنا علم شيء الا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس
بأصله وفرعه وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز الا تلامذه » (٣٢) *

وقال ابن وهب أيضا : حدثني الليث ، حدثني قادم البربري أنه
ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوما شيئا من قضايا عمر بن عبد العزيز
— اذ كان بالمدينة *

فقل ربيعة : كأنك تقول : أخطأ والذي نفسى بيده ما أخطأ
قط (٣٣) *

— وما يتصل بعلمه *

أن عمر بن عبد العزيز قضى فترة تدريب على الحكم قبل الخلافة ،
فلما مات أبوه وكان أمير مصر أخذه عمه عبد الملك بن مروان وكان على
رأس الدولة الإسلامية فخلطه بولده وزوجه بابنته فاطمة وكان قد ورث
عن أبيه الكثير من الأموال والمتاع والدواب . ولما مات عبد الملك وولى ابنه
الوليد بن عبد الملك ولاء المدينة والطائف من سنة ست وثمانين هجرية الى
سنة ثلاث وتسعين فتمرس على شئون الحكم وتدرّب على ادارة شئون
الدولة وقرب العلماء وأخذ عنهم وحج بالناس وساهم في بناء مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم ووسعه بأمر من الوليد بن عبد الملك فأدخل
فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه عزل عن المدينة في سنة ثلاث
وتسعين (٣٤) *

بالشورى يشترك الحاكم والرعية فى السياسة المالية :

أظهرت ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة أنه يدير ولايته بالشورى،
فقد كون مدة ولايته مجلسا للشورى من عشرة فقهاء وكان لا يقطع أمرا
بدونهم أو من حضر منهم وهم :

(٣١) المرجع السابق ص ٤٩ . سليمان بن يسار الهلالي المدني أحد الفقهاء السبعة ،
سمع الكثير من الصحابة والتابعين وروى عنه الكثير من التابعين — كان ثقة عالما فقيها عابدا
كثير العلم *

(٣٢) المرجع السابق ص ٥٠ *

(٣٣) المرجع السابق ص ٤٩ *

(٣٤) عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ٤٢ وما بعدها *

- عروة بن الزبير
- عبيد الله بن عتبة
- أبو بكر عبد الرحمن الحارث بن هشام
- أبو بكر سليمان بن أبي خيثمة
- سليمان بن يسار
- القاسم بن محمد
- سالم بن عبد الله بن عمر
- عبد الله بن عبد الله بن عمر
- عبد الله بن عامر بن ربيعة
- خارجة بن زيد
- وحدد اختصاصهم فقال لهم :

« انى انما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ، وما أريد أن أقطع أمرا الا برأيكم أو برأى من حضر منكم ، فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامه ، فأنشدكم بالله على من بلغه ذلك الا بلغنى - فخرجوا يجزونه خيرا (٣٥) »

كما كان يستشير سعيد بن المسيب ولا يخرج عن قوله ، وقد كان سعيد بن المسيب لا يأتى أحدا من الخلفاء ولكنه كان يأتى الى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة (٣٦) •

والحاكم حينما يطبق الشورى يطيع أمر الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم بالأخذ بالشورى ، فقد قال سبحانه وتعالى « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » (آل عمران/ من ١٥٩) •

ويطبق مبدءا عاما وهو أن المؤمنين أمرهم شورى بينهم •

فقال جل وعلا « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى/ من ٣٨) •

والشورى لازمة فى سياسة المال العام شأنها شأن باقى السياسات العامة للدولة واذا كانت المالىات العامة الحالية تتضمن بشأنها دساتير الدول أحكاما توجب المشورة باستطلاع رأى ممثلى الشعب فى مسائل المالية العامة ، فتتقضى بأن لا تفرض ضريبة ولا يعفى منها الا بقانون وبأن

(٣٥) الطبرى ج ١ ص ٤٢٧ - مرجع سابق •

(٣٦) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير تقديم الشرباصى - مرجع سابق ص ٤٨ •

تعرض على المجالس النيابية الموازنة العامة للدولة وحساباتها الختامية
للمناقشة والاعتماد .

وإذا كان من حق ممثلي الشعب الآن أن يناقشوا مسائل المالية العامة
للدولة في أى وقت فما ذلك كله الا انبثاقا من مبدأ الشورى الذى قرره
الاسلام من مئات السنين .

العدالة المالية أحد دعائم السلطان :

ظهرت سمة العدل كعنصر من عناصر شخصية عمر بن عبد العزيز
حينما كان واليا على المدينة ، فقد راعه أن بنى هاشم فى المدينة ومكة
لا ينالون حظهم من عطاء بيت المال بينما الآخرون يرفلون فى النعيم من
الأموال العامة ، فطلب من الوليد أن يعطى بنى هاشم وآل البيت أسهمهم
من الغنائم والفيء والعطاء ، وتلك حقوقهم ، فأبى الوليد .

كما تعود عمر اذا جاءه أحد من آل البيت أن يأذن له بالدخول مهما
كانت مشاغله ويقول له أمام الجميع :

« انى لأستحي من الله أن تقف ببابى ولا يؤذن لك » (٣٧) .

قالت فاطمة بنت على بن أبى طالب وهى عجوز :

« دخلت على عمر بن عبد العزيز أمير المدينة فأخرج الحرس والناس
ثم قال لى يا ابنة على والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب الى منكم ،
ولأنتم أحب الى من أهل بيتى » (٣٨) .

كما أوضح عمر بن عبد العزيز للخليفة حينما كان واليا على المدينة
مظالم الحجاج الثقفى التى كان يرتكبها فى الكوفة بكل من يخالف رأيه
واسرافه فى الاموال العامة على كل من يريد أن يصطفيه ويشترى رأيه
وقتل بالظن الآلاف من المسلمين بغير بينة أو دليل ، وما زال يبلغ الخليفة
بأعماله حتى كتب الخليفة للحجاج يوجهه للامتناع عن ذلك .

ولكن الحجاج رد بأنه انما قتل أهل المعصية وأثاب بالاموال أهل
الطاعة وبذلك دعم ملك الخليفة ولا يعد ذلك تمذيرا ، وأخبر الحجاج الوليد
بأن أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا الى المدينة

(٣٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ١٥٠ .

(٣٨) خامس الراشدين - عبد الرحمن الشرقاوى . سلسلة مقالات عن عمر بن

عبد العزيز بجريدة الأهرام - عدد ١٩٨٥/٦/٢٦ .

ومكة وإن عمر بن عبد العزيز يحتضنهم وأن ذلك مما يؤمن ملكه ويضعف سلطانه ، فعزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة (٣٩) .

وتمسك عمر بالعدل ينبع من طاعته لأمر الله جل وعلا بالعدل في كثير من الآيات منها قوله سبحانه وتعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعماً يعظكم به ، ان الله كان سميعاً بصيراً »
(النساء / ٥٨) .

وأمر الله جل وعلا بالعدل بين أهل الكتاب في آية :

« وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين »
(المائدة/ من ٤٢) فالعدل اذا يعتبر أساساً من أسس الولاية الصالحة وهو سمة لازمة لسياسات المالية العامة بل أساس من أسسها ، فمراعاة العدالة تؤدي الى توزيع الأعباء العامة على المواطنين حسب مقدرة كل منهم ، كما أنها تؤدي الى أن ينال كل ذي حق حقه من بيت المال من خدمات أو عطاء على قدم المساواة دون اجحاف أو تمييز .

وهكذا فان تقوى عمر بن عبد العزيز وعلمه وأخذه بالمشورة وعدله كانت كلها تنبئ حينما ولى أمر المسلمين بأنه سيقود مسار المالية العامة للدولة الاسلامية قيادة ناجحة ، وهو ما سننتبينه في الأبواب التالية .

الفصل الثانى

أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

سياسة عمر بن عبد العزيز المالية من خطبه وأقواله :

تشجع أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز مما أعلنه فى بعض الخطب والكلمات العامة التالية :

— غداة تولى عمر بن عبد العزيز إمارة الدولة الإسلامية ألقى الخطاب التالى :

« أوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شىء وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فانه هادم اللذات وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله وأن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتبها ولا فى نبيها وانما فى الدينار والدرهم وأنى والله لا أعطى أحدا باطلا ولا أمنع أحدا حقه » .

ثم رفع صوته فقال :

« أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيت فلا طاعة لى عليكم » (١) .

— وبعد تولى الخلافة :

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر : أكتب لى سيرة عمر حتى أعمل بها (٢) .

(١) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى — تقديم وتعليق احمد الشرباصى ص ١٠٧

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ .

ـ وقال لعتمته وقد جاءته ثبيل شكوى عائلة الخليفة من منع العطاء المميز عنهم ومن مساواتهم بسائر الافراد واسترداد عمر لما كان قد تقرر من اموال لبني عبد الملك وأولادهم وردھا الى بيت المال والى أربابھا :

فرفض وقال :

« يا عمة اعلمي ان النبي صلى الله عليه وسلم مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده فلم يستقض منه شيئا حتى مات ثم ولى ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقية ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقى حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه ، وأيم الله لئن أبقاني الله لأردنه الى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط واذا كان الظلم من الأتارب الذين هم بطانة الوالى والولى لا يزيل الظلم فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء فى غيرهم » (٣) .

ـ وعن أهمية سياسة العمالة واتصالها بالسياسة المالية قال :

« ان للسلطان أركانا لا يثبت الا بها فالوالى ركن والقاضى ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا » (٤) .

وبتحليل الأقوال السابقة يتبين أن سياسة المالية العامة لعمر بن عبد العزيز قامت على الأسس التالية :

ـ قرر وجود تجاوزات فى تنفيذ السياسة المالية العامة لمن سبقه من أمراء بنى أمية ، ويستدل على ذلك بقوله :

« ان هذه الأمة لم تختلف فى ربھا ولا فى كتبھا ولا فى نبیھا وانما فى الدينار والدرهم » .

ـ أعلن عزمه على تطبيق الفرائض المالية والسياسة المالية عموما التى كانت مطبقة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، ويتضح ذلك من تأكيده « بأنه ان أبقاه الله ليردن النهر المورد الذى تركه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مجراه الأول » .

ويتضح ذلك أيضا من طلبه سيرة عمر بن الخطاب ليعمل بها ، ومنها العمل بسيرته فى السياسة المالية .

ومن سيرة عمر بن الخطاب فى السياسة المالية ما يلي :

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .

(٤) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٨٦ .

أعلن غداة توليه الخلافة اختصاصه بالمال العام بجانب شئون الخلافة
فقال :

« من أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله تبارك وتعالى جعلني
له خازنا وقاسما » .

وأعلن سياسته المالية بشأن الإيرادات العامة والنفقات العامة فقال :
« أيها الناس انه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية واني
لا أجد هذا المال « يقصد المال العام » يصلحه الا خلال ثلاث أن يؤخذ
بالحق ويعطى في الحق ويمنع من الباطل » وحدد ما يأخذه من المال العام
فقال :

« انما أنا ومالككم كولى اليتيم ان استغنيت استعفت وان افتقرت
أكلت بالمعروف » .

وعن الادارة بالعدل في الجباية قال :
« لكم على ألا أجتبي شيئا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم الا من
وجهه » .

وعن الادارة بترشييد الانفاق العام قال :
« ولكم على اذا وقع في يدي (أى المال العام) ألا يخرج مني
الا بحقه » .

وعن سياسة العطاء قال :
« ولكن على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم ان شاء الله وأسدد ثغوركم » .
وعن منع الظلم ورد المظالم قال :

« ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يعتدى عليه حتى أضع خده على
الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يدعن للحق » (٥) .

— ومن أقوال عمر بن عبد العزيز في البند السابق يستنتج أيضا
أنه قرر أن يزيل ما اعترى السياسة المالية من مخالفات ما دام قد عزم
على تطبيق ما كان يطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
من بعده وأن عزمه ورد مطلقا فيشمل تنقية الإيرادات العامة والنفقات
العامة والادارة المالية من المخالفات المالية .

— كما يستنتج أيضا أنه عزم على ترشييد الانفاق العام :

— ويؤيد ذلك قوله « لا أعطى أحدا باطلا » .

(٥) انظر كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ٢٣ .

فإنفاق المال العام سيكون خاليا من الباطل ملتزما بالعدل لا سرف فيه ولا تبذير .

– وعزم على التزام الكفاءة والصلاحية في تعيين ولاية الدولة وعمانها خصوصا من يزاولون أمور المال العام حينما اعتبر أن صاحب بيت المال ركن من أركان أربعة لتثبيت السلطان .

– ونوى عمر بن عبد العزيز أن يحيط إدارة السياسة المالية بإطار من المبادئ التي تنبثق من التقوى حينما دعا الناس الى التمسك بها .

– وقرر كذلك أن تقوم السياسة المالية على أساس حصول كل صاحب حق على حقه من بيت المال أى إزالة مخالفات العطاء ويدعم ذلك قوله « ولا أمنع أحدا حقا » .

– وصمم على تطبيق سياسة يرد بها المظالم ، حينما أعلن تصميمه على رد المظلم بادئا بأقاربه وبطانته .

ومما سبق يتضح أن السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز قامت على أسس من الإصلاح المالى وهى نفس أوجه الإصلاح التى تطلبتها إزالة المخالفات المالية التى شابت عهد أمراء بنى أمية قبله والتى نوهنا عنها فى ختام الفصل السابق .

سياسة الإصلاح الاقتصادى مع الإصلاح المالى :

ارتبطت سياسة الإصلاح المالى فى عهد عمر بن عبد العزيز بسياسته لإصلاح المسار الاقتصادى وقامت على تحرير اقتصاد الدولة الإسلامية من القيود وإطلاق حريته ، فأذاع تعليمات وأقوال عامة لتحقيق المبادئ التالية :

- فتح باب الهجرة للجميع .
 - إطلاق حرية التجارة والمعيش .
 - حرية العمل والعمال والغاء السخرة .
 - المزارع للجميع .
 - عدم التدخل فى الاسعار .
- ونحلل فيما يلى تعليماته وأقواله بشأن المبادئ الاقتصادية السابقة :

فتح باب الهجرة

كتب عمر بن عبد العزيز لولاته قائلا « افتحوا للمسلمين باب الهجرة » (٦) .

وبذلك أصبح حق الهجرة متاحا لمن يريد ، والناس يهاجرون عادة لتحسين أحوالهم الاقتصادية والمعيشية أو لطلب العلم ، كما أن الهجرة تؤدي الى تحقيق استثمار الأراضي الجديدة وإمكانية تعمير المدن الحديثة ، وقد أمر الله جل وعلا الناس بالسعى والهجرة .

فقال سبحانه وتعالى « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة » (النساء من / ١٠٠) .

وقال جل وعلا : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (الملك من / ١٥) .

وكانت الهجرة من مكة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم أحد وسائل نشر الدين الاسلامي واعلاء رايته .

حرية التجارة والمعيش أولى من الضرائب والكوس :

قال عمر بن عبد العزيز « ان البر والبحر لله جميعا سخرهما لعباده ليتغنوا فيهما من فضله فكيف نحول بين عباد الله وبين معاشهم » ففتح طريق البحر للتجارة الحرة ومنع الضرائب المتصلة بها (٧) . وكان يستشهد بقول الله جل وعلا :

« الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله » (الباقية/ من ١٢) .

فحيثيات عمر بن عبد العزيز فيما ذهب اليه قد بنيت على أساس ديني وهو أن الله سبحانه وتعالى سخر البر والبحر للناس ، فأية قيود - ولو كانت تؤدي الى جباية أموال عامة لبيت المال تحد من هذا التسخير وتقييد انطلاق معاش العباد فينبغي ازالتها .

حرية العمل :

حرية العمل هي حق الانسان أن يتخير من العمل ما يشاء وأن يزاوله كما يشاء فلا يجوز للدولة ولا لغيرها أن تسخر العامل للعمل اذا كان لا يريد واذا أدى العامل عملا لا بد أن ينال عنه الأجر المناسب وقد

-
- (٦) معجزة الاسلام : عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ، ص ١٧٥
 - (٧) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ، ص ١٧٥
 - وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد عبيد طبعة ثانية ص ٨٢

اعتنق عمر بن عبد العزيز هذه السياسة وألزم بها عماله فأرسل لهم التعليمات التالية :

« ليكون لكل عمل أجره فضعوا السخرة عن الناس (٨) » •

المزارع للجميع :

ويقول عمر بن عبد العزيز لولاته :

« انما جعلت المزارع لأرزاق المسلمين كافة •• فردوها لما جعلت له (٩) » •

وبذلك يحرر الأرض الزراعية من أية قيود تحول دون زراعتها وتمتع الناس كافة بنتائجها كاحتكار الدولة لها أو استيلاء طائفة من الناس على نتائجها وتكوين طبقة من الاقطاعيين يتحكمون في غلاتها ، هذا وقد تبني الفيزقراطيون في القرون الوسطى بعد عمر بن عبد العزيز مبدأ حرية العمر وضرية التجارة وكان شعارهم تلك الجملة :

« أتركه يعمل أتركه يمر » *Laisser faire laisser passer*

وهم بذلك دعا الى حرية العمل أى يكون الناس أحراراً فى أن يستخدموا جهودهم كيفما يشاءون وترك الناس أحراراً يزاولون حرية الاستبدال والاتجار فى داخل البلاد وخارجها (١٠) •

عدم التدخل فى الأسعار :

وحدث أن ارتفعت الاسعار فى عهد عمر بن عبد العزيز فطالبه البعض بتحديد الأسعار فأبى تمسكاً بسياسة الحرية الاقتصادية •

فعن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه قال :

قلت لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالية فى زمانك وكانت فى زمان من قبلك رخيصة ؟

قال عمر بن عبد العزيز : ان الذين كانوا قبلى كانوا يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم ، فلم يكونوا يجدون بدا من أن يبيعوا ويكسبوا ما فى أيديهم وأنا لا أكلف أحدا الا طاقته ، فباع الرجل كيف شاء •

فقلت : لو أنك سمرت •

(٨) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٦٨ •

(٩) المرجع السابق ص ٨٣ •

(١٠) الاقتصاد السياسى - الجزء الأول - طبعة ثالثة - د • أحمد محمد إبراهيم

قال : ليس إلينا من ذلك شيء إنما السعر لله (١١) •

مما سبق يتضح أيضا أن عمر بن عبد العزيز كان لا يكلف أهل الذمة فوق طاقتهم كما كان يفعل من سبقه من الولاة الذين كانوا يظلمونهم فأدت زيادة العبء عليهم وتعجيل أدائهم إلى اضطرابهم لبيع سلعهم بخسارة ليسددوا التكاليف الباهظة التي فرضت عليهم والا تعرضوا للأذى وللتعذيب ، ولذلك كانت الأسعار رخيصة بسبب زيادة عرض السلع وزيادة غير طبيعية ، أما في زمن عمر بن عبد العزيز حيث لم يحمل أهل الذمة إلا بما يستحق عليهم بالعدل فتمكنوا من تنظيم عرض سلعهم في ظل العوامل الطبيعية للسوق واستحقوا عنها الثمن العادل وإن كان مرتفعا في عهد عمر بالمقارنة بعهد من كانوا قبله •

تمنى عمر المساواة بين الأغنياء والفقراء :

يبين مما سبق أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالنظام الاسلامي في السياسة الاقتصادية وهي حرية الأفراد في مزاولة الأنشطة الاقتصادية على أن يلتزموا في مزاولتها بأحكام الاسلام ويؤدون من ثرواتهم ما عليهم من التزامات ومنها حقوق الفقراء •

غير أن مما يؤثر عن عمر بن عبد العزيز ويتصل بالسياسة المالية والاقتصادية قوله « وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى يستوى الكل » (١٢) •

وقد خُص البعض أنه بذلك أعلن الاشتراكية •

والواقع أن عمر بن عبد العزيز لم يعلن الاشتراكية بالمعنى الذي تقصده المذاهب الاشتراكية التي ظهر أغلبها في القرن التاسع عشر بعد عهد عمر بمئات السنين والتي تشترك بأنواعها المختلفة في ثلاثة أمور تميزها عن المذاهب الأخرى وهي :

- إلغاء الملكية الخاصة إلغاء كلياً وجزئياً •
- تنظيم الانتاج والتوزيع بواسطة المجموع •
- وذلك لتحقيق نوع من المساواة الفعلية (١٣) •

(١١) الحراج لأبي يوسف ص ١٣٢ •

(١٢) عمر بن عبد العزيز ، سعد عبد السلام حبيب ص ٨١ نقلا عن الموسوعة التاريخية

لعمر أبو النصر ص ١٠٦ •

(١٣) الاقتصاد السياسي - جزء أول طبعة ثالثة - د. أحمد محمد إبراهيم ص ٧١ •

فلم يقصد عمر بن عبد العزيز أن يأخذ بالغاء الملكية الخاصة الغاء كلياً أو جزئياً واستبدالها بملكية المجموع ليصبح أمرها بين يدي الدولة باعتبارها ممثلة للجماعة ، ولم يرد أن يستبدل ملكية القطاع الخاص للمشروعات الاقتصادية في عهده لتمتلكها الدولة أو هيئاتها العامة ، وذلك لأن الاسلام الذي يحكم به يقر الملكية الخاصة .

ولم يرد عمر بن عبد العزيز تنظيم الانتاج والتوزيع تنظيمياً إدارياً عاماً فتحل مسئولية المجموع محل مسئولية الفرد الذي يغدو مجرد موظف يخضع لما يملأ عليه .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز قد تمنى تحقيق المساواة بين الكل فإن بواعث هذه المساواة تختلف عن بواعث مساواة الاشتراكيات التي نشأت في القرن التاسع عشر ، فتري تلك الاشتراكيات أن عدم المساواة ظلم وأن الأغنياء مغتصبون لحقوق الفقراء وأن الذي جعل هذا الاغتصاب ممكناً هو نظام الملكية الخاصة ولهذا نادوا بالقضاء عليها قبل كل شيء .

فمحور بواعث المساواة عند الاشتراكيين هو الملكية الخاصة فيعتبرونها مغتصبة ويرتبون على هذا الاغتصاب الغاء الملكية الخاصة وهو ما يتعارض مع تعاليم الاسلام الذي يقر حق التملك والملكية الخاصة للأموال باعتبار أن المال العام أصلاً مال الله وأن ملكية المسلم للأموال باعتباره خليفة الله وعليه أن يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قيماً أميناً وإعياً بأداء التكليف التي كلفه الله بها والامتناع عما نهى عنه في إدارته وتنميته وتوريثه (١٤) .

ويؤيد ذلك قوله تعالى :

« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » « النور/ من ٣٣) .

وقوله جل وعلا :

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » (الحديد/ من ٧) .

فمساواة عمر لم تخرج عن دائرة التمني ولو أراد تنفيذها لجعل الدولة تتدخل وتتخذ الاجراءات والوسائل التي تضع هذا التمني موضع التحقيق ، ومن هذه الوسائل تطبيق سياسة مالية تقوم على تحقيق المساواة بين الأغنياء والفقراء .

(١٤) للتفصيل يمكن الرجوع لكتابتنا - الاطار الأخلاقي للمالية المسلم - طبعة الهيئة

المصرية العامة للكتاب ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

وكل ما تمناء عمر هو أن يقترب من المساواة اما عن طريق توسيع الاغنياء بالتطوع بالأموال للفقراء بعد أداء حقوقهم المشروعة كالزكاة المفروضة والكفارات ، ودائرة التطوع بالأموال في الاسلام دائرة واسعة تؤيدها آيات عديدة من القرآن المجيد .

فمن آيات الله جل وعلا التي تحض على البذل والعطاء :

« من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » (البقرة / ٢٤٥) .

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » (الحشر/ من ٩) .

« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا » (الانسان / ٨ - ١٠) .

« فلاقترح العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ❶ أو اطعم في يوم ذى مسغبة ❷ يتيما ذا مقربة ❸ أو مسكينا ذا متربة . » (البلد/ ١١ - ١٦) .

تأصيل المذهب الاقتصادي في عهد عمر بن عبد العزيز :

مما سبق وفي ضوء تعاليم الدين الاسلامي يمكن استنتاج أن المبدأ الذي طبقه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هو مبدأ الحرية الاقتصادية وعدم التدخل الا في الحالات التي يشير بها الاسلام .

وقد تبلور هذا المبدأ على أساس أن الله جل وعلا قد أوجد نظاما طبيعيا تخضع له الظواهر الاقتصادية وهو أفضل من كل النظم التي تتمخض عنها القوانين الوضعية وأقدرها على توفير السعادة والرخاء للأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة وأنه اذا ترك لكل فرد حريته الشخصية دون تدخل من الدولة في شئونه الاقتصادية فانه يخدم مصالحه على أفضل وجه وهو في نفس الوقت يخدم مصلحة المجموع كما أن للفرد أن يمتلك ما يشاء من الثروات ويتم ذلك كله في اطار من تعاليم الدين الاسلامي فلا يظلم البائع المشتري ولا يبخس المشتري البائع ، كما أن بخس الكيل والميزان والغش والربا والاكتناز والاحتكارات من المحظورات في الاسلام ، فتعاليم الدين الاسلامي اذا طبقت بالكامل كفيلة أن تحقق الثمن العادل للسلع ، ولا خوف من أن يضار أصحاب الدخول المحدودة من ارتفاع الاسعار لأن نظام الزكاة في الاسلام يفرض لهم حقوقا في أموال

الأغنياء ، ولا تقتصر هذه الحقوق على الزكاة المفروضة ، بل ان فى أموال الأغنياء حقوقاً فوق الزكاة اذا كانت الزكاة المفروضة لا تكفيهم ، فتدخل الدولة فى الأسعار لا يكون الا اذا خولفت أحكام الاسلام كأن يكون ارتفاعها نتيجة غش أو احتكار أو تجارة فى محرم أو بخرس كيل أو تطفيف ميزان ، وغير ذلك من المحرمات والمحظورات •

نطاق تنفيذ اصلاح السياسة المالية :

يسرى اصلاح السياسة المالية على جميع عناصرها وهى الإيرادات العامة والتنفقات العامة وإدارة المالية العامة ، ويترتب على ذلك أنه فى المالية العامة الاسلامية ، يطبق الاصلاح على :

- إيرادات الزكاة ونفقاتها المخصصة أى موازنة الزكاة •
 - إيرادات خمس الغنائم ونفقاتها المخصصة أى موازنة خمس الغنائم •
 - إيرادات الجزية والجراج وعشور التجارة ونفقاتها العامة أى موازنة الجزية والجراج وعشور التجارة •
 - إدارة المالية العامة •
 - نظام العطاء •
 - ازالة أية مظالم مالية •
- ونوضح فى الأبواب التالية ما قام به عمر بن عبد العزيز من اصلاح بادئين بموازنة الزكاة •

الباب الثالث

الاصلاح المالى للموازنة العامة للزكاة
والموازنة العامة لخمس الغنائم

الفصل الأول

الإصلاح المالى للموازنة العامة للزكاة

الإصلاح المالى لايرادات الموازنة العامة للزكاة

المنهج العام لإصلاح موازنة الزكاة :

شملت إصلاحات موازنة الزكاة فى عهد عمر بن عبد العزيز إيراداتها ومصارفها العامة ، وقامت هذه الإصلاحات على أساس إرجاع أحكامها الى الكتاب والسنة وتطبيقات الخلفاء الراشدين ، مع مراعاة ذلك فيما صدر من فتاوى وفيما اذيع من تعليمات وفيما تم من تنفيذ ، وبذلك اتجه عمر بن عبد العزيز الى تنقية أمور الزكاة العامة مما كان قد علق بها من شوائب وما ألم بها من تجاوزات وما اعتراها من مخالفات ، وهو اتجاه أقام أمر الدين فى أمور الزكاة .

وفيما يلى تفاصيل ما تم من إصلاحات فى جانب الإيرادات العامة لموازنة الزكاة ثم يليها ما تم من إصلاحات فى جانب النفقات العامة لها :

طلب كتاب الرسول فى الصدقات :

حين أستخلف عمر بن عبد العزيز أرسل الى المدينة يلتمس كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فى الصدقات فوجده عند آل عمرو بن حزام (١) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب الصدقة ولم يخرجها الى عماله حتى توفى فأخرجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه من بعده فعمل بها حتى توفى ثم أخرجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعده فعمل بها ، ولشدة عناية عمر بن الخطاب بأمر الصدقة والمحافظة على العمل بما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن كتاب الصدقة

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - لشيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني ص ٣١ - طبعة المجلس الأعلى للثغنون الاسلامية .

والعمل بما فيه بوصيته . ويجزم ابن شهاب الزهري بأن نسخة كتاب الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم كانت عند آل عمر وأخرجها سالم بن عبد الله بن عمر للزهري فقرأها ووعاها على حقيقتها دون شك ، وانتسخ عمر بن عبد العزيز نسخة منها وهو خليفة للعمل بما فيها ، والذي قدمها عبد الله وأخوه سالم ابنا عبد الله بن عمر .

وأوضح سالم بن عبد الله بن عمر نقلا عن أبيه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موضوع الكتاب فقال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة فلم يخرجها الى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه فعمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض فكان فيه :

فى خمس من الابل شاة ، وفى عشر شباتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين ابنة مخاض (٢) الى خمس وثلاثين فاذا زادت واحدة ففيها بنت لبون (٣) الى خمس وأربعين ، فاذا زادت واحدة ففيها بنتا لبون الى تسعين فاذا زادت واحدة ففيها حقتان (٤) الى عشرين ومائة ، فان كانت الابل أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقه وفى كل أربعين ابنة لبون .

وفى الغنم فى كل أربعين شاة شاة الى عشرين ومائة ، فاذا زادت واحدة فشأتان الى مائتين ، فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة ، فاذا كانت الغنم أكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة - وليس فيها شيء حتى تبلغ المائة .

ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة ، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية ولا تؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عيب .

أخرجه البيهقي فى سننه الكبرى .

ثم قال : قال الزهري : اذا جاء المصدق قسمت الشاء أثلاثا : ثلثا شرار وثلثا خيار وثلثا وسط فيأخذ المصدق من الوسط .

ثم قال : ولم يذكر الزهري البقر

(٢) ابنة المخاض : هى التى اتى عليها الحول ودخلت فى الثانى .

(٣) ابنة اللبون : هى التى دخلت السنة الثالثة وصارت أما لبون بوضع الحمل .

(٤) الحقة : بكسر الميم وهى التى أتت عليها ثلاث سنوات ودخلت فى الرابعة .

ثم زاد في رواية أخرى عن سفيان بن حسين بإسناده ومعناه قال :
« فان لم تكن بنت مخاض فابن لبون » (٥) •

وتحرى عمر بن عبد العزيز عن هذا الكتاب وحصوله عليه أو على نسخة منه يوضح مدى تمسكه بتطبيق قواعد الزكاة بدقة كما سنراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين رغبته في التيقن مقدما من تفاصيلها حتى اذا أذاعها على الناس سار هو والأمة على المنهج السليم •

عمر بن عبد العزيز يؤكد سنوية زكاة أرباح التجارة :

عن قطن بن فلان قال : مررت بواسطة زمن عمر بن عبد العزيز فقالوا :

« قرئ علينا كتاب أمير المؤمنين » أن لا تأخذوا من أرباح التجارة شيئا حتى يحول عليها الحول » (٦) •

وحدثنا معاذ عن ابن عوف قال أتيت المسجد وقد قرئ الكتاب فقال صاحب لي « لو شهدت كتاب عمر بن عبد العزيز في أرباح التجارة أن لا يعرض حتى يحول عليها الحول (٧) •

وباصدار عمر بن عبد العزيز لهذا الكتاب يكون قد طبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قرر مبدأ سنوية الزكاة فقال « لا زكاة في مال حتى يحول عليها الحول » •

وحكمة تحديد السنة أن الزكاة لا تؤخذ الا من النماء وهذا يتطلب وقتا جرت العادة بتحديدده بسنة ، ويستثنى من ذلك الخارج من الأرض لأن النماء يمكن أن يتحقق في أقل من سنة •

هذا ويثير التطبيق العملي لمبدأ سنوية زكاة التجارة في العصر الحديث المسائل التالية :

— يمسك التجار حديثا حسابات منتظمة توضح في نهاية كل سنة مالية نتيجة مزاولة نشاطهم فهل تستحق الزكاة في نهاية السنة نفسها أم في نهاية السنة التالية لها ؟

الراى أن الزكاة تستحق في نهاية السنة نفسها لأن الأرباح تتحقق على مدار السنة ابتداء من أولها حتى آخرها ، فان كانت هناك أرباح قد

(٥) المنتخب من السنة - المجلد السادس ص ١٧٧ - ١٨٢ - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •

(٦ ، ٧) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٥٠٩ •

تحققت فى نهاية السنة فقد تحققت أيضا بعض الأرباح فى بدء السنة ، وقد يكون ما تحقق فى الفترة الأخيرة من السنة خسائر أكلت جزءا من ارباح أول السنة فيخضع الصافى للزكاة • وتأخير استحقاق الزكاة على الأرباح لسنة تالية يؤدى الى مرور أكثر من عام على بعض الأرباح وهى التى تحققت فى أوائل العام الذى خضع صافى ربحه للزكاة •

— اذا توقف التاجر عن عمله كليا أو جزئيا سرت الزكاة على الأرباح التى تحققت حتى تاريخ التوقف وتستحق فى نهاية العام الذى حدث فيه التوقف الكلى أو الجزئى ، لأن شرط مرور الحول واجب التطبيق استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قضى بمرور الحول •

على أنه اذا رأى المسلم أن يبادر بأداء الزكاة تقربا لله سبحانه وتعالى خوفا من أن يهلك المال قبل استحقاق الزكاة فلا يجد ما يؤدى به حق الله ، فان ذلك أفضل •

— والمقصود بالربح هو الربح الصافى بعد خصم جميع التكاليف وتحميل كل سنة بما يخصها من المصاريف ، ولا تخصصم احتياطات لمقابلة أية خسائر محتملة لأن الخسائر المستقبلية غير متيقنة • ويكفى أن يكون الربح قد تحقق فعلا حتى تسرى عليه الزكاة وليس من الضرورى أن يكون هذا الربح قد قبض فعلا •

— واذا كان كتاب عمر بن عبد العزيز قد أوضح خضوع أرباح التجارة للزكاة فانه مما تشمله الزكاة أيضا أية أموال أخرى غير مستغلة فى التجارة •

اخضاع عمر بن عبد العزيز السمك للزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله فى عمان

« أن لا يأخذ من السمك شيئا حتى يبلغ مائتى » •

أو قال « فإذا بلغ مائتى درهم فخذ منه الزكاة » (٨) •

ومما يدعم اخضاع أنشطة وأموال السمك للزكاة حديثا أنه تستثمر فيها رؤوس أموال ذات شأن فى زراعته وإقامة صناعاته والتجارة فيه •

(٨) الاموال لأبى عبيدة - ص ٤٣٤ •

زكاة الحمص والعدس :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين بعته الى اليمن أن يأخذ الصدقة من الحنطة والشعير والنخل والعنب .

ويبدو أن البعض اعتبر ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فزادوا في الأنواع التي تؤخذ منها الزكاة .

ومن زادوا ابن عباس .

فعن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال « الصدقة في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسلت (٩) والزيتون ، » .

ومنهم من التزم النص كما بن عمر .

فعن صدقة الثمار والزرع قال « ما كان من نخل أو عنب أو حنطة أو شعير » .

وكان عمر بن عبد العزيز من الذين زادوا .

فكتب أن يؤخذ من الحمص والعدس الزكاة ، وكان في سبيله « ويؤخذ من القطنى » (١٠) على نحو مما يؤخذ من الحمص والعدس الزكاة (١١) .

ونرى الأخذ برأى من زادوا ، لأن الزراعة تتطور وتظهر أنواع جديدة من المحاصيل لم تكن موجودة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا ما ثبت أن الخلفاء الراشدين نهوا عن خضوعه للزكاة ، لقول عمر وعلى وعائشة « ليس في الخضروات زكاة » (١٢) .

رأى عمر بن عبد العزيز في زكاة العسل :

يورد أبو عبيدة في كتابه الأموال رأيين مختلفين لعمر بن عبد العزيز في زكاة العسل فقال « حدثنا مروان بن شجاع عن خصيف أن عمر بن عبد العزيز رأى في العسل العشر » (١٣) .

وقال أيضا « حدثنا ابن بكير عن مالك عن أنس عن عبد الله بن أبي بكر قال :

« جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبى أن لا تأخذ من الخيل ولا من العسل صدقة » (١٤) .

(٩) السلت : نوع من الشعير أبيض لا قشر له .

(١٠) القطنى : كالعدس والحمص واللوبيا والأرز وغيرهم .

(١١) الأموال لأبى عبيد - ص ٥٧٠ - مرجع سابق .

(١٢) المرجع السابق - هامش ص ٥٦٩ .

(١٣ ، ١٤) المرجع السابق ص ٥٩٩ ، ٦٠٠ .

ولعله من التوفيق بين الرأيين نقول أنه إذا كان العسل فى أرض الخراج فلا صدقة فيه لأن العشر والخراج لا يجتمعان على أرض ، ذلك لأن الخراج يدفعه الذمى إذا كان على أرض آلت للدولة الإسلامية ورؤى ابقاؤه عليها وليس عليه زكاة لأنها على المسلمين ، أما إذا كان العسل فى أرض مسلم فيدفع عن العسل والمحاصيل الزكاة إذا توفرت شروطها ويؤيد ذلك أن عمر بن الخطاب قال فى زكاة العسل :

« ما كان فى السهل ففيه العشر وما كان منه فى الجبل ففيه نصف العشر » (١٥) .

خضوع الابل التى تعمل بالريف للزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة - أن تؤخذ الصدقة من الابل التى تعمل فى الريف (١٦) ويرى البعض عدم الخضوع .

فعن هشام عن الحسن قال « ليس فى الابل العوامل والبقر العوامل صدقة » ولربما كان عدم الخضوع بسبب أنها عاملة فتعتبر أداة من أدوات انتاج المحاصيل .

ليس فى الخيل السائمة زكاة :

عن معمر عن سماك بن الفضل عن عمر بن عبد العزيز قال « ليس فى الخيل السائمة زكاة » (١٧) وبذلك يطبق عمر بن عبد العزيز سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد حدث بن عيينه عن أبى اسحاق عن الحارث عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفونا لكم عن صدقة الخيل والرقيق » ويرى أبو عبيد أن الزكاة تجب فى الخيل إذا كانت للتجارة وتسقط عن السائمة (١٨) .

ليس فى الأوقاص صدقة :

الأوقاص جمع وقص وهو ما بين النصابين ، فمن المعروف مثلا أن صدقة البقر من كل ثلاثين تبيعا ومن كل أربعين مسنة ومن الستين تبيعين ومن السبعين مسنة وتبيعا ومن الثمانين مسنتين ومن التسعين ثلاثة أتابعين ومن المائة مسنة وتبعين ومن العشرين ومائة ثلاثة مسنات أو أربعة أتابعين .

(١٥) المرجع السابق ص ٥٩٩ ، ٦٠٠ .

(١٦) المرجع السابق ص ٤٦٦ .

(١٧ ، ١٨) المرجع السابق ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

وقد يحدث أن يملك المسلم عددا من البقر ما بين النصابين أى
أزيد من النصاب السابق وأقل من النصاب اللاحق ، فيكون لديه مثلا
واحد وثلاثون بقرة أو اثنان وثلاثون وهكذا حتى تسع وثلاثون .

فهل تستحق الزكاة على ما زاد عن الثلاثين وقل عن الأربعين ؟

أجاب على ذلك عمر بن عبد العزيز فكتب : « أن ليس فى الأوقاص
شئ » (١٩) .

وهو فى ذلك يطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد
قال معاذ بن جبل حينما كان باليمن « لست بأخذ من أوقاص البقر شيئا
حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان رسول الله لم يأمرنى
فيها بشئ » (٢٠) .

وعن يحيى بن الحكم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« ان الأوقاص لا صدقة فيها » .

وما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وطبقة عمر بن عبد العزيز
تفادى صعوبات عملية فى تطبيق زكاة الأنعام وما كان يثيره من خلاف
بين المصدقين والمتصدقين .

أخذ عمر بن عبد العزيز الصدقة من المعادن :

عن عبد الله بن أبى بكر أن عمر بن عبد العزيز كتب « أن خذ من
المعادن الصدقة ولا تأخذ منها الخمس » (٢١) .

ونرى أن المعادن تخضع للزكاة اذا تملكها المسلم وهضى عليها الحول
وتوفرت فيها سائر شروط الاختضاع ، ويؤخذ منها الخمس اذا كان المعدن
ركازا والركاز هو المعدن الذى يوجد مدفونا فى الأرض فيستحق عليه
لبيت المال الخمس وقت العثور عليه فى باطن الأرض باعتباره غنيمة
ويستند فى ذلك لحديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
« فى الركاز الخمس » والركاز فى ذلك يختلف عن اللقطة .

فعن عمر بن شعيب أن المزنى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم عن اللقطة توجد فى الطريق العام فقال : عرفها سنة فان جاء
صاحبها والا فهى لك .

(١٩ ، ٢٠) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢١) المرجع السابق ص ٤٢٤ .

قال : يا رسول الله فما يوجد فى الحرب العادى .

قال : فيه وفى الركاز الخمس (٢٢) .

حجز الزكاة من المنبع :

من طرق تحصيل الضرائب حديثاً حجزها من المنبع فتؤخذ من الايراد قبل أن يؤول لصاحبه ويحصل على الايراد الصافى بعد خصم الضرائب المستحقة عليه ، وميزة هذه الطريقة فى التحصيل أنها تضمن للدولة تحصيل مستحققاتها كاملة بسهولة ويسر .

وقد طبق عمر بن عبد العزيز طريقة الحجز من المنبع فى تحصيل الزكاة .

قال يزيد : كان عمر بن عبد العزيز اذا أعطى الرجل عمالته « أى أجره » أخذ منها الزكاة واذا رد المظالم أخذ منها الزكاة وكان يأخذ الزكاة من الاعطية اذا خرجت لأصحابها (٢٣) .

وعن ميمون بن مهران قال :

« كتب الى عمر بن عبد العزيز فى مال رده على رجل فأمرنى أن أخذ منه زكاة ما مضى من السنين » (٢٤) .

تحصيل الصدقة بالعدل :

حدث عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد فقال :

ان مما كان عمال عمر بن عبد العزيز يصنعون بالمدينة فى أخذ الصدقة ، أن يفرق المال ثلاث فرق ثم يختار صاحبها ثلثاً ثم يأخذ صاحب الصدقة حاجته من الثلث الثانى (٢٥) .

وعمال عمر بن عبد العزيز بهذا الأسلوب فى أخذ الصدقة انما يطبقون نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليماته لعمال الصدقات بالعدل فى تحديد قيمة الصدقة .

فيقول صلى الله عليه وسلم « المعتدى فى الصدقة كما نعمها » (٢٦) .

(٢٢) المرجع السابق ص ٤٢١ .

(٢٣ ، ٢٤) الأموال لأبى عبيد مرجع سابق ص ٥٢٩ .

(٢٥ ، ٢٦) المرجع السابق ص ٤٩٤ .

ومما قاله عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه لليمن « .. فأعلمهم صدقة أموالهم فان أقرؤا بذلك فخذ منهم واتق كرائم أموالهم وإياك ودعوة المظلوم فإنه ليس لها دون الله حجاب » .

ويسير عمر بن عبد العزيز في ذلك أيضا بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فقد قال لمصدقيه « اذا مررتم بصاحب المال فلا تنسوا الحسنة ولا تنسوها صاحبها ، وفرقوا المال ثلاث فرق فخيرها صاحب المال ثلثا ثم اختاروا من أحد الثلثين .. » (٢٧) .

تحصيل الصدقة في مكان المتصدق :

حدث أبو معاوية عن عبد الله بن فلان أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

كتب عمر بن عبد العزيز « أن صدقوا الناس على مياهم وبأفنيهم » ومعنى ذلك أن ممثل بيت المال الذي يأخذ الصدقة لا يجوز له أن يطلب من أرباب الأغنام أن يأتونه بها الى حيث يقيم ليقدروها ويحدد الصدقة الواجبة ، بل عليه أن ينتقل الى مكان وجود هذه الأنعام لدى أربابها ويأخذ الصدقة ، لأنه ان فعل خلاف ذلك أضره الأنعام وأربابها ، وقد يضر ذلك الأنعام وأربابها ولا ضرر ولا ضرار في الاسلام ، فضلا عن أن تحديد قيمة الزكاة الواجبة في مكان الأنعام تجعل المصدق على يقين من عددها فيحدد بيقين أيضا قيمة الصدقة الواجبة .

وعمر بن عبد العزيز بذلك يطبق تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم فتح مكة « لا جلب ولا جنب ولا شغار في الاسلام ولا تؤخذ صدقات المسلمين الا على مياهم وبأفنيهم » فالرسول صلى الله عليه وسلم يوضح أنه لا ينبغي للمصدق أن يقيم بموضع ثم يرسل الى أهل المياه ليحلبوا اليه مواشيهم فيصدقها ولكن ليأتينهم على مياهم حتى يصدقها هناك » (٢٨) .

(٢٧) الحراج لأبي يوسف ص ٨١ .

(٢٨) المرجع السابق ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

الفصل الثاني

الإصلاح المالى لنفقات موازنة الزكاة الإصلاح المالى وموازنة خمس الغنائم

أولا : الإصلاح المالى لنفقات موازنة الزكاة

إذاعة مصارف الزكاة :

أذاع عمر بن عبد العزيز مصارف الزكاة فى بعض كتبه فقال :
« ثم فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة على أمر الله فى
العين والحراث والماشية وبين مواضع ذلك فقال •
« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » •
حتى استقامت سنتها فى الأخذ حين تؤخذ وفى القسمة حين تقسم ،
فيعمل بها المسلمون فى جزيرة العرب حتى علموها أو كل ذى عقل
منهم » (١) •
وقال أيضا •

« وأما الصدقات فان الله تبارك وتعالى فرضها وسمى أهلها حين
طعن فيها أناس وبلغوا فيها تهمة نبهم فقال : (ومنهم من يلمزك فى
الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يستخطون) •

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - طبعة ثانية
ص ٦٠ ، ٦١ •

فقال الله ببارك وتعالى عند ذلك : (انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) فبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدقة الأموال : الحرث والمواشي والذهب والورق
فتؤخذ الصدقات كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض
لا يظلمون ولا يتعدى عليهم ، ولا يحابى بها قريب ، ولا يمنعها أهلها
ثم تجعل الى مرضيين من أهل الاسلام ، فيجعلونها حيث أمرهم الله
يحملهم الامام من ذلك على ما حمل ، وينزه نفسه من ذلك من أمور قد أكثر
فيها على الأئمة ، (٢) .

وأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب بكتابة السنة فى مواضع
الصدقة فكتب ما يلى :

هذه منازل الزكاة ومواضعها ان شاء الله وهى ثمانية أسهم فسهم
الفقراء وسهم للمساكين وسهم للعاملين عليها وسهم للمؤلفة قلوبهم وسهم
فى الرقاب وسهم للغارمين وسهم فى سبيل الله وسهم لابن السبيل .

فسهم للفقراء نصفه لمن غزا منهم فى سبيل الله أول غزوة حين
يفرض لهم من الامداد وأول عطاء يأخذونه ثم تقطع عنهم بعد ذلك
الصدقة ، ويكون سهمهم فى عظم الفى والنصف الباقي للفقراء من الزمنى
(يعنى ذوى العاهات) والمكث الذين يأخذون العطاء ان شاء الله .

وسهم المساكين نصفه لكل مسكين به عاهة لا يستطيع حيلة
ولا نقلب فى الأرض والنصف الباقي للمساكين الذين يسألون ويستطعمون
ومن فى السجون من أهل الاسلام ممن ليس له أحد ان شاء الله .

وسهم العاملین عليها ينظر فيمن سعى على الصدقات بأمانة واعفاف
اعطى على قدر ما ولى وجمع من الصدقة واعطى عماله الذين سبوا معه
على قدر ولايتهم وجمعهم ، ولعل ذلك أن يبلغ قريبا من ربع هذا السهم
بعد الذى يعطى عماله ثلاثة أرباع فيرد ما بقى على من يغزو من الامداد
(جمع مد وهم الجنود الذين يمد بهم الجيش المحارب) والمشرطة ان
شاء الله .

وسهم المؤلفة قلوبهم لمن يفترض له من امداد الناس أول عطاء
يعطونه ومن يغزو مشترطا لا عطاء له ، وهم فقراء ، ومن يحضر المساجد
من المساكين الذين لا عطاء لهم ولا سهم ولا يسألون الناس ان شاء الله .
وسهم الرقاب نصفان : نصف لكل مكاتب يدعى الاسلام وهم على
اصناف شتى : فلفقهاهم فى الاسلام فضيلة ولمن سواهم منهم منزلة

أخرى على قدر ما أدى كل رجل منهم وما بقى عليه ان شاء الله ، والنصف الباقي تشتري به رقاب من صلى وصام وقدم في الاسلام من ذكر وأنثى فيعتقون ان شاء الله .

وسهم الفارمين على ثلاثة أصناف : منهم صنف لمن يصاب في سبيل الله في ماله وظهره (اسم لما يركب) ورقيقه وعليه دين لا يجد ما يقضى ولا ما يستنفق الا بدين ، ومنه صنفان لمن يمكث ولا يغزو وهو غارم وقد أصابه فقر ، وعليه دين لم يكن شيء منه في معصية الله ولا يتهم في دينه - أو قال في دينه ان شاء الله .

وسهم في سبيل الله فمنه لمن فرض له ربع هذا السهم ومنه للمشتراط الفقير ربعه ، ومنه لمن تصيبه الحاجة في ثغره وهو غاز في سبيل الله ان شاء الله .

وسهم ابن السبيل يقسم ذلك لكل طريق على قدر من يسلكها ويمر بها من الناس ، لكل رجل رجل من ابن السبيل ليس له مأوى ، ولا أهل يأوى اليهم ، فيطعم حتى يجد منزلاً أو يقضى حاجته ، ويجعل في منازل معلومة على أيدي أمناء لا يمر بهم ابن السبيل له حاجة الا آووه وأطعموه وعلفوا دابته ، حتى ينفذ ما بأيديهم ان شاء الله .

ومن الكتاب السابق يمكن ابراز النقاط التالية :

- من الأوضاع المحمودة في المال العام ان تصدر تعليمات عامة توضح تطبيق أحكامه لأن ذلك يمنع الخلاف في التطبيق ويقلل من الاستفسارات والاستيضاحات التي تنشأ خلال التنفيذ .

- أن الكتاب اتسم بشمول جميع مصارف الزكاة وبذلك غطى جميع حاجات المحتاجين وحقق جميع أهداف مصارف الزكاة .

- قسم الكتاب كل مصرف من مصارف الزكاة الى فئتين أو أكثر وبذلك اتسم بالوضوح واليقين والوضوح واليقين من العناصر التي تضافى على الفرائض المالية سمة الاتقان والجودة .

- علق أحدهم على هذا الكتاب بقوله « لا شك أن هذا الكتاب العظيم في قسم الصدقات يعتبر دستوراً كاملاً في هذا الباب ، فانه لم يدع ذا حاجة من المسلمين الا سد حاجته فرحم الله بن شهاب » (٣) .

وبالرغم من شمول الكتاب السابق ووضوحه ، فان تعليمات أخرى كانت تصدر من عمر بن عبد العزيز تعالج حالات التطبيق ، كما يتضح مما يلي :

(٣) الأموال لأبي عبيد - ص ٦٩١ - ٦٩٣ - مرجع سابق .

تحديد الحد الأدنى لحاجات كل مسلم من بيت المال :

أرسل عمر بن عبد العزيز تعليمات الى ولايته مجددا ضرورات كل مسلم من بيت مال المسلمين فقال :

« لا بد لكل مسلم من مسكن يأوى اليه ٠٠٠ وخادم يكفيه مهنته ٠٠٠ وفرس يجاهد عليه عدوه ٠٠٠ وأثاث في بيته ٠٠٠ فوفروا ذلك كله ٠٠٠ ومن كان غارما فاقضوا عنه دينه » (٤) .

فبيت المال اذن بناء على تعليمات عمر بن عبد العزيز يتكفل لكل مسلم غير قادر بما يلي .

— مسكن مؤثث وخادم : وذلك باعتبار أن المسكن ضرورة من ضرورات الحياة يقيم فيه المسلم وتسكن فيه نفسه وباعتبار أن الأثاث من مستلزمات المسكن وكذلك الخادم في حالة عجز المسلم ، وينوء القرآن الكريم عن المسكن فيقول جل وعلا :

« وأوحينا الى موسى وأخيه أن نبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » (يونس / ٨٧) .

ويقول سبحانه وتعالى أيضا :

« والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » (النحل / ٨٠) .

وفى الأونة الحديثة تكفل بعض الدول انشاء مساكن لحدودى الدخل نظير ايجار مخفض أو تملكها لهم مقسطة الثمن على آجال طويلة ، كما تكفل للمنكوبين ممن تعرضوا لكوارث فقلدوا فيها مساكنهم مساكن أخرى لايوائهم ، كما تنشئ الملاجئ لايواء وسكن يتامى الفقراء وأمثالهم .

— فرس للجهاد : وهو ضرورى للمسلم باعتبار أن الجهاد فرض عين على المسلم اذا هجم العدو على بلدة من بلاد المسلمين وتسمى هذه الحالة بالنفير العام يقتضى معه خروج جميع المسلمين المطيقين للقتال ، واذا عجز أهل تلك البلدة عن مقاومة العدو فرض القتال على الأقرب من المسلمين . حتى تقع الكفاية فاذا وقعت الكفاية لم يجب القتال على غيرهم .

(٤) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ٣٦ .

وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من آية تحض على الجهاد منها :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة / ٣٥) .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبة / ٤١) .

– تضمنت تعليمات عمر بن عبد العزيز كذلك قضاء دين الغارمين من أموال الزكاة ومن المعروف ان مصرف الغارمين هو أحد مصارف الزكاة ، والغارمون هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم فيأخذون من مال الزكاة بشرط أن لا يكون المدين قد استدان في سفاهة أو صرف الدين في معصية . ومن الغرماء من يتحمل حماله لمنع قيام فتنة ونزاع فيصلح بين المتخاصمين ويتحمل في سبيل ذلك دية يدفعها من ماله الخاص ويعود ويستردها من بيت المال فيؤديها له بيت المال من أموال الزكاة .

وأداء دين الغرماء الذي تضمنته تعليمات عمر بن عبد العزيز يؤدي الى اطمئنان الدائنين وسيولة التمويل بين الدائنين والمدينين فلا يكسد الاقتصاد العام بسبب نقص السيولة ولا يقل تدفق الانتاج نتيجة لذلك .

انفاق على سهم المؤلف قلوبهم :

من بين وجوه انفاق الزكاة الانفاق لتأليف القلوب للاسلام ، وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعطي من الزكاة لتأليف قلوب رؤساء القبائل لكف الأذى عن الاسلام وتقوية اسلام من دخلوه حديثا ، ونهج أبو بكر الصديق نهج الرسول ، غير أن عمر بن الخطاب أوقف الانفاق على المؤلف قلوبهم لأن الدولة الاسلامية قوية ولأن الاسلام قوى وتدعم في النفوس فزالت بذلك حكمة الانفاق على التأليف .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز أعطى من بيت المال بطريقا ألف دينار ليتألفه وبذلك اجتهد وبرهن على مرونة التشريع الاسلامي وفتح الباب للابتكار الذي يؤدي لمصلحة الأمة ولا يخالف نصا من القرآن والحديث (٥) .

انفاق على فداء الأسرى :

عن صالح بن جبير أن عمر بن عبد العزيز أعطى رجلا مالا يخرج به

(٥) الامام الشافعي – تأليف الاستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣١٨ . اصدار المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

لقدنا، الأسارى فقال الرجل : يا أمير المؤمنين انا سنجد ناسا سافروا الى العدو طوعا • أفنقديهم ؟

قال : نعم

قال : وعبيدا فروا واماء •

فقال : افدوهم •

ولم يذكر له صنف من الناس من جند المسلمين الا أمر بفدائهم (٦) •
وبلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز بأسرى المسلمين أنه كان يكتبهم ويطلبهم بأن بيت المال ينفق على أهلهم ويبرئهم بأنه بعث اليهم من يفاديهم جميعا •

فقد قال بكر بن خنيس : كتب عمر الى الأسارى بالقسطنطينية :

أما بعد فأنكم تعدون أنفسكم أسارى معاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله ، واعلموا أني لست أقسم شيئا في ريعتي الا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه ، ولولا أنني خشيت ان زدكم أن يحبس طاغية الروم عنكم لزدتكم ، وقد بعثت اليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم ، وذكركم وأنثاكم ، وحرركم ومملوكم بما سئل به ، فأبشروا ثم أبشروا والسلام عليكم (٧) •

وهو في ذلك ينهج نهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

فقد قال : لأن أستنقذ رجلا من المسلمين من أيدي الكفار أحب الى من جزيرة العرب •

وقال ابن عباس : قال ابن الخطاب رضي الله عنه « كل أسير كان في أيدي المسلمين فكأكاه من بيت مال المسلمين » (٨) •

الانفاق على مصرف « ابن السبيل » :

كتب عمر الى سليمان بن أسى السرى عامله على سمرقند « أن اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروهم يوما وليلة وتعهدهوا دوابهم ، فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين ، فان كان منقطعا به فاقروه بما يصل لبلده (٩) •

(٦) الأموال لأبي عبيد ص ١٦٨ ، ١٦٩ •

(٧) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق احمد عبيد - طبعة ثانية

مرجع سابق ص ١٤٠ •

(٨) الحراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١٩٦ •

(٩) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٦٧ •

فمن هذا الكتاب يبين أن عمر عم نظام بيوت الضيافة لتستضيف الغرباء من المسلمين أثناء مرورهم ببلاد غير بلادهم ، وكان النظام يقضى بضيافة من يمر يوما وليله وتعهده دابته ، فإذا كان من يمر مريضا ضوعفت مدة الضيافة ، فإن كان متقطعا عنه المال فيمد بما يمكنه من الوصول لبلده ، وتمويل هذه الضيافة كان من أموال الزكاة باعتبار أن «صرف ابن السبيل ، أحد مصارفها الثمانية » .

بيت المال ينفق على سارق محتاج :

أتوا الى عمر بن عبد العزيز يوما بسارق ، فشكا اليه الحاجة والفاقة ، فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم .

وبهذا غلب عمر بن عبد العزيز حاجة المسلم على سرقة ، لأن الحاجة كانت سببا للسرقة فلولوها لما سرق ولو كان بيت المال قام بواجبه بكفالة المحتاجين لما فعل فعلته ، وعمر بن عبد العزيز في ذلك قد أقنئى بما سبق أن فعله عمر بن الخطاب .

فقد سرق غلمان لحاطب ناقة لرجل من مزينة فانتحروها ، فرفع ذلك الى عمر فأمر عمر بقطع أيديهم ثم أوقف تنفيذ الحكم .

وقال لحاطب : أراك تجيعهم (أى لا يشبع غلمانهم فسرقوا) والله لا غرمك غربا يشق عليك .

ثم قال لصاحب الناقة : كم ثمن ناقتك .

فقال : كنت والله أمتعها من أربعمئة درهم .

فقال عمر لحاطب : أعطه ثمانمئة درهم .

فقطع يد السارق عقاب للجاني اذا لم تضطره الحاجة .

وفي عام المجاعة أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن قطع يد السارق طبقا لقول الله جل وعلا « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » (١٠) .

ويرى الامام أحمد بن حنبل أنه لا يجوز قطع يد السارق في عام المجاعة ويحمل الدولة وبيت المال توفير الطعام للجائعين ويحمل المياسير مسئولية الأخذ بيد المحرومين ، وبإلقاء مسئولية اطعام الجائعين على الدولة وبيت مالها في عام المجاعة يمتنع إقامة الحدود بسند شرعى فلا يختل نظام

(١٠) الامام الشافعى ناصر السنة وواضع الأصول - نايف الأستاذ عبد الحليم الجبدي
ملحة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

الدولة بعدم تطبيق الحدود اذا لم يكن عدم التطبيق مستندا الى التشريع .
كما أن تحميل المياسير مسئولية الأخذ بيد المحرومين يقيهم نهبة
أموالهم .

بل يوجب الامام أحمد دية القاتل على الذين لا يقتلون لكنهم يمتنعون
عن اطعام الجوعى فيموتون من جوعهم وهي درجة فى ايلاف الجماعة لم
تبلغها أى شريعة ٠٠٠ الا الحنيفية السمحاء (١١) .

اتساع الانفاق العام على التكافل الاجتماعى :

فى عهد عمر بن عبد العزيز اتسعت أنشطة الدولة للتكافل الاجتماعى
فشملت أنواعا جديدة من الرعاية وذلك على النحو التالى :

- بدأ بحصر المستحقين للتكافل الاجتماعى من أرباب العاهات
والعجزة ، فكتب الى الاهصار أن يرفعوا اليه بيان بكل أعمى أو مقعد أو
من به فالج ومن به عجز يحول بينه وبين القيام للصلاة .
- أمر لكل أعمى بقائد يقوده ويقضى له حاجياته .
- عين خادما لكل اثنين من العجزة من غير العميان .
- عين للمرضى من يسهر على خدمتهم وراحتهم .
- أطعم الطعام ففتح دور الطعام فأمر بأن يخصص طعاما للمساكين
والفقراء وأبناء السبيل .
- أنشأ الخانات فى البلاد وأمر عماله بأن يقرى من مر بهم (١٢) .

صرف الزكاة فى مكان المتصدق :

الزكاة تؤخذ من أغنياء البلد وترد على فقرائها وذلك استنادا لحديث
الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أرسل معاذا لليمن ، فطلب منه أن
يدعو الناس للإسلام ومن أركانه الزكاة ويقول لهم « أن الله فرض عليكم
صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد فى فقرائكم » ، وهذا هو ما أكدته
عمر بن عبد العزيز فكتب الى عماله :

« أن ضعوا شطر الصدقة وابعثوا الى بشرطها » ثم كتب فى العام
المقبل « أن ضعوها كلها » وحدث على بن ثابت عن سفيان بن سعيد
« أن زكاة حملت من الرى الى الكوفة فردها عمر بن عبد العزيز الى الرى » .

(١١) أحمد بن حنبل - امام أهل السنة - للأستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣١٨ -
طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(١٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص ٤٨ ، ٥٧ .

وعلى ذلك فان جهل المصدق فحمل الصدقة من بلد الى بلد آخر
سواه وبأهلها فقر اليها ، ردها الامام اليهم كما فعل عمر بن عبد العزيز .

وفى ذلك يقول أبو عبيد « والعلماء اليوم مجمعون على أن أهل كل
بلد من البلدان أو ماء من المياه أحق بصدقتهم ما دام منهم ذوى الحاجة
واحد فما فوق ذلك ، وإن أتى ذلك على جميع صدقتها حتى يرجع الساعى
ولا شئ معه منها (١٣) » .

وقد سبق أن طبق عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفس المبدأ ، ففي
عهد أعاد معاذ بن جبل الى اليمن فبعث اليه معاذ بثلاث صدقة الناس ،
فأنكر عمر بن الخطاب ذلك .

وقال لمعاذ : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من
أغنياء الناس فتردها على فقرائهم .

فقال معاذ : ما بعثت اليك بشئ وأنا أجده أحدا يأخذه منى .
فلما كان العام الثانى بعث اليه شطر الصدقة فتراجعا بمثل ما راجعه
من قبل .

فقال معاذ : ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا (١٤) .

(١٣) الأموال لأبى عبيد ص ٧١٠ مرجع سابق ٧١٠ .
(١٤) المرجع السابق ص ٧٠٩ وكتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ١٠١ .

الاصلاح المالى لموازنة خمس الغنائم

موازنة خمس الغنائم :

أوضحنا أن موازنة خمس الغنائم تتكون مواردنا من خمس ما يؤول من غنائم تسفر عنها فتوحات الاسلام وأن نفقاتها لله وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل تنفيذا لقوله جل وعلا :

« واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسته وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (الانفال / ٤١) .

ونناقش فيما يلى الايرادات هذه الموازنة ونفقاتها فى عهد عمر بن عبد العزيز .

ايرادات خمس الغنائم :

لم تعبء الدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز الجيوش للجهاد ما عدا مناوشات صغيرة مع الترك والحوارج (١٥) فقد استعاض عن زحف الجيوش بكتبه التى كان يرسلها الى ملوك الهند وحكام مقاطعتها يدعوهم الى الاسلام فأسلم أكثرهم متأثرين بما كان قد تراسى اليهم من أنباء ورعه وزهده وتقواه ، كذلك كتب الى البربر فى افريقية يدعوهم الى الاسلام فدخلوا فيه أفواجا وكتب الى ملوك ما وراء النهر فأسلم أكثرهم ورفعوا راية الاسلام (١٦) .

(١٥) الفصل الثانى من الباب الخامس أوضحنا فيه هذه المناوشات .

(١٦) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - دار المعارف - طبعة ثالثة - ص ١٦٧

خالد محمد خالد .

وكان عمر غداة نوليه الخلافة قد أمر بسحب جيش الدولة الذي كان يحاصر القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية) وكان على رأسه مسلمة بن عبد الملك وكاد الحصار قبل عهد عمر أن يؤتى أكله ويفتح أبواب العاصمة لولا خدعة ورط فيها القائد الروماني (أليون) مسلمة بن عبد الملك فردت القوة عجزا والنصر هزيمة فتفتشى المرض والمجاعة فى جيش المسلمين وانقطعت خطوط تموينه .

وعلى ذلك يمكن القول بصفة عامة أنه لم تتحقق موارد عامة تذكر من خمس الغنائم فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وأن ما قد يكون هناك من موارد من هذا المصدر ببيت المال هو من غنائم فتوحات سبقت عهده .

نفقات خمس الغنائم :

يذكر أبو يوسف « أن عمر بن عبد العزيز بعث بسهم الرسول وذوى القربى الى بنى هاشم » (١٧) .

ويعتبر هذا الاجراء من اجراءات الاصلاح المالى لعمر بن عبد العزيز لان الامراء السابقين من بنى أمية كانوا قد حرموهم ، ليس من نصيبهم فى الخمس فقط بل من عطائهم العام الذى كانوا يستحقونه من بيت مال المسلمين شأنهم شأن باقى المسلمين . فعل هذا بالرغم من معارضة بنى أمية وتلكؤ الى المدينة فى التنفيذ خشية سطوة امراء بنى أمية .

فقد استقر رأى عمر بعد مداورة الفقهاء أن لهم حق أولى القربى وهم أولو قربى الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الحق يعطيهم خمس خمس الفى الذى يؤول لبيت المال وحسب المختصون قدر المال الذى حرموا منه منذ عهد معاوية فوجدوه آلاف مؤلفة وكان بنو هاشم أيضا قد بلغ تعددهم عشرات الآلاف ، انتشروا فى الأمصار فأمر عمر بحصرهم وإيتائهم حقوقهم حيث كانوا .

وكتب عمر الى محمد بن حزم عامله على المدينة بأن يقسم فى ولد على بن أبى طالب عشرة آلاف دينار .

فتلكا أمير المدينة فلما علم عمر بذلك أرسل اليه يستحثه .

فرد أمير المدينة : ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش ، ففى أى ولده أقسم عشرة آلاف دينار .

(١٧) الخراج لأبى يوسف مرجع سابق ص ٢١ .

فكتب اليه عمر ساخرا : لو كتبت اليك فى شاة تلذبحها لكتبت الى اسوداء أو بيضاء ، اذا أذاك كتابى هذا فاقسم فى ولد على من فاطمة عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم .

هذا وموارد الخمس المتبقية من الفتوحات السابقة على عهد عمر بن عبد العزيز قد ساهمت فى الانفاق على اليتامى والمساكين وابن السبيل بجانب موارد الزكاة ، ولليتامى والمساكين وأبناء السبيل فيها نصيب .

ضم الخمس للفى والتوزيع منهما معا :

رأى عمر بن عبد العزيز ضم موارد الخمس والفى ثم التوزيع منهما معا على الأمة بما فيهم اليتامى والمساكين وابن السبيل استنادا الى أن الانفاق على الرسول وذى القربى وعليهم ورد فى آية : الفى والخمس . واقتداء بما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب بذلك الى عماله فقال :

« وأما الخمس فان من مضى من الأئمة اختلفوا فى موضعه ، فطعن فى ذلك طاعن من الناس وأكثر فيه ، ووضع مواضع شتى ، فنظرنا فإذا هو على سهام الفى فى كتاب الله ، لم تخالف واحدة من الاثنتين الأخرى فإذا عمر بن الخطاب رحمه الله قد قضى فى الفى قضاء قد رضى به المسلمون . فرض للناس عطية وأزاقا جارية لهم ، ورأى أن لن يبلغ بتلك الأبواب ما جمع من ذلك . ورأى أن فيه لليتيم والمساكين وابن السبيل ، فرأى أن يلحق الخمس بالفى ، وأن يوضع موضعه التى سمى الله وفرض ، ولم يفعل ذلك ليتنزه منه . وخيفة التوهم فيه ، فاقصدوا بإمام عادل ، فان الآيتين متفقتان آية الفى وآية الخمس ، فان الله قال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١٨) (الحشر / ٧) .

وكذلك فرض الله الخمس ، فنرى أن يجمعها جميعا فيجعلها فينا للمسلمين ولا يستأثر عليهم ولا يكون دولة بين الأغنياء منهم » (١٩) .

(١٨) خامس الراشدين - عبد الرحمن الشرفاوى - عدد الأهرام ١٤/٨/١٩٨٥ .
(١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد - الطبعة الثانية - مرجع سابق ص ٨٠ ، ٨١ .

الباب الرابع

الاصلاح المالى لايرادات موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة

الفصل الأول

الإصلاح المالى لايرادات الجزية

الأسس العامة لإصلاح الجزية

قامت إصلاحات عمر بن عبد العزيز لفريضة الجزية على الأسس التالية :

- توضيح الغامض من حالات الانخضاع للجزية .
- تنظيم عقد معاهدات صلح الجزية وتنفيذها .
- تحديد مدى التزام الورثة بجزية مورثهم .
- إبداء الرأى فى بعض تصرفات أهل الكتاب .
- تأكيد المعاملة الطيبة لأهل الكتاب .

وجلاء غموض الفرائض المالية وتثبيت وتنفيذ أحكام تعاقدهما واتفاقيتهما ومعاملة مموليها معاملة طيبة يرسى أسس العدالة المالية مع أهل الكتاب فالعدل شيمة من شيم الإسلام والمسلمين ، وبذلك يكون عمر ابن عبد العزيز قد أقام فى شئونها أمر الدين .

وفيما يلى تفاصيل حالات الإصلاح :

كتاب يوضح أسس الجزية :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله عدى بن اوطاه :

« أما بعد فان الله سبحانه وتعالى انما أمر أن تؤخذ الجزية ممن :
رغب عن الاسلام واختار الكفر عتيا وخسرانا مبينا ، فضع الجزية على من
أطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض . فان فى ذلك صلاحها لمعاش

المسلمين وقوة على عدوهم ، وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنة وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فاجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه . فلو أن رجلا من المسلمين كان له مملوكا كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق ، وذلك أنه بلغنى أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل أبواب الناس .

فقال : ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية فى شيبتك ثم ضيعناك فى كبرك ثم أجرى عليه من المال ما يصلحه (١) .

وبتحليل الكتاب السابق يتضح أنه تضمن المبادئ التالية :

— تفرض الجزية طبقا لطاقة تحمل أهل الكتاب ، وبذلك تكون قد قامت على العدالة .

— يترك من كان منهم يزرع الأرض ويعمرها فى عمله وبذلك يزيد الانتاج ويعود خيره على الدولة الإسلامية .

— يجرى على شيوخ أهل الكتاب والمرضى ومن عجز منهم عن الكسب الارزاق من بيت المال ، وفى ذلك تعميم للرعاية الوارفة من الدولة لتشمل أهل الكتاب مما يؤكد السماحة التى تتسم بها المالية العامة الإسلامية .

أخذ الجزية من المجوس

كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة كتابا يطلب منه أن يسأل الحسن بن أبى الحسن عن معاملة المجوس .

فسأل عدى الحسن ، فأخبره أن رسول الله قد قبل من مجوس أهل البحرين الجزية وأقرهم على مجوسيتهم ثم أقرهم بعده أبو بكر ثم أقرهم عمر بعد أبى بكر وأقرهم عثمان بعد عمر (٢) .

ويتضح من ذلك أن عمر بن عبد العزيز تحرى ما كان يعامل به الرسول صلى الله عليه وسلم المجوس وطبق سنته .

ليس على مسلم جزية :

أوضحنا أن الحجاج الثقفى كان يفرض الجزية على من أسلم من أهل الكتاب وأقره على ذلك خلفاء بنى أمية ، ولما تولى عمر بن عبد العزيز

(١) الاموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٥٧ .

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ١٣٠ ، ١٣١ .

أصدر تعليماته برفع الجزية عن أسلم . وأكد ذلك أكثر من مرة لعمال
الخراج . ومن ذلك ما كتبه الى حيّان بن شريح عامله على مصر فقال له :
« ضح الجزية عن أسلم من أهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال :
« فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
رحيم » (التوبة/ من ٥) .

كما قال سبحانه وتعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون (٣) (التوبة / ٢٩) » .

حكم أرض من كان يعطي الجزية ثم أسلم :

عن الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز قال :
« أيما قوم صولحوا على جزية يعطونها ، فمن أسلم منهم كانت
أرضه لبقيتهم » (٤) .

أي أن أرض الكتابي الذي كان يدفع الجزية وأسلم لا ترد اليه
الأرض وتعامل معاملة أرض باقي قومه فيكون حكمها حكم أرض من لم
يسلم منهم أي تعتبر من فئ المسلمين ، وقول عمر بن عبد العزيز السابق
يستند الى ما تم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن ابن ذئب الزهري قال :

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس البحرين ،
فمن أسلم منهم قبل اسلامه فأحرز اسلامه نفسه وماله ، الا الأرض فانها
فئ المسلمين من أجل أنه لم يسلم أول الأمر وهو في منعه .

ولعل اعتبار الأرض من فئ المسلمين يستند الى أن نصر المسلمين
وفتحهم للبلاد جعل الأرض جميعها غنيمة للمسلمين وفيثا لهم وبذلك
أصبحت ملكا لجماعة المسلمين . فاسلام المجوس بعد ذلك لا يغير من
وضع الأرض لأنه لم يكن مالكا لها قبل اسلامه .

(٣) فتوح مصر وأخبارها - تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
ابن أيمن القرشي المصري - تحقيق محمد صبيح ص ١٠٧ .
(٤) الاموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٢٠٤ .

أقرار صلح الجزية من جميع من يدفعونها :

إذا تم صلح بين دولة الاسلام ودولة أخرى لم تستجب للاسلام وآثرت أن تدفع الجزية ، فإن دفع الجزية يقع عبؤه على كل فرد من أهل الكتاب في الدولة التي لم تسلم الا من كان معقيا منها لشيخوخته أو لمرضه أو كان من النساء أو من الاطفال أو غير ذلك من الحالات المعفاء . ولذلك كان عمر بن عبد العزيز لا يكتفى بأقرار الرؤساء للصلح نيابة عن جميع الرعايا من أهل الكتاب بل كان يوجب موافقة جميع من يقع عليهم عبء الجزية على عقد الصلح . ولعل حكمة ذلك أن رفض الاسلام وقبول دفع الجزية من أهل الكتاب أمر متعلق بالعقيدة الشخصية لكل فرد ، فرأى عمر بن عبد العزيز ضرورة صدور الرأي من الأشخاص أنفسهم ما دام متعلقا بعقيدة كل منهم .

وان كان يكفي لذلك أن تعلن الدولة المتصالحة مع الدولة الاسلامية بين رعاياها عن عزمها على عدم ترك دينها الى لاسلام ودفعها الجزية وفي نفس الوقت تمنح الحرية لمن أراد ترك دينه ليدخل في الاسلام .

وقد نقل رأى عمر بن عبد العزيز صفوان بن عمر فقال :

« كان أئمة الجيوش من المسلمين قبل عمر بن عبد العزيز يصلح الامام رؤوس أهل الحصن وقادتهم على ما تراضوا عليه دون علم بقية من فى الحصن من الرزم ، فنهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، وأمر امراء جيوشه أن لا يعملوا به ولا يقبلوه ممن عرضه عليهم حتى يكتبوا كتابا ويوجهوا به رسولا وشهودا على جماعة أهل الحصن (٥) » .

ويعلق أبو عبيد فى كتابه الأموال على ذلك فيقول :

« وهذا هو الوجه ، لأنهم ليسوا بماليك ، فيجوز حكمهم عليهم ، الا أن يكون الاتباع غير مخالفين للرؤساء ، وعلى هذا يحمل ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم لمن عقد وصالح من رؤساء أهل نجران وغيرهم ، أن ذلك كان على ملاء منهم ، وأن الاتباع غير خارجين لهم من رأى ولا مستكرهين عليه » (٦) .

أقرار عقود الصلح السابقة :

وكان عمر بن عبد العزيز يقر عقود الصلح السابقة على عهده بعد أن يستوثق من صحتها .

(٥) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٣٢٢ .

فعن العلاء بن عائشة انه قال :

كتب الى عمر بن عبد العزيز أن سل أهل الرها ، هـل عندهم صلح ، فسألتهم فأثنى أسقفهم بـدرج أو حق فيه كتاب ، فإذا فى الكتاب :

« هذا كتاب من عياض بن غنيم ومن معه من المسلمين لأهل الرها : أنى آمنتم على دمائهم وأموالهم ، وذرائهم ، ونسائهم ، ومدينتهم . وطواحينهم ، إذا أدوا الحق الذى عليهم شهد الله وملائكته » .

فأجازه لهم عمر بن عبد العزيز (٧) .

جزية الأموات ومدى استحقاقها على ورثتهم :

يموت الذمى وعليه الجزية ، فهل تحصل من ورثته ؟

روى عن عمر بن عبد العزيز رآيان :

الرأى الأول : رواه عبد الرحمن بن جنداه كاتب حيان بن سريح الذى بعثه الى عمر بن عبد العزيز ومعه كتاب يستفتيه يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم ؟ فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية الأموات على الأحياء .

الرأى الثانى : رواه عن معقل بن عبد الله عن عمر بن عبد العزيز أنه ليس على من مات أو من أبقى جزية فلا تؤخذ من ورثته ولا يجعلها بمنزلة الدين لأنهم لم يكونوا ضامنين لذلك (٨) .

وأزاء اختلاف وجهتى النظر ، نرى أن الجزية ضريبة سنوية شخصية تقع على الذمى فى حياته ، فإذا مات ولم تكن قد استحققت عليه جزية فى حياته فلا تستحق بعد وفاته حتى ولو ترك مالا آل لورثته ، أما إذا استحققت عليه جزية قبل وفاته ولم يؤدها وترك أموالا فتستأدى الجزية من ورثته لأن بيت المال دائن بمقدارها شأنها فى ذلك شأن ديون الغير التى تستحق على الشركة وتعلق بها ، إذ لا تركة إلا بعد سداد الديون ، أما إذا لم يخلف تركة فلا تؤخذ من الأموال الخاصة بالورثة أنفسهم لأنهم كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لم يكونوا ضامنين لأداء الجزية .

تحديد أهل الجزية من الذميين وحقوقهم :

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله محمدا أهل الجزية فقال :

(٧) المرجع السابق ص ٢٦٧

(٨) المرجع السابق ص ٦١ .

« وانما أهل الجزية ثلاثة نفر : صاحب أرض يعطى جزيته منها وصانع يخرج جزيته من كسبه ، وتاجر يتصرف يعطى جزيته من ذلك ، وانما سنتهم واحدة » (٩) .

ويبدو أن الحالات التي ذكرها عمر بن عبد العزيز هي الحالات التي كانت سائدة في عهده ، لأنه توجد في المجتمع مهن أخرى يمتنعها أهل الكتاب ، كآرباب المهن الحرة ، وعلى ذلك يمكن القول ان ما ورد في قول عمر بن عبد العزيز هو على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أن سنتهم واحدة ، ولعله قصد بذلك أن تكون معاملتهم واحدة ، من ناحية فرض الجزية واستحقاقها ومواعيد أدائها ، واعتبار من يدفع الجزية في ذمة الدولة الاسلامية واذا أسلم رفعت عنه الجزية ، وهذا هو ما أوضحته فقرة أخرى من كتابه سالف الذكر فقال :

« فمن أسلم من نصراني أو يهودي من أهل الجزية فخالط عم (عموم) المسلمين في دارهم ، وفارق داره التي كان بها ، فإن له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه » (١٠) .

وأكد ذلك في رده على عامله في الكوفة كما يبين من الفقرة التالية :

حقوق من أسلم من أهل الكتاب :

أرسل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عبد الحميد بن عبد الرحمن (عامله على الكوفة) الكتاب التالي :

كتبت الى تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وتستأذني أخذ الجزية منهم ، وإن الله جل شأنه ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا ، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه وميراثه لذوي رحمه اذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الاسلام، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه . والسلام (١١) .

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادئ التالية التي أمر عمر ابن عبد العزيز بتطبيقها :

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد ص ٨٢ .

(١٠) المرجع السابق ص ٧٩ .

(١١) الحراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١٣١ ، ١٣٢ .

– ليس على اليهود والنصارى بعد اسلامهم جزية مهما كانت حصيلتها قبل اسلامهم .

– يعامل المجوس معاملة أهل الكتاب فليس عليهم جزية ان أسلموا .

– بعث الله جل وعلا محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا .

– بعد اسلام اليهود والنصارى والمجوس يؤدون الصدقة على أموالهم اذا بلغت نصابا وفى حالة وفاتهم بعد اسلامهم تطبق على أموالهم التى تؤول لورثتهم أحكام المواريث فى الشريعة الاسلامية .

– اذا لم يكن لهم ورثة وتركوا أموالا عند وفاتهم تؤول لبنيت مال المسلمين باعتبار أن بيت مال المسلمين وارث من لا وارث له .

– يتمتع من أسلم بما يتمتع به سائر المسلمين من عطاء بيت المال .

جواز بيع أهل الذمة ممتلكاتهم لأداء الجزية :

كعب عمر بن عبد العزيز الى يحيى بن سعيد :

« ان ما باع القبط فى جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذى عليهم من عبد أو وليده أو بعير أو بقره أو دابة فان ذلك جائز عليهم جائز لمن ابتاعه منهم غير مردود اليهم ان أسروا (١٢) » .

ومما سبق نستخلص المبادئ التالية :

– اذا استحق على ذمى جزية وأصبح مدينا بها يجوز له بيع بعض ممتلكاته لأداء الجزية اذا كان معسرا .

– ولمن ابتاع منه هذه الممتلكات أن يتمسك بصحة عقد البيع ولا يردّها الى من باعها اذا أسير بعد عسر ورغب فى استرداد ما باعه .

– لا تسرى هذه القاعدة على الأرض التى تحت أيدي أهل الذمة لأن البلد اذا فتحت عنوة كانت أرضها فيئا للمسلمين (١٣) ، ولا يجوز لأهل الكتاب التصرف فيها اذا كانوا يزرعونها .

(١٢ ، ١٣) فتوح مصر وأخبارها – تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم بن أبى القرشى . تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ١٠٦ .

جواز كراء أهل الذمة لأرضهم :

يستكمل عمر بن عبد العزيز كتابه السابق فيقول :

« وما آكروا من أرضهم فجائز كراؤه الا أن يكون يضر بالجزية التي عليهم ، فلعن الأرض أن ترد عليهم ان اضررت بجزيتهم ، وان كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراءها جائزا لمن تكاهاها منهم » .

ومما سبق يمكن استخلاص المبادئ التالية :

- — الأرض في البلاد التي فتحت عنوة فيء المسلمين وملك لهم .
- — يجوز ابقاء الذميين على الأرض لاستغلالها وأداء الخراج عنها كما فعل عمر بن الخطاب .
- — وفي رأى عمر بن عبد العزيز يجوز لهم كراء الأرض .
- — اذا كان الكراء يضر بالجزية كأن كانت قيمة الكراء أقل من عائد استغلال الأرض وكان ذلك مما يقلل من أموال الذمي فلا يستطيع أداء الجزية المستحقة عليه ، فلا يجوز كراء الأرض .
- — اذا كان الذمي قد أدى الجزية فلا اعتراض على الكراء .

طريقة تحديد الجزية بمصر في عهد عمر بن عبد العزيز :

يتبين مما سبق أن هناك ثمة علاقة بين الجزية والأرض ، مع أنه ليس على الأرض جزية وإنما عليها الخراج والجزية على الرؤوس ، ويبدو أنه بمصر كانت الجزية على الرؤوس طبقا للمبدأ العام ولكن كانت تحدد بطريقتين جزء منها مخصص على رؤوس الرجال وجزء عام يكون على رؤوس أهل القرية ، وتكون أرض أهل القرية ضامنة للجزية التي عليهم .

فيقول يحيى بن سعيد :

« الجزية جزيتان : فجزية على رؤوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤوس الرجال ، فانا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك ممن جزيته على رؤوس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين » (١٤) .

(١٤) المرجع السابق ص ١٠٦ .

أداء الجزية لا يبيح للدمى الاتجار فى الخمر :

أداء الجزية يجعل أهل الكتاب فى ذمة الدولة الإسلامية فيكون لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، إلا اذا كان من بين هذه الأموال خمور فيمنع ضررها عن المسلمين وقد فعل عمر بن عبد العزيز ذلك فأمر بتحويلها الى خل وعدم اهدارها لأنها مال من أموال أهل الذمة فينبغى عدم اهدارها وفاء من المسلمين بعهدهم بحماية أموال أهل الذمة •

فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن - وهو عامله على الكوفة - أن لا تحمل الخمر من رستاق الى رستاق (١٥) وما وجدت منه فى السفن فصيره خلا (١٦) •

فكتب عبد الحميد الى عامله بواسطة محمد بن المنتشر بذلك ، فاتى السفن فصب فى كل راقود (١٧) ماء وملحاً فصيره خلا (١٨) •

-
- (١٥) من متجر لمتجر أو من بلد لآخر •
 - (١٦) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ١٣٤ •
 - (١٧) الراقود : دن كبير يطل داخله بالقار •
 - (١٨) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق - ص ١٣٤ •

الفصل الثاني

الإصلاح المالى لخراج الأرض وعشور التجارة

الإصلاح المالى لخراج الأرض

الأسس العامة لإصلاح خراج الأرض :

قام اصلاح عمر بن عبد العزيز لخراج الأرض على الأسس التالية :

- وضع قواعد مفصلة لتحديد خراج الأرض .
- توضيح حكم المعاملات فى أرض الخراج .
- التأكيد على عدم تعذيب أرباب الخراج .
- توضيح بعض حالات احياء الأرض .
- تحقيق المساواة فى الانتفاع بأرض الحمى .

واهتمام عمر بن عبد العزيز بإصلاح الخراج يؤدى الى اصلاح الأرض وانتاجها ، وهذا الاهتمام يقيم أمر الاسلام ، الذى اهتم اهتماما بالغاً بالأرض وخصوبتها فقد تعرض القرآن الكريم للأرض فى مواضع عدة حتى بلغ ما ورد ذكره معرفاً بالآلف واللام أربعمئة وخمسين موضعاً، كما ربط الاسلام بين خصوبة الأرض وانتاجيتها وقسمها طبقاً لدرجة خصوبتها فيقول الله سبحانه وتعالى :

« والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » (الأعراف/ ٥٨) (١) .

(١) للمزيد فى هذا الشأن يرجع لكتابنا - الاطار الاخلاقى لمالية المسلم ص وما بعدها
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفيما يلي تفصيل حالات الاصلاح المالى التى قام بها عمر بن عبد العزيز :

تحديد قواعد خراج الأرض :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بشأن خراج الأرض ما يلى (٢) :

« انظر الأرض ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامر على خراب ، وانظر الخراب فان أطاق شيئاً فخذ فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من عامر لا يحمل شيئاً ، وما أجذب من العامر من الخراج فخذ في رفق وتسكين لأهل الأرض وأمرك أن لا تأخذ في الخراج الا وزن سبعة ليس فيها تبر ولا أجور الضرايين ولا اذابة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج (٣) ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض » .

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادئ التالية بشأن خراج الأرض في عهد عمر بن عبد العزيز :

— بدأ عمر بن عبد العزيز كتابه بطلب نظر الأرض ، أى دراسة أحوالها وموقفها ودرجة خصوبتها للوصول لمدى احتمالها للخراج ، حتى يتسم ما يؤخذ منها من خراج بالعدل ، فلا تحمل الأرض ما لا تطيق ، وهذا هو المبدأ الذى وضعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حينما رفض تقسيم ما غنمه الفاتحون من أرض بينهم وآثر ان يبقياها ملكا للدولة ويفرض عليها الخراج وقال لمن أرسلهما ليحددوا الخراج على أرض العراق بعد فتحها :

« لعلكما حملتا الأرض ما لا تطيق ، فقال أحدهما وهو عثمان بن حنيف « حملت الأرض أمرا هي له مطيقة » . وقال الآخر هو حذيفة بن اليمان « وضعت على الأرض أمرا هي له محتملة وما فيها كثير فضل »

— تضمن الكتاب نهياً عن تحميل أرض خراب على أرض عامر ولا تحميل أرض عامر على خراب ، لأن تحميل أنواع الأرض على بعضها ، الخراب منها على العامر والعامر منها على الخراب ، يؤدي الى النظر الى

(٢) الكتاب من حديث لعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه ورد في كتاب الحراج لأبي يوسف ص ٨٦ .
(٣) الفيوج : جمع (فيم) وهو رسول البريد .

الأرض كلها عند تحديد خراجها نظرة شمولية فلا يتسم تحديد الخراج بالدقة التى تتحقق اذا تم تحديد الخراج بالنسبة لكل أرض على حدة ، والنظرة الشمولية تؤدى الى غبن صاحب الأرض اذا حدد الخراج بأعلى مما تطبق الأرض أو غبن بيت المال اذا هبط الخراج عما تطبق .

— حدد الكتاب طريقة استثناء الخراج من كل نوع على حدة ، فلا يؤخذ من الخراب الا القليل الذى يطبقه ان كان يطبق شيئا ، وعلى المختصين أن يبحثوا أسباب خراب الأرض ويعمروها ، لأن التعمير يزيد الانتاج العام ويرفع اندخل القومى ويساهم فى التمرين الغذائى للشعب وينمى خراج الدولة .

كما أن العامر من الأرض قد لا يؤتى فى سنة ما محاصيل كافية لاستثناء الخراج منها بسبب أحوال جوية أو آفات زراعية أو بسبب هبوط درجة خصوبة الأرض نفسها ، فاذا أدت هذه العوامل الى توقف الأرض عن الانتاج فلا يؤخذ منها خراج واذا انتجت شيئا يسيرا فيؤخذ منها الخراج فى رفق بما يتناسب مع اليسير الذى أنتجته حتى لا يهجر الزارعون أراضيهم اذا التهم الخراج غير العادل معظم انتاجها .

وربط عمر بن عبد العزيز خراج الأرض بدرجة جودتها يؤيده ما يذهب اليه الفنيون حديثا من وجود علاقة بين نوعية الأرض والمحاصيل التى تنجح زراعتها بها ، فيقسمونها من حيث علاقة بعض خواصها ونتاجية المحاصيل وتكاليف هذه الانتاجية على النحو التالى : (٤)

نوع الأرض وما تلتحقه	الرى	الأصرف	المالحة	الثوية
أرض تدهو فيها جميع المحاصيل وتعطى أكبر نتاج بأقل تكاليف .	جيد	جيد	عالية	عالية
أرض تلتج أغلب المحاصيل غير الحامسة للملوحة وتعطى أكبر انتاج بتكاليف قليلة نسبيا .	جيد	متوسط	متوسط	ضعيف
أرض لا ينجود بها معظا المحاصيل الحقلية وتعطى محصولا متوسطا بتكاليف متوسطة .	متوسط	رديئ	عالية	متوسط
أرض محدودة الإنتاج تحتاج الى مصاريف خدمة زراعية متوسطة أو عالية طبقا لحالة الإنتاج .	متوسط	رديئ	عالية	عالية

(٤) من بحث للدكتور / أحمد محمود بدوى - بمعهد بحوث الأرض - مجلة الارشاد الزراعى - عدد مايو ويونيه ١٩٨٠ - ص ٣٧ .
وورد بكتابنا الاطار الاخلاقى للمالية المسلم - ص ١٠٢ .

— حدد الكتاب قيمة الخراج بوزن سبعة وحدات من وحدات الوزن التي كانت سارية في ذلك العهد .

نفقات معينة حددتها الكتاب :

هذا ويتضمن كتاب عمر بن عبد العزيز في ختامه قاعدة هامة وهي أنه لا خراج على من أسلم من أهل الأرض ، لأنه ان أسلم صاحب الأرض ولم تكن أرضه قد آلت للمسلمين كغنيمة بعد فتحهم للبلاد ، فلا تعتبر فيئا للمسلمين ، وبإسلامه تجب عليه الزكاة على محصولات أرضه .

وقد يحدث أن يكون تحت يد شخص من أهل الكتاب أرض آلت للمسلمين بسبب الفتح للبلاد أو نتيجة صلح وتضمنت شروط الصلح أيلولة الأرض للمسلمين ، وهذه الأرض يستحق عليها الخراج ، فإذا أسلم هذا الشخص فهل يدفع الزكاة على محصولاته وهي ركن من أركان الاسلام ؟ أم يدفع الخراج عن الأرض باعتبارها ملكا للمسلمين ؟ أم يدفع الاثنين معا . يرى عمر بن عبد العزيز أنه يدفع الاثنين معا .

فقد قال عمرو بن ميمون بن مهران :

سألت عمر بن عبد العزيز « المسلم تكون في يده أرض خراج فيطلب منه العشر (أى الزكاة) فيقول (أى المسلم) أنما على الخراج .

فقال عمر بن عبد العزيز : الخراج على الأرض والعشر على الحب(٥) . والواقع أن هذا الحكم يؤدي الى ازدواج العبء على الزارع لأنه يقع عليه عبئان في وقت واحد وهما خراج الأرض وزكاة الزرع .

وضع خاص لأهل مكة :

لا يفرض خراج على أرض مكة ، لأن أرضها حرام حرمها الله ، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان مكة حرام حرمها الله لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها » .

وكان عمر بن الخطاب ينهى أن تغلق دور مكة دون الحاج ويسكن الحجاج في الدور الخالية . وطبق عمر بن عبد العزيز حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب الى أمير مكة كتابا أمره :

(٥) الاموال لأبي عبيد ص ١١٤ .

« ان لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهم » (٦) .

الأرض فيء المسلمين فلا يجوز للمسلمين بيعها :

إذا افتتح المسلمون بلداً اعتبرت أرضها من الغنائم وتصبح ملكاً للمسلمين عامة ، فإذا أبقت الدولة الإسلامية ملاكها السابقين عليها لزراعتها فلا يجوز لهم التصرف فيها بالبيع ، لأنهم بذلك يكونون قد باعوا ما لا يملكون ، وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله فقال : « أما بعد فحل بين أهل الأرض وبين بيع ما في أيديهم فأنهم إنما يبيعون فيء المسلمين » (٧) .

عدم بيع الآلات الزراعية :

يحدث أن يطالب عمال الخراج القائمين على أرض الخراج من أهل الكتاب بالخراج المستحق عليهم ، فلا يؤدون ما عليهم من الخراج فيلجأ عمال الخراج إلى بيع بعض ممتلكاتهم لأداء الخراج المستحق لبيت المال .

وقد نهى عمر بن عبد العزيز أن تباع آلات أهل الذمة استثناء للخراج المستحق عليهم لأن ذلك يعطل الانتاج العام ويؤدي إلى تناقص الخراج ، فقد كتب لعماله « أن لا يباع لأهل الذمة آلة » (٨) .

مبادئ عامة للعاملين بالخراج :

كان ميمون بن مهران قاضي الجزيرة وعلى خراجها في عهد عمر بن عبد العزيز فكتب إليه يشكو شدة الحكم والجباية ، فكتب إليه عمر :

« اني لم أكلفك ما يعينك ، اجتن الطيب واقض بما استبان لك من الحق ، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إلى ، فلو أن الناس إذا ثقل عليهم أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا » (٩) .

فما كتب عمر يمكن استخلاص المبادئ التالية بشأن واجبات القائمين على الخراج :

(٦) المرجع السابق ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٧) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٨) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٩) الخراج لأبي يوسف ص ١١٤ - مرجع سابق .

- لا يكلف عمال الخراج بأعمال واختصاصات وأعباء فوق ما يستطيعون لأن في ذلك عناء لهم وعدم اتقان لأعمال الخراج .
- لا يجبى عمال الخراج الا الطيب من الأموال ، فيعدل في الجباية ويحسن في المعاملة ويبعد عن الجور والظلم .
- وكان عمر بن الخطاب اذا أتاه خراج العراق يخرج اليه عشرة من أهل الكوفة وعشرة من أهل البصرة يشهدون أربع شهادات أنه من طيب ، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد (١٠) .
- اذا صادف عامل الخراج صعوبة في التطبيق بسبب غموض النص والتباس التفسير ، يطلب رأى المشرفين عليه ممن اختصوا بالتفسير والافتاء .
- لا ينبغي أن يتصف عامل الخراج بالسلبية فيعالج الحالات السهلة ويترك تلك التي تتطلب جهدا .

عدم تعذيب أهل الخراج :

- كتب عدي بن ارطاة وهو أحد عمال عمر بن عبد العزيز اليه ما يلي :
- « أما بعد فان أناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم حتى يمسه شيء من العذاب » فكتب اليه عمر بن عبد العزيز ما يلي :
- « أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك اياي في عذاب البشر كأنى جنة لله من عذاب الله وكأن رضاي ينجيك من سخط الله ، اذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفوا والا فاحلفه ، فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب الى من أن ألقاه بعذابهم ، والسلام » .

وعمر بن عبد العزيز ينهي عن تعذيب أهل الذمة في الخراج إنما يطبق نهى رسول الله عن تعذيب الناس ، فقد حدث هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد أنه مر على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء ؟

ف قيل له : أقيموا في الشمس في الجزية ، فكره ذلك ودخل على أميرهم .

وقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من عذب الناس عذبه الله » (*) .

(١٠) المرجع السابق ص ١٢٥ .
 (*) المرجع السابق ص ١٢٥ .

احياء الأرض :

طبقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من يقوم باحياء أرض غير مملوكة لأحد وكانت هذه الأرض ميتة تؤول اليه ملكيتها .

فقد قال صلى الله عليه وسلم « من أحيا أرضا ميتة فهي له ، وما أكلت العافية منها فهي له صدقه » .

وسار الخلفاء الراشدون على تطبيق سنة الرسول ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب على المنبر ويقول « يا أيها الناس من أحيا أرضا ميتة فهي له » .

وطبق عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه نفس المبدأ العام .

فعن حكيم بن رزيق قال :

« قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبى

« أن من أحيا أرضا ميتة ببنيان أو حرث مالم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم أو أحيوا بعضها وتركوا بعضا فأجز للقوم احياءهم الذى أحيوا ببنيان أو حرث (١١) » .

وعن يحيى بن حمزة عن سليمان بن داود الحولاني :

« أن عمر بن عبد العزيز كان يقضى فى الرجل اذا أخذ الأرض فعمرها وأصلحها ثم جاء صاحبها يطلبها : انه يقول لصاحب الأرض : ادفع الى هذا ما أصلح فيها فائما عمل لك » (١٢) .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول أيضا :

« من غلب الماء على شيء فهو له » (١٣) .

فتكون سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن احياء الأرض قامت على الأسس التالية :

— من أحيا أرضا ميتة ليست ملكا لأحد فهي له .

— الاحياء يكون بكافة الطرق بالزراعة أو باقامة المباني بعد تمهيد الأرض أو حسر الماء عنها كان كانت مستنقعا فجففها حتى صارت صالحة .

(١١) الاموال لابی عبيد - مرجع سابق ص ٣٦٩ .

(١٢) المرجع السابق ص ٣٦٧ .

(١٣) المرجع السابق ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

— اذا احيا شخص أرضاً مملوكة للغير ، يمكن لصاحبها أن يستردها بعد أن يدفع تكاليف احياء الأرض لمن أحيائها ، أو يدفع من أحيائها للمالك ثمن أرضه وتؤول إليه .

حالة تطبيقية :

يورد أبو عبيد في كتابه الاموال حالة عملية أصدر فيها عمر بن عبد العزيز حكمه فكان رسول الله قد سلم بلالا أرضاً ، فباعوها بنو بلال الى الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز ، فلما استثمرتها الدولة استخرجت منها معادن فطالب بنو بلال بزيادة في الثمن قائلين انهم باعوا الأرض على أنها أرضاً زراعية ولم يبيعوا ما استخرج منها من معادن .

فرد اليهم عمر بن عبد العزيز ما استخرج من معادن بعد أن خصم منها قيمة ما أنفق في استخراجها (١٤) .

سياسة حمى الأرض :

من بين أراضى الدولة الاسلامية نوع من الأرض يثبت فيها الكلابيتا طبيعياً بغير حرث أو غرس أو سقى من احد ، فتبيحها الدولة للناس جميعاً ليرعوا فيها أنعامهم ولا يجوز لأحد أن يحمى هذه الأرض أى يحيطها بسور يمنعها عن الناس ، الا أنه يجوز للدولة أن تحمى هذه الأرض فى سبيل الله ، فقد حماها رسول الله صلى الله عليه وسلم لايواء الخيل الغازية فى سبيل الله وحماها عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعده للخيل الغازية فى سبيل الله ولايواء أنعام الصدقة بعد أخذها من المتصدقين تمهيداً لتوزيعها على مسحقها من الفقراء والمساكين .

وقد قامت سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن حمى الأرض على أن يطبق ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده وأباح للجميع بدون استثناء الانتفاع بها ولا يفضل فى ذلك صاحب سطوة أو جاه أو سلطان على غيره من المسلمين ، فأذاع على ولائه وعماله تعليمات تقول :

« ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة ، وقد كانت تحمى فتجعل فيها نغم الصدقات ، فيكون فى ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات ، وإنما الامام كرجل من المسلمين ، انما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء » (١٥) .

(١٤) المرجع السابق ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(١٥) ابن الحكم وسيرة عمر بن عبد العزيز - تعليق : أحمد عبيد - الطبعة الثانية -

مكتبة وهبة بالقاهرة ص ٨١ .

الاصلاح المالى لعشور التجارة

أسس الاصلاح :

قام اصلاح عمر بن عبد العزيز لضريبة عشور التجارة على
الأسس التالية :

— توضيح مبادئها •

— إلغاء ضرائب متداخلة معها •

— الافتاء فى ضريبة العشور على الخمر •

وهو اصلاح ينبع من تعاليم الدين خصوصا فى الضريبة على الخمر
لأن الله تعالى يقول : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة/ من ٩٠) •

وفيما يلى تفاصيل أسس الاصلاح :

توضيح مبادئ عشور التجارة :

عشور التجارة هى الضرائب على أموال التجارة الصادرة من البلاد
الاسلامية والواردة لها ، وقد أوضحنا أن أول من وضعها فى الدولة
الاسلامية عمر بن الخطاب ، فقد كتب اليه أبو موسى الأشعرى يذكر له
أن تجار المسلمين اذا أتوا أرض الحرب يأخذون منهم العشر ، فكتب اليه
عمر أن يأخذ من الحربيين اذا مروا ببلاد الاسلام كما يأخذون من تجار
المسلمين ، ومن أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين عن كل أربعين
درهما درهما أى ربع العشر وليس فيما دون المائتين من الدراهم شيء ،
فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد بحسابه •

وتعتبر البلاد بلاد حرب اذا كانت الأحكام الظاهرة غير اسلامية
وتعتبر دار اسلام اذا كانت الأحكام المنفذة اسلامية (١٦) .

ويبدو أنه بمرور الوقت بعد عمر بن الخطاب وفي أيام خلفاء بني
أمية قبل عمر بن عبد العزيز لم يكن الأمر واضحاً في التطبيق فأصدر
بشأن هذه الضريبة عدة تعليمات وهي :

حدث يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان - وكان على مكس مصر -
فذكر أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب ما يلي :

« انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم العين
ومما ظهر من التجارات من كل أربعين ، ديناراً ، وما نقص فبحساب ذلك
حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فان نقصت تلك الدنانير فدعها ولا تأخذ منها
شيئاً ، واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يدرون من تجارتهم من كل
عشرين ديناراً ديناراً فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم
دعها ولا تأخذ منها شيئاً وأكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم الى مثلها
من الحول » .

ويتضح من الكتابين السابقين أن عمر بن عبد العزيز طبق نفس
الفئات التي كان يطبقها عمر بن الخطاب على تجار المسلمين باعتبار أن
ما يحصل منهم زكاة وطبق كذلك نفس الفئات على تجار الذميين ، وأمر
بأن يعطوا ايضاً بما دفعوه .

ولم توضح تعليمات عمر بن عبد العزيز فئات من يمر من التجار
غير المسلمين وغير أهل الذمة وهم تجار البلاد التي لا تطبق الشريعة
الاسلامية ، ويبدو أن الأمر بشأنهم كان واضحاً لم يتطلب صدور
تعليمات .

الفاء ضرائب متداخلة مع عشور التجارة :

يبدو أن خلفاء بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز فرضوا ضرائب
إضافية تحت أسماء مختلفة ، فأمر عمر بن عبد العزيز برفعها عن الناس
وقد أشار كتابه الى تلك الضرائب وهي الفدية والمائدة والمكس .
فعن يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبيه قال :

(١٦) انظر كتابنا النظم المالية في الاسلام - طبعة ثالثة ص ١٠٩ وما بعدها .

كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة : « أن ضع عن الناس
الفدية وضع عن الناس المائدة وضع عن الناس المكس ، وليس بالمكس
ولكنه البخس الذى قال الله تعالى فيه – ولا تبخسوا الناس أشياءهم
ولا تعثوا فى الأرض مفسدين – فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه ، ومن
لم يأتك فالله حسبي » .

ويعتبر ما أجراه عمر بشأن رفع ما كان يجبى من الناس بغير حق
من الإصلاحات الهامة للنظام المالى فى عهده ، لأن تلك الفرائض تثقل
كاهل الناس وتخل بالعدالة المالية وتولد السخط على الحكم والحكام .

نصف بيت المكس :

لم يكتف عمر بن عبد العزيز بالغاء الضرائب الاضافية التى فرضت
على الناس بغير حق ، بل أمر بنصف دار الدولة التى كانت تحصلها
من الناس . فقد كتب الى عبد الله بن عوف النارى :

« أن اركب الى البيت الذى برفح الذى يقال له « بيت المكس »
فأهدمه ثم أحمله الى البور فأنصفه فيه نسفا »

ويعرف المكس بأنه ما يأخذه أعوان الدولة على أشياء معينة عند
بيعها أو عند ادخالها المدن وجمعه مكوس والمكس والمكاس من يأخذ
المكس ويقال له أيضا صاحب المكس .

وعن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » – رواه الامام أحمد وأبو داود
وصححه على شرط مسلم .

ويبدو أن سبب تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكس
أنها تعتبر من الضرائب غير المباشرة وهى تنقسم عادة بالظلم لأنها لا تقع
على الدخل أو الثروة المباشرة لدافعيها ، بل تفرض على السلع فترفع
أثمانها ، فلا يستطيع أصحاب الدخل المحدود الحصول عليها ، وإذا
حصلوا عليها تكلفوا نظير ما يدفعونه كثمن لها ما لا يطيقون .

ليس على الخمر عشور :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا حرم شيئا حرم
ثمنه » ، فيحدث أن يمر على الموانى الاسلامية تجار من أهل الذمة
يحملون خمرا ، وبناء على ذلك لا يحل فى المالىة العامة الاسلامية أن

يؤخذ عنها عشور التجارة لأنه لما كان ثمنها أو قيمتها محرمة أصلاً فاستقطاع جزء من قيمتها كعشور يعتبر بالتالي محرماً لأنه إذا كان مصدر العشور محرماً كانت العشور نفسها محرمة وذلك هو ما أشار به عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

فقد كتب الى عدى بن اوطاة : أن ابعت الى بفضل الأموال التي قبلك من أين دخلت ؟ فكتب اليه بذلك وصنفه له : فكان مما كتب اليه « من عشر الخمر أربعة آلاف درهم » .

فكتب اليه عمر بن عبد العزيز : انك كتبت الى تذكر من عشور الخمر أربعة آلاف درهم ، وإن الخمر لا يعشرها مسلم ولا يشتريها ولا يبيعها ، فإذا أتاك كتابي هذا فاطلب الرجل فأرددها عليه فهو أولى بما كان فيها (١٧) .

فطلب عدى الرجل ورد عليه الأربعة آلاف درهم وقال أستغفر الله. أنى لم أعلم ، وعمر بن عبد العزيز يقتدى في ذلك بعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فقد بعث عمر بن فرقة الى عمر بن الخطاب بأربعة ألف درهم صدقة الخمر ، فكتب اليه عمر : « بعثت الى بصدقة الخمر ، وأنت أحق بها من المهاجرين وأخبر بذلك الناس (وفى هذا تقرير من عمر بن الخطاب لعامله لأنه أولى بهذا المال الخبيث من المهاجرين الذين يتعففون عن أكل المال الخبيث) (١٨) » .

ويثير ذلك نقاشاً في تطبيق ذلك في العصر الحديث حيث تجبى الدولة ضرائب على انتاج الخمر وتجاريتها تغذى بها مواردها العامة ، فهل تعفيها من الضرائب مع أن هذا الاعفاء يؤدي الى زيادة أرباح صنع الخمر وتجاريتها ؟ وللد على ذلك نقول انه فى الدول الإسلامية التى تطبق أحكام الشريعة الإسلامية ينبغي أن يمنع انتاج الخمر فلا ترخص بانشاء مصانعها وتصادر ما يقام بها من مصانع الخمر لأنها أقيمت بغير ترخيص من الدولة وتمنع كذلك تجارتها لأن انتاج الخمر وبيعها وشربها يخالف حكم الاسلام الذى اتخذته الدولة الإسلامية دستوراً لها .

الباب الخامس

اصلاح الانفاق العام ونماذج منه

الفصل الأول

اصلاح الانفاق العام

الأسس العامة لاصلاح الانفاق العام :

الاتفاق من الإيرادات العامة للجزية والخراج وعشور التجارة انفاق عام غير مخصص لوجوه معينة كالانفاق من إيرادات الزكاة وخمس الخنائم ، وعلى ذلك فهو انفاق عام يوجه لجميع أوجه الانفاق التي يتطلبها نشاط الحكومة ومصالح الرعاية ، كمخصصات رئيس الدولة وأجور العاملين بها ومراتبهم ونفقات ادارة الدواوين والمصالح الحكومية ومستلزماتها وتكاليف الخدمات العامة للشعب من أمن داخلي وخارجي وتعليم وصحة وإقامة العدل بين الناس كما يمتد هذا النوع من الانفاق العام ليشمل أية مشروعات عامة تقيمها الدولة كتمهيد الطرق وشق القنوات وإقامة دور العبادة أو مد خطوط النقل والمواصلات وغيرها .

وقد قام اصلاح عمر بن عبد العزيز للاتفاق العام على الأسس التالية :

- زهد رئيس الدولة وعائلته في الأموال العامة .
- رفض رئيس الدولة الهدايا وتحريمها على عمال الدولة .
- اطلاق أن الأموال العامة أموال الشعب .
- ترشيح الاتفاق العام وترتيبه طبقاً لأولويات تحقق المصلحة العامة -

- الاستمرار في أنواع الاتفاق المشروعة اللازمة للدولة .

والأسس السابقة للاصلاح نبعت من مشكاة الدين الاسلامي ، وبذلك يكون عمر بن عبد العزيز قد أقام أمر الدين في دائرة الاتفاق

العام . فزهد في المال العام كان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدم قبوله الهدايا وهو رئيس دولة كان لأنها تعتبر في حكم الاسلحة
غلول ومن غل أتى بما غل يوم القيامة وأسس الأخرى لاصلاح الانفاق
العام تحركت في دائرة آيات القرآن المجيد التي طالبت المؤمنين بالانفاق
من طيبات ما كسبوا وأن يكون انفاقهم مرشدا خاليا من الاسراف والاقتار
وأنة كما يكون انفاقهم علنيا يكون سريا وكما يكون في السراء يكون
في الضراء الى غير ذلك من الأحكام التي تناولت الاتفاق بصفة عامة بحيث
تسرى على الانفاق الخاص والعام (١) .

وفيما يلي تفاصيل اصلاح الانفاق العام في عهد عمر بن عبد العزيز :

زهد رئيس الدولة وعائلته

شهور زهد عمر بن عبد العزيز :

كان زهد عمر بن عبد العزيز عن الأموال زهدا شاملا كاملا ، وفي
ذلك قال مالك بن دينار : « يقولون مالك زاهد ، أي زهد عندي » انما
الزاهد عمر بن عبد العزيز ، آتته الدنيا فاغرة قلما فتركها جملة » .
وتناظر أبو سليمان الورداني وأبو صفوان في عمر بن عبد العزيز
وأويس القرني .

فقال أبو سليمان : كان عمر بن عبد العزيز زاهدا من أويس .

فقال أبو صفوان : ولم ؟

قال أبو سليمان : لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها .

فقال أبو صفوان : وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر .

فقال أبو سليمان : لا تجعل من جرب كمن لا يجرب ، ان من جرت
الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع أفضل ممن لم تجر على يديه وان
لم يكن لها في قلبه موضع (٢) .

(١) للمزيد انظر كتابنا « النظم المالية في الاسلام » طبعة الثالثة ص ١٣٥ - ١٤٢
إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير القرشي - تعليق أحمد الشرباصي مرجع سابق
ص ٩٠ .

نماذج من زهدہ :

— رد عمر بن عبد العزيز فذك الى بيت المال ، فجمع رؤوس الناس وخطبهم فقال :

« ان فذك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث اراد الله ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك » — قال الأصمعي : وما أدري ماذا قال في عثمان — قال : ثم ان مروان أقطعها ، فحصل لي منها نصيب ، ووهب لي الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أردته أغلى منها وقد رددتها في بيت المال ، على ما كانت عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكانت فذك قرية بخيبر ، وكانت فيثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لابن السبيل فسألته ابنته اياها فأبى الرسول ، فولى أبو بكر فسلك مسلك النبي ثم عمر ثم عثمان كذلك ، فلما ولي معاوية طلبها منه مروان فأعطاه اياها ، فكان يبيع ثمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم ، ثم نزعها من يده فكانت بيد وكيله بالمدينة ثم ولي مروان الحكم فالت اليه فأعطى ابنه عبد الملك نصفها فوهب عبد العزيز حقه لولده عمر ولما توفي عبد الملك طلب عمر الى الوليد حقه فوهبه له ، وطلب الى سليمان حقه فوهبه له ثم وهب له الباكون حقوقهم ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز بالخلافة وأعلن التنازل عنها لبيت المال ، كتب الى ابن حزم يقول :

« اني نظرت في أمر فذك فاذا هو لا يصلح ، فرأيت أن أردنها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فأقبضها وولها رجلا يقوم فيها بالحق والسلام عليك » (٣) .

— وتخلي عمر بن عبد العزيز أيضا عن كل ما كان بيده من قطائع غير فذك وهي المكيدس وجبل الوردس باليمن وقطائع أخرى باليمامة (٤) .

— ويذكر المؤرخون أنه كان يعيش على قطعة أرض صغيرة بالسويداء كان اشتراها بكده ، فكانت تأتيه غلتها كل سنة بمائتي دينار وقيل بمائة وخمسين أو أكثر قليلا (٥) وتخلي عن مخصصاته من بيت المال .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز — ابن الجوزي ص ١٠٩ ، عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٦ .
(٤) سيرة عمر — لابن الجوزي ص ١١٠ وعمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٦ .
(٥) المرجع السابق ص ١١١ .

ولما قيل لعمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأخذ من بيت المال بالحق وأنه حدد نصيبه من بيت المال بعد أن استشار الصحابة ، أجاب بأن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنينى عن بيت المال ، وراح يردد قول الله جل وعلا :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (القصص / ٨٣) .

— كان دخله كل سنة — قبل أن يلى الخلافة ٠٠ أربعين ألف دينار فترك ذلك كله لبيت المال (٦) .

— رد فص خاتم فى يده الى بيت المال وقال :

« أعطانيه الوليد من غير حقه » (٧) .

— كان قبل الخلافة يؤتى له بالقميص الرفيع اللين جدا .

فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولى الخلافة كان يلبس القميص الغليظ المرقوع ويقول : ما أحسنه لولا لينه (٨) .

— وقد زهد عمر بعد الخلافة وكان قبلها مفرطاً فى النعيم فقد قيل : « كان عمر بن عبد العزيز أعظم أموى ترفها وتمسكا . غذى بالملك ونشأ فيه ، لا يعرف الا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته فى المكان الذى يمر فيه ، ويمشى مشية تسمى العمرية ، فكان الجوارى يتعلمنها من حسننها وتبخره فيها ، وانه ترك كل شىء كان فيه لما استخلف غير مشيته ، فانه لم يستطع تركها فربما قال لمزاحم : ذكرنى اذا رأيتنى أمشى فيذكره فيخلط ثم لا يستطيع الا أياها فيرجع اليها » (٩) .

— وقد بلغ من رغبة عمر فى الزهد أنه كان يعتبر أن النعيم الذى كان فيه قبل الخلافة نبت من فى المسلمين وأن زهده بعد الخلافة عن المال العام بمثابة رد لما أخذه من فى ، فلم يؤثر نفسه بزيادة فى الفى ولم يرزق منه شىئا الا عطاءه مع المسلمين فقد حدث أن جرت بينه وبين ابن أبى زكريا المناقشة التالية :

(٦ ، ٧) عمر بن عبد العزيز — لابن كثير — تعليق أحمد الشرباصى ، مرجع سابق

ص ٩٣ .

(٨) المرجع السابق ص ٩٤ .

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز — لابن عبد الحكم — تعليق أحمد عبيد — طبعة ثانية

ص ٢٢ ،

- قال ابن أبي زكريا : يا امير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بشئ •
- قال عمر : قل •
- قال : قد بلغنى أنك ترزق العامل من عمالك ثلاث مائة دينار •
- قال عمر : نعم •
- قال : ولم ذلك ؟
- قال عمر : أردت أن أغنيهم عن الحيانة •
- قال : فانت أمير المؤمنين أولى بذلك •
- فأخرج عمر ذراعه وقال : يا ابن أبي زكريا ان هذا نبت من الفئ •
- ولست معيدا اليه منه شيئا أبدا (١٠) •
- وكان زهده بعد الخلافة بالرغم من توفر الأموال العامة وبالرغم من أن الأموال العامة التى زهد فيها كانت ستوجه لأداء الحج •
- فقد قال عمر لمولاه مزاحم : انى قد اشتهيت الحج فهل عندك شئ ؟
- قال مزاحم : بضعة عشر دينارا •
- قال عمر : وما تقع منى •
- فمكت مزاحم قليلا ثم قال : يا أمير المؤمنين تجهز فقد جاءنا مال سبقه عشر ألف دينار من بعض مال بنى مروان •
- قال عمر : اجعلها فى بيت المال ، فان تكن حلالا فقد أخذنا منها ما يكيفنا وان تكن حراما فكفانا ما أصبنا منها (١١) •
- وقبل عمر بن عبد العزيز حدث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسب نفسه على نفقات الحج •
- فقد قال يسار بن نمير : سألنى عمر كم أنفقنا فى حجتنا هذه ؟
- قلت : خمسة عشر دينارا (ويروى أنه أنفق ثمانين ومائة درهم) •
- فقال عمر : قد أسرفنا فى هذا المال •
- قال هذا مع أن الرحلة كانت رحلة متقشفة لدرجة أنه كان يستظل من شدة القيظ بالقاء ثوب على شجرة ويستظل تحتها •

(١٠) المرجع السابق - ص ٣٩ •

(١١) المرجع السابق - ص ٥٣ •

فقد قال عبد الله بن عامر بن ربيعة « صحبت عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فى الحج ثم رجعنا ، فما ضرب له فسطاطة ولا جفاء ولا كان له بناء يستظل به ، انما يلقي نطقا أو كساء على شجرة فيستظل تحته » (١٢) .

— ولم يبن لعمر بن عبد العزيز بناء فى أيام خلافته وكان يخدم بنفسه .
ويقول : ما تركنا شيئا من الدنيا الا عوضنى الله ما هو خير منها (١٣) .

الزام عائلته بالزهد :

— أمر عمر بن عبد العزيز ببيع حبله وحلل زوجته وأولاده . ومراكبه وعطوره ومثاقه — ودفع ثمنها الى بيت المال (١٤) .
— بعثت ابنة عمر بن عبد العزيز اليه بلؤلؤتين جميلتين كانت صديقة لها تزين أذنيها بهما .
وقالت له : ان رأيت أن تبعث الى بأخت لها حتى أجعلها قرطا فى أذنى .

فأرسل لها بجمرتين ملتهبتين .

وقال لها : ان استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك جثتك بلؤلؤتين كهذه (١٥) .

وعمر بن عبد العزيز فى ذلك يستشعر نفس المشاعر التى شعر بها على بن أبى طالب رضى الله عنه وجعلته يشبه المال العام الذى يأخذه الأمراء بغير حق بقطعة من النار .

فقد حدث سعيد بن محمد عن هارون بن عنثرة عن أبيه .

قال : أتيت عليا بالرحبة يوم نيروز أو مهرجان وعنده دهاقين وهدايا .

(١٢) سيرة عمر بن الخطاب تأليف على طنطاوى ونابجى طنطاوى ص ٢٦٠ . ٢٥٩ ورد فى كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ١٥٣ .

(١٣) المرجع السابق — ص ٩٤ .

(١٤) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ٣٣ ، ٣٤ ، عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٧ .

(١٥) عبقرية الاسلام — عمر بن عبد العزيز — مرجع سابق ص ٣٢ .

قال : فجاء قنبر فأخذ بيده فقال : يا أمير المؤمنين ، انك رجل لا تليق شيئا (١٦) وان لأهل بيتك في هذا المال نصيبا . وقد خبأت لك خبيثته .

قال علي : وما هي ؟

قال : انطلق فأنظر ما هي .

قال : فادخله بيتا فيه باسنة (أى غرارة) مملوءة آنية ذهب وفضة مموهة بالذهب .

فلما رآها على قل : ثكلتك أمك ، لقد أردت أن تدخل بيتي نارا عظيمة .

ثم جعل يزنها ويعطى كل عريف بحصته ثم قال :

هذا جنائى وخيارى فيه وكل جان يده الى فيه لا تغرينى وغرى غبرى (١٧) .

— طلب ابن لعمر بن عبد العزيز كان متزوجا أن يزوجه أخرى ويصدق عنه من بيت المال فغضب عمر ورفض أن يصدقه من بيت مال المسلمين وأمره أن يبيع بعض الأمتعة الخاصة ويستعين بثمنها على ما بدا له (١٨) .

وفى ذلك ينهج عمر بن عبد العزيز نهج عمر بن الخطاب حينما وجد القائم على بيت المال فى عهده درهما فأعطاه لا بن لعمر بن الخطاب ، فلما علم عمر رده وقال للقائم على بيت المال « أردت أن تخاصمنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة » (١٩) .

ويروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما كيف أن أباه حرمه من ربيع تجارة له مشروعة فى الأبل وأمره أن يكتفى برأسماله ويودع الأرباح بيت مال المسلمين لمجرد استنتاج غير متيقن بأن أباه حظيت بمزيد من الرعاية فوق أرض الحمى .

فيقول عبد الله بن عمر : اشتريت ابلا وارجمتها الى الحمى (أرض عامة ينبت بها الزرع) .

فلما سمعت قدمت بها ، فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا .

(١٦) لا تليق يده شيئا : أى لا تضمه ولا يستقر بها .

(١٧) الأموال لأبى عبيد — مرجع سابق ص ٣٤٥ .

(١٨) سيرة عمر لابن عبد الحكم — تعليق أحمد عبيد — طبعة ثانية ص ١٠٦ .

(١٩) ورد بكتاب عمر بن الخطاب لمحمد صبيح ص ١٨٨ وكتابنا السياسة المالية

لعمر بن الخطاب ص ١٥٥ .

فقال : لمن هذه الابل •

قلت : لعبد الله بن عمر •

فجعل يقول : يا عبد الله • بخ بخ ••• ابن أمير المؤمنين •

فجنته أسعى فقلت : مالك يا أمير المؤمنين •

قال : ما هذه الابل ؟

قلت : ابل أنضاء (أى مهزولة) اشتريتها وبعثت بها الى الحمى.

أبتغى ما يبتغى المسلمون •

فقال : ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين ا اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين.

(أى ان ابله خطيت برعاية زائدة لأنها ابل ابن أمير المؤمنين) يا عبد الله

ابن عمر ا أشد على رأسمالك ، واجعل باقية فى بيت مال المسلمين (٢٠) •

زهد عمر بن عبد العزيز اقتداء بزهد الرسول :

كان عمر فى زهده متأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وصحابته :

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجا للزاهدين العاملين ،

فمن زهده ما يرويه ابن مسعود فيقول :

« دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نام على رمال

حصير وقد أثر فى جنبه •

فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير

يقيك منه •

فقال : مالى وللدنيا ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة

ثم راح وتركها • »

ويفصح حديث بين أم المؤمنين حفصة - زوجة رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأبيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما فتحت

عليه الفتوح عما كان عليه الرسول من زهد •

فقالت لأبيها : البس ألين النياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق

ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر •

فقال عمر : يا حفصة الست تعلمين أن أعلم الناس بحال أهل الرجل

أهل بيته ؟

(٢٠) ورد بكتاب عمر بن الخطاب لمحمد صبيح ص ١٨٩ وكتابنا السياسة المالية لعمر

ابن الخطاب ص ١٥٧ •

فقلت : بلى .

قال : قد ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة .

وناشدتك الله هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه .
خيبر ؟

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله قربتم إليه يوما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضعت الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية له ليله أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعتموني قيام الليل بهذه العباءة ، ائتموها بائنتين كما كنتم تئتموها . فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر وانتحب (٢١) .

واقتردى المسلمون الأولون برسول الله صلى الله عليه وسلم فزهدوا وعملوا وجاهدوا حتى رفعوا راية الاسلام عالية خفاقة .

فيقول عبادة بن الصامت للمقوقس أمير مصر وهو يفاوضه باسم المسلمين عند أسوار بابلين .

« وما يبالي أحدنا أكان له قناطر من ذهب أم كان لا يملك الا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليله ونهاره وشملة يلتحفها ، فان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه . . . وان كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى واقتصر على هذا الذي بيده » .

فيقول المقوقس لمن حوله : « ان هذا وأصحابه . . ما أظن ملكهم الا سيبتغلب على الأرض كلها » (٢٢) .

(٢١) ما اخلاق النبي - تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفى ص ٢٤٣ نقلا عن الاحياء

١٩٢/٤ .

(٢٢) فتوح مصر وأخبارها - تأليف ابن القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم

ابن الهى القرشى المصرى - تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ٢٤ .

ثقل المسؤولية مع الزهد :

كان عمر بن عبد العزيز مع شدة زهده كثير البكاء خشية محاسبة الله له عن حقوق الناس قبله ومنها حقوقهم من بيت المال :

ف قيل له : ما يبكيك ؟

قال : تلوموني أن أبكى - ولو أن شاة هلكت على شاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة (٢٣) .

وسألته زوجته مرة - وقد اشتد عليه البكاء - ما يبكيك يا عمر ؟

قال : ويحك يا فاطمة انى نظرت - فوجدتني قدوليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها ففكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المهدد واليتيم المكسور والمظلوم المقهور والغريب والأسير والشبيخ الكبير والأرملة الوحيدة وذى العيال الكثير والرزق القليل وأشباههم فى أقاصى البلاد وأطراف الأرض .

فعلمت أن الله سائل يوم القيامة عنهم وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حجيجي فيهم وخصمي دونهم يومئذ . . فخشيت أن لا يتبت لى عند الله عذر ولا يقوم لى مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة . . فخفت على نفسى خوفا ودمعت له عيني ووجل له قلبى « (٢٤) .

وسبق أن بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من هول المسؤولية حينما كثرت فى عهده الأموال العامة وقد خشى أن يكون الله يختبره بهذه الأموال وينظر هل يعطى الناس حقوقهم منها ويعدل فى العطاء من عدمه .

فيقول ابن عباس : دعانى عمر فاذا حصير بين يديه عليه الذهب منثورا نثرا الحشا (التبن) .

فقال : هلم فاقسم بين قومك فالله أعلم حيث حبس هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وأعطانيه ، الخير أراد بذلك أو الشر ؟ وقال ابن عباس : فأكبت أقسم فسمعت البكاء فاذا عمر يبكى .

ويقول فى بكائه : كلا والذى بعثه بالحق ، ما حبس هذا عن نبيه وعن أبى بكر إرادة الشر بهما وأعطاء عمر إرادة الخير به (٢٥) .

(٢٣) سيرة عمر - ابن الجوزى - مرجع سابق ص ١٩٢ .

(٢٤) ابن الجوزى - سيرة عمر ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢٥) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٣١٩ .

ويبكى أيضا أبو عبيدة بن الجراح خشية أن لا يقوم له حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . بسبب السعة من الأموال العامة .

فقد دخل داخل على أبي عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش الشام فوجده يبكى فلما سئل .

قال : يبكينى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما يفتح على المسلمين حتى ذكر الشام .

فقال : ان نسأ الله فى أجلك فحسبك من الخدم ثلاثة ، خادم يخدمك وخادم يسافر معك وخادم يخدم أهلك . وحسبك من الدواب ثلاثة ، دابة لرحلك ودابة لثقلك ودابة لعلامك .

ثم قال أبو عبيدة : ثم هأنذا أنظر الى بيتى قد امتلأ رقيقا وإلى مربطى قد امتلأ خيلا فكيف ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ، وقد أوصانا « ان أحبكم الى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال التى فارقتكم عليها » (٢٦) .

رفض رئيس الدولة الهدايا

رفض عمر بن عبد العزيز الهدايا :

كان عمر بن عبد العزيز يرد الهدايا التى ترد له ولو كانت من أهل بيته .

فيروى أن رجلا من أهل بيته أهده تفاحا فاشتتمه ثم رده مع الرسول الذى حضر بالهدية .

وقال له : قل له « للمهدى » قد بلغت محلها .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدايا ، وهذا رجل من أهل بيتك .

فقال : أن الهدية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، فأما نحن فهى لنا رشوة (٢٧) .

(٢٦) أحمد بن حنبل امام أهل السنة - للاستاذ عبد الحليم الجندى - طبعة « المجلس

الأعلى للفتوى الإسلامية » ص ١٤٤ .

(٢٧) عمر بن عبد العزيز ، ابن الجوزى ص ١٦٠ وردت بكتاب عمر بن عبد العزيز -

سعد عبد السلام حبيب ص ٩٦ .

رفض عمر أموال هدية لأولاده بعد وفاته :

- لما مرض عمر مرض الموت دخل عليه مسلمة بن عبد الملك .
- فقال له : أوص يا أمير المؤمنين .
- قال عمر : مالي من مال فأوصي به .
- قال مسلمة : هذه مائة ألف دينار فأوص فيها بما أحببت .
- قال عمر : أو خير من ذلك يا مسلمة أن تردّها من حيث أخذتها
- قال مسلمة : جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين ، والله لقد ألتنت
- لنا قلوبا قاسية وجعلت لنا ذكرا في الصالحين (٣٨) .
- وبين من زهد عمر ورفضه قبول الهدايا أن زهده كان شاملا وتعفّفه
- عن الأموال كان كاملا وكان في ذلك يصون الأمانة التي حملها وينفذ
- ما نبه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ الامارة بحقها وخشى
- الغلول الذي حذر منه كما يتبين من الأحاديث النبوية التالية :
- - فالرسول صلى الله عليه وسلم يوضح طبيعة الامارة ومسئوليتها
- في حديث جرى بينه وبين أبي ذر :
- قال له : يا رسول الله أمرني
- فقال : انها أمانة ، وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها
- بحقها وأدى الذي فيها (٣٩) .
- ومن الأمانة أن يعف الأمير عن الأموال العامة ومنافعها بغير حق
- تعففا شاملا كاملا .
- - ويعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم ان تجاوز الأجور المحددة
- من الدولة الى غيرها من الأموال والمنافع العامة غلول وحرام يأثم به آخذ .
- فإذا حددت الدولة للأمرأ مرتبات لقاء أعمالهم للدولة وتجاوزوها كان
- ما أخذوه زيادة عنها غلول .
- فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من استعملناه على عمل
- ففرّقناه فما أخذ بعده فهو غلول » (٣٠) .

(٢٨) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد - طبعة ثانية ص. ١٠٥ .

(٢٩) الأموال لأبي عبيد ص ١١ .

(٣٠) المنتخب من السيرة النبوية الشريفة عدد ٣٦ المجلد الثاني ص ١٠٠٠ و ص ١٠٠١

مجلة منبر الاسلام .

— يقول جل وعلا « ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة » (آل عمران/ من ١٦١) •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الغلول ويوضح أن الذين يغلولون يوم القيامة تحيط بهم الأموال التي غلّوها وتصدر أصواتا تفضحهم فيستغيثون برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يغيثهم لأنه حذرهم في الدنيا •

فمن أبى هزيمة رضى الله عنه — قال :

قام فبينما النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول وعظم أمره ، قال لا ألفين أحكم يوم القيامة على رقبته شاة لها نفاء (صوت الشاة) على رقبته فرس لها حمحة (صوت الفرس اذا طلب غلفه) •

يقول يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت (الذهب أو الفضة) فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك شيئا قد أبلغتك أو على رقبته رقاع تخفق •

فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك شيئا قد أبلغتك « (٣١) •

ولا شك أن الأموال العامة التي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وردت على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فاية أموال عامة أخرى لم يشملها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأية أموال عامة حديثة لم تكن موجودة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم يسرى عليها نفس الحكم بالقياس ، ولو كانت الأموال التي غلت قليلة القيمة زهيدة المقدار •

— فقد حدث أن ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى لما انصرف الجيش من خيبر وكان معه غلام ، فأتى الغلام سهم لا يدرى رامية فأصابه فقتله •

فقال الصحابة : هنيئا له الجنة •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلاً والذي نفس محمد بيده ان شملته الآن لتحرق عليه في النار (وكان غلها من فئ المسلمين يوم خيبر) •

فسمع رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه •

فقال : يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لى •

(٣١) صحيح البخاري - جزء ٢ - اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ص ١٣٤ •

السياسة المالية - ١٢٩

- فقال : يقدر لها مثلها فى النار (٣٢) .
- كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم منع الولاة من أخذ الهدايا ،
- روى فى الصحيحين عن أبى سعيد الساعدى قال :
- استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد على الصدقة .
- فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي الى .
- فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما بال الرجل نستعمله على العمل
- مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي الى ، فهلا جلس فى بيت أبيه
- أو بيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا « (٣٣) .

اعلان أن الأموال العامة أموال الشعب

الأموال العامة من الشعب واليه :

مصدر الأموال العامة هو الشعب ، فهو يقوم بسداد الإيرادات العامة للدولة ، وفى المالية العامة الاسلامية تكون حصيلة الزكاة وهى من المسلمين والجزية والحراج من أهل الكتاب وعشور التجارة من المارين من أهل الحرب بموانئ الدولة الاسلامية وهذه وأية ضرائب أخرى تفرضها الدولة يتحملها الأفراد ويستقطعونها من أموالهم ويؤدونها لخزانة بيت المال ، والوظيفة الأولى للحكومة وأجهزتها أن تؤدي الخدمات العامة من دفاع وأمن وعدالة وتعليم وصحة وغيرها للشعب . وتنفق عليها مما تجمع من أموال عامة .

فالأموال العامة إذن هى أموال الشعب وتعود اليه فى شكل تكاليف الخدمات العامة التى تؤدي اليه ، وحتى القروض العامة التى تقترضها الدول لتمويل العجز فى النفقات العامة تعتبر أيضا من أموال الشعب لأن الأفراد من الأجيال الحاضرة والمستقبلية ينحملون تكاليف هذه القروض .

والواجب دائما أن تعلن هذه الحقيقة على المواطنين حتى تستقر فى وجدانهم فيحافظوا على الأموال العامة ويصونوها من الاتلاف والضياع والاعتداء ، ويحاسبوا من بيدهم هذه الأموال العامة اذا أساءوا استخدامها ولم يرشدوا عملياتها وخالفوا مسارها السليم المستقيم ، وتكون المحاسبة بمعرفتهم مباشرة أو بمعرفة ممثليهم فى المجالس النيابية المركزية منها والمحلية .

(٣٢) من أخلاق النبى — د . أحمد محمد الحوفى — نقلا عن مسند أحمد ص ٣٤ .

(٣٣) المنتخب من السنة النبوية الشريفة عدد ٣٦ المجلد الثانى هدية مجلة منبر

الاسلام ص ١٠٠٧ .

أعلن عمر بن عبد العزيز أن الأموال العامة أموال الشعب في إحدى خطبه فأوضح أنه منع نفسه عن المال العامة لأنه ليس ماله وأنه لم يضمن به على الشعب لأن المال العام ماله فقال : « أيها الناس .. ألا واني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال ، فان ضننت به عنكم ، انى اذا لضنين » (٣٤) .

المال مال الله والشعب مستخلف عليه :

وتؤكد المالية العامة الاسلامية هذا المعنى ، فيعتبر الاسلام أن المال عموما ومنه المال العام مال الله وأن الناس مستخلفون عليه ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » (النور/ من ٣٣) .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لم أجر كبير » (الحديد / ٧) .

فالشعب اذن مستخلف على الأموال ، فاذا أطاع الله وأولى الأمر وأدى ما عليه من فرائض لبیت المال ، كان على الحكومة وهى وكيلة من الشعب أن يستقر فى يقينها أن المال مال الله وأن الشعب استخلفها عليه وأن عليها أن توجهه لتحقيق المصلحة العامة التى هى فى النهاية مصلحة الشعب ، وعلى الشعب كذلك أن يعرف أن المال مال الله وأن الله استخلفه عليه وأنه مما يدخل فى نطاق الاستخلاف أن يراقب الأموال العامة التى جنتها منه الحكومة ويتأكد من انها تدار ادارة رشيدة .

ترشييد الانفاق العام

المقصود بترشييد الانفاق العام :

يقصد بترشييد الانفاق العام أن يكون خاليا من الاسراف والتقتير ، فالاسراف انفاق بغير عائد فهو مضيعة للأموال ، والتقتير حبس للمال عن تحقيق منفعة مشروعة ، ويدعو الله جل وعلا الى خلوا انفاق الأموال من النقيصتين فيقول :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (الفرقان / ٦٧) .

(٣٤) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم ص ٣٦ .

ومن عوامل ترشيده الاتفاق العام أن توجهه الدولة طبقاً لأولويات تقوم على ترتيب أوجه انفاقه على أساس ما تحققه للمصلحة العامة ، فكلماً كان الاتفاق العام على وجه معين من وجوه الانفاق العام أكثر تحقيقاً للمصلحة العامة ، كلما كان له الأولوية في الترتيب ، وتبدو أهمية ترتيب وجوه الاتفاق العام إذا كانت المآليات العامة للدول تسفر عن عجز مالى تزيد فيه النفقات العامة عن الموارد العامة فيكون عليها أن تبدأ بالانفاق على الأهداف الأكثر أهمية .

ونوضح فيما يلى نماذج من ترشيده الاتفاق العام الذى أجراه عمر بن عبد العزيز .

ترشيده اعتمادات انتقال رئيس الدولة :

لما رجع عمر بن عبد العزيز من جنازة سليمان بن عبد الملك أتوا به بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع عن ذلك وأنشأ يقول :

فلولا التقي ثم النهى خشية الردى لما صببت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى اليسالى الغواير

ثم قال : ما شاء الله ، لا قوة الا بالله ، قدموا الى بغلتي .

ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة لمن يريد وكانت من الخيول الجياد المثمنة ، فباعها وجعل أثمانها فى بيت المال (٣٥) .

ترشيده اعتمادات حراسة رئيس الدولة :

منع عمر بن عبد العزيز حراسه من القيام له وقال له :

« لا تبدئوننى بالسلام ، انما السلام علينا لكم .. وان بى عنكم لغنى ، كفى بالقدر حاجزا ، وبالأجل حارسا ومع ذلك لا أخرجكم من مراتبكم ولا أقطع أرزاقكم .. من أقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء فإيلحق بأهله وذويه (٣٦) » .

الغاء نفقات البلاط :

فى أول عهد عمر عرضت عليه الجوارى والوصيفات من نازلات البلاط ، كى يختار منهن وصيفات قصره وسلطانة .

(٣٥) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير ص ٦١ .

(٣٦) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ٩٨ .

- فجعل عمر يسألهن واحدة واحدة « من أنت وكيف أخذت ؟ »
- وينادى عمر « مزاحم » ويطلب منه أن يرسل كل واحدة منهن الى بلدها وذويها (٣٧) .

ترشيده وتعفف عن المال العام :

- دخل عمر بن عبد العزيز يوما على امرأته فسألها أن تقرضه درهما أو فلوسا يشتري له بها عنبا فلم يجد عندها شيئا .
- فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في خزائنك ما يشتري به عنبا .
- فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدا في نار جهنم (٣٨) .
- بعث يوما غلامه ليشتري له لحما فجاء بها سريعا مشويا .
- فقال له : أين شويتها .
- قال : في المطبخ
- قال : في مطبخ المسلمين ؟
- قال : نعم .
- قال : كلها فاني لم أرزقها فهي رزقك .
- وسخنو له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطباً لبیت المال (٣٩) .

- وكان له سراج يكتب عليه حوائجه وسراج لبیت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً (٤٠) .

ترشيده اعتمادات الاضاعة :

- وجد عمر فيما وجد من مخلفات سليمان بن عبد الملك رسائل من عامله على المدينة محمد بن حزم يطلب حصة من الشمع كالتى كانت لأمرأه من قبله ، وكان عمر لما ولى أمر المسلمين قد أبقاء علمه وفقهه وعدله وحكمته وكما طلب محمد بن حزم كذلك من سليمان قراطيس (أوراق لحوائج المسلمين) .

(٣٧) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٤٠٣٩٠٣٨) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى - تقديم وتعليق احمد الشرباصى

ص ٧٦ ، ٧٧ .

فكتب عمر اليه :

أما بعد ، فقد قرأت كتابك الى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيئون به في مخرجهم ، فابتليت بجوابك فيه ، ولعمري لقد عهدتك يا ابن حزم وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشبائية المظلمة بغير مصباح ، ولعمري أنت يومئذ خير منك اليوم ، وقد كان في قنديل أهلك ما يغنيك ، ثم قرأت كتابك الى سليمان تذكر فيه أنه كان يجرى على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس (الورق) لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتليت بجوابك فيه . فإذا جاءك كتابي هذا فأدق القلم ، وأجمع الخط ، وأجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة ، فانه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر بيت ما لهم - والسلام عليك (٤١) .

ترشيده الانفاق العام على الأدوات الكتابية للدولة :

مات ابن لعمر بن عبد العزيز فكتب له عامل يعزيه عن ابنه :

فقال عمر لكاتبه : أجبه عني .

فاخذ الكاتب يبرى القلم .

فقال عمر للكاتب : أدق القلم فانه أبقي للقرطاس وأوجز

للمحروف (٤٢) .

ترشيده الانفاق العسكري :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز سحب جيشا للدولة كان مرابطا حول أسوار القسطنطينية بعد ما تبين له سوء حالة الجيش وبذلك رشد الانفاق العسكري ما دام لم يكن هناك أمل في تحقيق أى نصر .

وحديثنا يتوقف مدى الترشيده الممكن أن يتحقق في الانفاق العسكري على عوامل عدة منها درجة التوتر العالمى والعنف السائد في الدول المحيطة ومدى الاستعداد العسكرى لتلك الدول والسوق التى تشتري منها الأسلحة وأسعارها مع مراعاة أن خفض الانفاق العسكرى قد يؤدي الى تأثر الأنشطة الاقتصادية الأخرى وحدوث حالة من البطالة في حالة

(٤١) خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز - سلسلة مقالات بجريدة الامرام بتاريخ

٨٥/٨/٢١ لعبد الرحمن الشرقاوى .

(٤٢) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٧١ .

الاستغناء عن بعض القوات وقلة الطلب على السلع التي تستهلكها هذه القوات المسلحة .

ومع ذلك فيظل بعد مراعاة العوامل السابقة الباب مفتوحا لترشييد الانفاق العسكرية عن طريق ترشييد الكم والحجم العسكري بترشييد عدد القوات المسلحة وأنواع أسلحتها وتكلفة العناصر الادارية بها ومحو الاسراف والفاقد والتكاليف الضائعة نتيجة عدم اكتمال التنظيم والادارة .

دفع عطاء الشعراء من مال الدولة :

لما استخلف عمر بن عبد العزيز وقف أحد الشعراء على بابه فقال عمر ليس لنا في شعرهم مأرب « (٤٣) » .

وكان الشعراء يقفون ببابه شهرا لا يأذن لهم ويقول « ليس لهم في بيت المال حق » (٤٤) .

وكان يذكر لكل منهم ما قاله من شعر مخالفا الحق والفضيلة ومما ذكره عن الأخطل قوله :

فلمست بصائم رمضان عمري ولست بأكل لحم الأضاحي
ولست بقائم كالعير أدعو قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح (٤٥)

ولما تشفع الفقيه الورع « عوف بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي » في دخول الشاعر جرير على عمر بن عبد العزيز فدخل جرير وهو يقول :

ان الذي بعث النبي محمدا جعل الخلافة في امام عادل
وسع الخلائق عدله ووفاءه حتى ارعوا وأقام ميل المائل
والله انزل في القرآن فريضة لابن السبيل وللفقير العائل
اني لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل (٤٦)

فقال عمر : ويحك يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا ، فأنشد جرير يقول :

كم باليمامة من شعشاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
هذه الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر (٤٧)

(٤٧، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧) من كتاب عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - وردت في الصفحات من ١٣٥ حتى ١٣٩ - طبعة دائرة الفكر العربي .

فقال عمر : يا جرير أمن أبناء المهاجرين انت فنعرف لهم حقهم ،
أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمر
صاحب صدقات قومك ، فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟

فقال جرير : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحد من هؤلاء ، واني لمن
أكثر قومي مالا ، وأحسنهم حالا ولكنى أسألك ما تعودت عليه من الخلفاء :
أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وحملان .

فقال له عمر : كل امرئ يلقي فعله . . أما انا فما أرى لك فى مال
الله حقا (٤٨) .

— هذا وتظهر فى الموازنات العامة الحديثة لبعض الدول اعتمادات
تخصص للانفاق على نهضة الثقافة العامة وتشجيع فروعها ومنها الشعر ،
ولا تتربى على ذلك ما دام الشعر يرتبط بالحق والفضيلة ، فالشعر فن
والفنون الصالحة غير الهابطة أو المسفة تهذب النفس وتسمو بالمشاعر
وتجمل الحياة .

ولا يتعارض ذلك مع أصول الدين ولا يهدره قول الله تعالى مخبرا
عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (يس / ٦٩) .

وتفسير ذلك ان الله لم يعلم رسوله الشعر ولا هو فى طبعه ولا
يحسنه ، غير انه ثبت فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم
حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ولكن تبعاً لقول
أصحابه رضى الله عنهم فانهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام ان لا قيـنا
ان أولاء قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

فكان صلى الله عليه وسلم يرفع صوته ويقول « أبينا » ويمدها .
وقد ثبت كذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب
البغلة يقدم بها نحو العدو :

انا النبى لا كـذب انا ابن عبد المطلب

ولكن ذلك وقع انفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان
من غير قصد اليه فقد كانت سجينة صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة
الشعر طبعا وشرعا (٤٩) •

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا » (٥٠) •

ولا يسرى ذلك على الشعر المشروع ، كهجاء المشركين وشعر الحكمة
وشعر المواعظ •

نرشيد الانفاق العام بترتيب أولوياته :

أوضحنا أنه لا يتم الانفاق العام على الشعب وخدماته بطريقة عشوائية
بل ينبغي أن يكون طبقا لأولويات واضحة يتم فيها المفاضلة بين أنواع
الانفاق المختلفة وتفضيل أكثرها أهمية والأخذ بأعلاها عائد على الوطن
والمواطنين •

وقد أخذ عمر بن عبد العزيز بمبدأ المفاضلة بين وجوه الانفاق
المختلفة • فقد استأذنه يوما واليه على الجواز فى صرف مبلغ كبير لكسوة
الكعبة ، فكان جواب عمر له :

انى أرى أن أجعل هذا المال فى أكباد جائعة فانها أولى بها من الكعبة •
فالانفاق العام على اطعام الفقراء وغذاء المساكين له أولوية تفضله
على الانفاق على كسوة الكعبة (٥١) •

(٤٩) أخرجه الامام أحمد عن أبى هريرة مرفوعا •

(٥٠) مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق محمد على الصابوني - المجلد الثالث

ص ١٦٩ - ١٧٠ •

(٥١) عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد ص ١٣٩ •

الفصل الثانى

نماذج من الانفاق العام فى عهد عمر بن عبد العزيز

طبيعة الانفاق العام فى عهد عمر بن عبد العزيز :

قامت المالية العامة الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز بتمويل جميع النفقات العامة التى تطلبها ادارة الدولة واداء الخدمات العامة التى كانت تقوم بها الحكومات فى ذلك الوقت ، فلم تكن الحكومات تؤدى جميع الخدمات العامة التى تقوم بها حاليا فى ظل السياسات التدخلية ، بل اقتصر الأمر على الخدمات العامة الرئيسية التى تختص بها الحكومات ، كخدمات الدفاع والأمن الداخلى واقامة العدالة بين المواطنين بجانب الانفاق على المشروعات العامة التى كانت تتفق مع طبيعة ذلك العصر ، مع مراعاة أنه فى المالية العامة الاسلامية كما سبق أن أوضحنا تقوم موازنات الزكاة وخمس الخنائم بوجوه انفاق مخصصة تحقق خدمات عامة اجتماعية للطبقات الضعيفة فى المجتمع .

وفىما يلى نماذج من الانفاق العام على ادارة الدولة والخدمات والمشروعات العامة فى عهد عمر بن عبد العزيز :

الانفاق على أجور العاملين بالدولة :

تتضمن الاعتمادات العامة التى تنفقها الدولة جزءا هاما كأجور العاملين تدرجها بموازنتها العامة السنوية ، وقد اتجه عمر بن عبد العزيز فى تحديد الاعتمادات اللازمة لأجور العاملين بالدولة الاسلامية فى عهده على أساسين :

الأساس الأول : تحديد أجور عالية للعاملين :

يذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز كان يوسع على عماله فى النفقة ، يعطى الرجل منهم فى الشهر مائة دينار ومائتى دينار وأكثر وكان يبرر ذلك بأنهم اذا كانوا فى كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين (١) .

وعلاوة على اتقان الأعمال التى نوه عنها عمر بن عبد العزيز ، فإن جزالة ائابة العاملين تعصمهم من التطلع لأى اغراءات تعرض عليهم كقبول الهدايا من أصحاب الحاجات والرشاوى ، ممن لهم أعمال متصلة بالدولة .

ولذلك فإن الدول حديثا تزيد مرتباتهم فى فترات التضخم الاقتصادى عندما ترتفع الأسعار حتى لا تتناقص القوة الشرائية لما يحصلون عليه من مرتبات ، كما أن موازنات الدول تتضمن ملحقات أخرى للمرنب الأساسى كالأجور نظير أى عمل اضافى يقومون به والمكافآت لائابة المميزين منهم فى أداء الأعمال وتكاليف نظم للمعاشات تمنح لهم عند تقاعدهم ومبالغ لتمتعهم بنظام للعلاج حين مرضهم ، كما تدرج الدول فى موازانتها كذلك اعتمادات لرد أية نفقات أنفقوها من أموالهم فى سبيل العمل .

وقد أشار أبو عبيدة الجراح على عمر بن الخطاب برفع أجور الولاة عندما اختار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتولى الولايات ، فجرى بينهما الحديث التالى :

قال أبو عبيدة : دنست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له عمر : يا أبا عبيدة اذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة دينى فبمن أستعن ؟

فقال له عبيدة : أما اذا فعلت فاغنهم بالعمالة عن الحيانة . (أى اذا استعملتهم على شئ فاجزل لهم فى العطاء والأجر حتى لا يحتاجون) (٢) .

الأساس الثانى : عدم ازدواج الانفاق العام على العاملين :

أمر عمر بن عبد العزيز بعدم اعطاء العاملين الرزق من جهتين فليس لأحد أن يجمع بين عطاءين أو يحصل على أجرين وراتبين (٣) .

-
- (١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق - ص ٩٠ - وفد سبق أن اشرنا لذلك عند التنويه عن زهد عمر بن عبد العزيز .
 (٢) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق ص ١١٣ .
 (٣) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ٨٠ نقلا عن ابن عبد الحكم وابن الجوزى .

ومن مزايا هذه السياسة أن تتيح الفرص لفتح باب العمالة لعدد أكثر من العاملين وترشد الانفاق العام ، فلا تتحمل الموازنة العامة بأجور لا مبرر لها نظير أعمال لا ضرورة لها قد يوهم من بيدهم الأمر لزومها لنشاط الدولة بغية الحصول على أجور زائدة فوق مرتباتهم الأساسية بغير حق .

اتفاق على مشتريات للدولة :

يوضح ما يلي اتفاق الدولة على مشتريات لها في عهد عمر بن عبد العزيز .

كتب الوليد بن عبد الملك الى أسامة بن زيد التنوحى وكان واليا على خراج مصر أن يشتري له فلغلا بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم فاشتراه من أحد تجار مصر وهو موسى بن وردان ولم يدفع الثمن ، فذهب الى عمر بن عبد العزيز ليطلب ما باعه فأمر له بها .

ويحدثنا موسى بن وردان عن ذلك فيقول :

« دخلت على عمر بن عبد العزيز فحدثته بأحاديث عن أدركته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عنده بمنزله أدخل اذا شئت وأخرج اذا شئت فكنت أحدثه عن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته الكتابة الى حيان بن سريح فى عشرين ألف دينار أستوفئها من ثمن فلغل ليكتب اليه بدفعها الى :

فقال لى : ولئن العشرون ألف دينار .

قلت : هي لى .

قال : ومن أين هي لك .

قلت له : كنت تاجرا .

فضرب بمخصرته ثم قال : التاجر فاجر والفاجر فى النار .

ثم قال : اكتبوا الى حيان بن سريح .

فلم أدخل عليه بعدها وأمر حاجبه أن لا يدخلنى عليه (٤) .

وكان البيت الذى خزن فيه الفلغل ملكا للدولة بنه قيس بن سعد ابن عباد ، حينما ولاه على بن أبى طالب على مصر ثم عزله فكان الناس يقولون أن البيت بيته فلما ذكر له ذلك .

قال : أى دار لى بمصر ؟

فذكرها له .

فقال : انما تلك من مال المسلمين لا حق لى فيها .

ولما حضرته الوفاة أوصى فقال : انى كنت بنيت دارا بمصر وأنا واليها واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم (٤) .

وبذلك تنزهه عن أخذ بيت بنى بمال الدولة ولم يميله عن الحق اعتقاد الناس أن البيت بيته .

انفاق على تعويضات من الدولة :

وفيما يلى انفاق على تعويض لمواطن لحقه ضرر من الدولة :

تدرج الدولة بموازاناتها العامة السنوية اعتمادات لمقابلة أية تعويضات تلزم بها بسبب أضرار تقع من العاملين بها على الناس وتكون عادة بناء على حكم محكمة ، أو تنفيذاً لبنود عقود بين الحكومة والغير بنص فيها على تعويضات للغير على الدولة فى حالة وقوع أضرار ، وقد تدفع هذه التعويضات بالتراضى بين الحكومة والغير ، فتدفع الدولة تعويضات متى اقتنعت بوقوع الضرر وهذا ما فعله عمر بن عبد العزيز .

فقد شكأ اليه رجل .

فقال : زرعت زرعاً فمر به جيش من جند الشام فأفسده .

فعوضه عمر من بيت المال (٥) .

انفاق على التعليم :

كان عمر بن عبد العزيز يهتم بالعلم والعلماء والتعليم ومن أقواله فى هذا الشأن :

« ان استطعت فكن عالماً ، فان لم تستطع فكن متعلماً ، فان لم تستطع فأجهم - يعنى العلماء - فان لم تستطع فلا تبغضهم » .

(٤) فتوح مصر وأخبارها - تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم بن أعين القرشى - تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ٧٣ ، ٨٤ .
(٥) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق ص ١١٩ .

« تعلموا العلم فإنه زين للغنى وعون للفقير ، لا أقول انه يطلب به ولكنه يدعو الى القناعة » (٦) •

« ان للإسلام حدودا وفرائض وشرائع وسننا • فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان - فان أعش بينكم ابينها لكم وأعلمكموها وأحملكم على العمل بها ••• وان مت فما أنا على صحبتكم بحريص » (٧) •

ولذلك كان ينفق من بيت المال على تعليم الشعب ومنهم أهل البدو •

فقد بعث يزيد بن أبي مالك المشقى والحارث بن مجاهد الأشعري ففقهان الناس في البدو وأجرى عليهم رزقا من بيت المال ، فأما يزيد فقبلها وأما الحارث فأبى أن يقبل •

فقال عمر : « انا لا نعلم بما صنع يزيد بأسا وأكثر الله فينا مثل الحارث بن مجاهد » (٨) •

وبذلك أقر عمر قبول يزيد للأجر لأنه عن عمل يقوم به للدولة ، وتمنى أن يكثر الله من أمثال الحارث بن مجاهد لأنه قام بالتعليم متطوعا يبتغي الأجر من الله عز وجل •

وكان بعض العلماء يقومون بتعليم الناس مجانا دون أجر ومنهم أحمد ابن حنبل الذي لم يقبل عطاء من الحاكم ، ومنهم من كان يأخذ ما يتقرر له من بيت المال ولكن يفرقها في الناس ومنهم ابراهيم بن طهمان فقد كان له جارية من بيت المال ولكن كان يفرقها تورعا في العلم (٩) •

ومن الاتفاق على التعليم في عهد عمر بن عبد العزيز أنه كان يعطى من انقطع الى المسجد الجامع في بلده وغيرها ونشر العلم وتلاوة القرآن في كل عام من بيت المال مائة دينار •

ومما يتصل بالتعليم الاتفاق من بيت المال على النشاط الخاص بالترجمة ويعتبر عمر بن عبد العزيز من الأوائل في نقل العلوم من اللغات

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد عبيد - مرجع سابق ص ١٤٦ •
 (٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٨٧ • وابن كثير - تعليق أحمد عبيد - مرجع سابق ص ٥٤ •
 (٨) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٣٣٤ •
 (٩) أحمد بن حنبل - امام أهل السنة - استاذ عبد الحليم الجندى • ص ١٥١ ،
 • ١٥٢

الأخرى الى العربية ، فقد أمر بعض الروم فنقلوا كتابا فى الطب الى العربية
وأخرج له للناس (١٠) .

واهتم عمر بن عبد العزيز كذلك باصلاح اللسان العربى لما وجد
اللحن يشيع فى الأمة وكان يشجع الموالى (أهل البلاد المفتوحة) على تعلم
اللغة العربية واتقانها ويفرق من بيت المال على من يتفوق فيها حتى أن
بعض الموالى أصبحوا بلسان عربى مبين أنصح بيانا من بعض العرب (١١) .

انفاق عام عسكرى :

لم يكن عهد عمر بن عبد العزيز عهد فتوحات كما ذكرنا الا أنه
حدثت بعض المناوشات اضطرته الى أن يسير لها الجيش ومنها ما يلى :

— فى سنة تسع وتسعين هجرية وبعد خلافة عمر بن عبد العزيز
اغارت الترك على اذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم ، فوجه
اليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلى فقتل أولئك الترك ،
فلم يفلت منهم الا اليسير فقدم منهم على عمر بخمسين أسيرا (١٢) .

— فى سنة مائة هجرية خرجت حرورية بالعراق ، فكثب عمر بن
عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل
العراق بأمره بأن يدعوهم الى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم فلما استجيبوا بعث اليهم بجيش فهزمته الحرورية ، فبلغ عمر
ابن عبد العزيز فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك فى جيش من أهل الشام
فلقبهم فنصره الله عليهم (١٣) .

ويمثل الانفاق على اعداد هذه الجيوش انفاقا عاما تم تمويله من
بيت مال المسلمين .

انفاق عسكرى لم يتم :

قد يتم الانفاق العام ومنه الانفاق العسكرى — لحفظ كرامة المواطنين
والمحافظة على معتقداتهم خصوصا اذا ما كانت ستهدر من دولة أخرى ،

(١٠) الامام الشافعى — استاذ عبد الحليم الجندى — ص ١٧٠ اصدار المجلس الأعلى
للشئون الاسلامية .

(١١) مقال عن خامس الراشدين — لعبد الرحمن الشرقاوى — بجريدة الاهرام ص ١٢
فى ٨٥/٨/٢٨ .

(١٢) الطبرى جزء ٦ — المرجع السابق ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

(١٣) الطبرى جزء ٦ — مرجع سابق ص ٥٥٥ .

فان لم ترعو هذه الدولة يتعين ارغامها على ذلك بجميع القوى الممكنة ومنها قوة الجيش مع ما يتكلفه ذلك من نفقات عامة تنفقهها الدولة على اعداد الجيش وانتقاله وتمويله وغير ذلك من النفقات ، وهذا ما كاد يفعله عمر بن عبد العزيز .

فقد حدث أن أحد جنود الجيش الذى كان يحاصر القسطنطينية وقع أسيرا فى أيدي الرومان وكان هذا الجندى معروفا بشجاعته وصلابته وقوة ايمانه .

وحاول امبراطور الروم أن يكرهه على ترك دين الاسلام واعتناق النصرانية ، فلما أبى أخذ يعذبه ويهدده بفقأ عينيه فتمسك الجندى بدينه .

فلما بلغ عمر كتب الى امبراطور الروم مهددا :

« قد بلغنى ما صنعت بأسيرك فلان ٠٠ وانى أقسم بالله لئن لم ترسله الى بمجرد وصول رسالتى هذه اليك لأبعثن اليك بجيش أوله عندك وآخره عندى » .

فرضخ طاغية الروم وأعاد الأسير دون تردد أو ابطاء (١٤) .

١. اتفاق عام على الحج :

كان من عادة الدولة الاسلامية أن تؤدى سنويا بعثة رسمية الحج ويصحبها المسلمون باعتباره أحد أركان الاسلام الخمس ، ففي عهد عمر بن عبد العزيز فى سنة تسع وتسعين وسنة مائة هجرية حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة (١٥) وتحمل بيت المال النفقات العامة اللازمة فى هذا الشأن .

اتفاق عام على تمويل احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

من أهم الأعمال التى قام بها عمر بن عبد العزيز تدوين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فكر فى تدوين الحديث واستشار الصحابة فأشار به عامتهم فلبث شهرا يستخير الله فى ذلك ثم رأى العدول عن ذلك وترك كتابة السنن .

(١٤) سيرة عمر بن عبد الحكم ص ١٤٤ .

(١٥) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٥٤ ، ٥٦٣ .

وقال : « انى كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وانى والله لا ألبس كتاب الله بشئ » .

وكانت سنة أربعين للهجرة سنة الفقرة ، فالأمة كانت مع على الا معاوية وأهل الشام وكانت اخوارج ضد على ومعاوية ومن والاهما ، ويدا التشيع لعلى وبنيه أو لبنى أمية يحدث أثره فى تأويل كل فرقة الأحاديث لمصلحتها وقد اتخذت عدم دقة بعض الأحاديث أوضاعاً مختلفة .

فكان ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم ما لم يقله أصلاً استخفافاً وافساداً كالزنادقة وأشباههم أو تقلب الأسانيد ويزاد فيها أو ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم بعض كلام الصحابة وغيرهم وحكمة الحكماء .

وكان الكذب قليلاً فى عهد كبار التابعين ثم زاد فى عهد صفارهم وتفاقم من بعدهم وفى أواخر المائة الأولى من الهجرة كان الكذب أكثر .

فقرر عمر بن عبد العزيز تجميع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتنقيتها مما اندس فيها ، فاستشار العلماء فأيدوه معظمهم ، فكتب الى محمد بن حزم أمير المدينة :

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته أو نحو هذا فاكتبه فانى خفت دروس (ضياع) العلم وذهاب العلماء » .

وكتب الى عماله كتاباً عاماً « نظروا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » . كما شجع آل البيت على تدوين ما لديهم من أحاديث وكان يرى أن من أوثق الأحاديث هى ما رواه زين العابدين على بن الحسين بن أبى طالب عن أبيه عن جده النبى عليه الصلاة والسلام ، ولما تم تدوين الأحاديث والسنن بعث عمر بن عبد العزيز الى كل بلد له عليها سلطان دفترًا يحوى هذه الأحاديث ، وبذلك ساهم فى وقاية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الاندثار والتحريف (١٦) وكان ما قام به عمر خطوة أولية فى التدوين ساهمت فى استكمال التدوين بعد ذلك .

ولا شك أن أية نفقات عامة تكون قد أنفقت على هذا العمل الجليل تم نمويلها من بيت مال المسلمين وان كان يرجح أن المساهمة فى هذا العمل العظيم كانت معظمها تطوعاً ابتغاء مرضاة الله جلا وعلا .

(١٦) أحمد بن حنبل امام أهل السنة - للاستاذ عبد الحليم الجندى - ص ٢٠١ - ٢١٠
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

اتفاق على اصلاح السجون :

ومن نماذج اصلاح المرافق العامة فى عهد عمر بن عبد العزيز اصلاح نظام السجون وايواء المسجونين وكانت أى نفقات لذلك من بيت المال وفيما يلى اجراءات الاصلاح التى تمت فى عهده :

— لا يجمع بين قوم حبسوا فى دين وبين أهل الدعارة والفساد فى سجن واحد وفى ذلك استجابة لقول الله جلا وعلا :

« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (الأنعام/ من ١٥١) .

— جعل للنساء حبسا على حده مستقلا عن الرجال ، وذلك تلبية لقول الله سبحانه وتعالى : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » (الاسراء / ٣٢) .

— عهد بحراسة المساجين إلى من يوقن بأمانتهم ومن لا يرتشى فان من ارتشى صنع ما أمر به « (١٧) .

وبذلك منع أن تحقيق لعنة الله بكل من الراشى والمرتشى والرائش .

فمن ثوبان أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » الراشى أى الذى يسعى بينهما .

اقرار اتفاق عام على المسجد الأموى :

تعرض فى المالية العامة حالات تتطلب التوسع فى الانفاق العام لتحقيق مصلحة عليا للدولة ، ويتعذر ضغط الاتفاق فيها ، فتقرها الدول خصوصا اذا كان هذا الاتفاق قد تم وأصبح أمرا واقعا ، وقد صادف عمر ابن عبد العزيز حالة من هذه الحالات فأقرها لارتباطها بالمصلحة العليا للدولة .

فقد بنى فى عهد الوليد بن عبد الملك المسجد الأموى وبدأ فى بنائه سنة ٨٨ هجرية واستمر بنيانه تسع سنوات وقيل أن الوليد أنفق على عمارة المسجد خراج المملكة سبع سنين وأن حساب ما أنفق عليه حمل على ثمانية عشر بعير (١٨) وقيل كذلك أن الوليد أنفق أربعمئة ألف دينار وأنه اجتمع فى تركيب رخامة اثني عشر ألف مرخم .

(١٧) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ١٤١ .

(١٨) معجم البلدان — شهاب الدين أبو عبد الله الحموى — مطبعة السعادة بالقاهرة

٧٦/٤ نقلا عن عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام ص ٧٥ .

ويذكر الرواة أن المسجد قد بلغ من فن العمارة وعظمة البناء ما يجبر زائره يرى فيه كل يوم شيئا جديدا ٠٠ فالجامع بنى بالحجر والكلس ٠٠ وفصصت حوائطه بالفسيفساء ٠٠ وقرش بالمرمر ، وأقيمت أعمدته من أفخم أنواع الرخام ورصع دحرابه بالجواهر الثمينة وسف بالرصاص ٠٠ وكان يضاء بقناديل من الذهب والفضة وزخرف بأنواع الزخرفة من الفصوص المذهبة والمرمر المصقول ٠٠ وتحت نسرته عمودان جزعان بالحمرة لم يشاهد مثلها - يقال أن الوليد اشتراها بألف وخمسمائة دينار ٠ وفي المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا في عرش بلقيس وقيل أيضا أنه كان عنده منارته الشرقية حجر يقال أنه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (١٩) ٠

ولما غالى الوليد في تكاليف بناء المسجد وزخرفته ٠

قال الناس : محق بيسوت الأموال في نقش الحشيب ونزوى الحيطان (٢٠) ٠

فلما تولى عمر بن عبد العزيز امارة المسلمين استقر عزمه على قلع الفسيفساء والرخام ، ونزع السلاسل الذهبية وكانت ستمائة سلسلة كما قيل ليبيعتها ويرد ثمنها الى بيت مال المسلمين ٠

ولكن حدث أن زار أحد الروم المسجد في عهد عمر ، وكان المسجد يعجب كل من رآه من مشرق ومغرب ، فخر الرومى مغشيا عليه ، فلما أفاق سأله عما عرض له ٠

فقال : « كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيبلغوها ، فلذلك أصابني ما أصابني » ٠ فلما علم عمر بذلك ، ترك ما كان عازما عليه (٢١) ٠

(١٩) صبح الأعنى ج ٤ ص ٩٦ نقلا عن المرجع السابق ص ٧٥ ٠

(٢٠) مسالك الأبصار : المعرى ج ١ ص ١٩١ نقلا عن المرجع السابق ص ٧٥ ٠

الباب السادس

اصلاح ادارة المالية العامة
فى عهد عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

اصلاح سياسة عمالة الدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز

- عموميات عن النظام الادارى للدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز :

— طبقا للمبادئ الاسلامية فان خليفة المسلمين هو رئيس الدولة وهو مسئول امام الله والامة عن مصالح المسلمين وحقوقهم وهو مستودع السلطة الاسلامية ويتلقاها عنه الولاة بتفويض منه وهو يراقب الوالى ويحاسبه بعد أن يحسن اختياره فنظام الحكم فى الاسلام أقرب الى الحكم الرئاسى المعروف فى الأنظمة المعاصرة .

— كانت الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز مقسمة الى ولايات كبيرة تسمى كور مفردها كورة .

— كان الأساس العام للحكم فى بدء الدولة الاسلامية يقوم على المركزية ، الا انه باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، دعا الأمر بمضى الوقت الى التخفيف تدريجيا من المركزية وتوزيع اختصاصات أوسع على العمال وتخويلهم سلطات أكبر للبت فى الأمور دون الرجوع للخليفة مما جعل الحكم يتسم ببعض سمات اللامركزية (١) .

— وفى عهد الأمويين وفى عهد عمر بن عبد العزيز خاصة سار الحكم على أساس منح الحرية للعامل فيما فوض فيه من اختصاصات ، لا يشاور الخليفة الا فيما يشكل عليه من مهام فكان الوالى يتحمل مسئوليات عمله ويتصرف فيما يعرض عليه من مشاكل حتى يستطيع تحقيق مصالح الرعية .

(١) مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية — دراسة مقارنة — المستشار

عمر الشريف ص ٢٠٦ ، ٢١٣ .

- وكانت أنشطة الدولة تزاوّل بمعرفة دواوين وهو ما يقابل في الاصطلاح الحديث الوزارة أو المصلحة أو ما جرى مجراها من الأجهزة الإدارية في الدولة . وأول من أنشأ الدواوين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أنشأ ديوانين أحدهما ديوان العطاء لتنظيم عطاء المسلمين بما فيهم الجند الاسلامي ، والثاني ديوان للخراج ، واستمر الديوانان في عهد عمر بن عبد العزيز ، وبجانبهما ديوان البريد وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ نظاماً للبريد في الدولة الاسلامية ، وديوان الخاتم لختام كتب الدولة وأنشأه كذلك معاوية بعد وقوع تزوير في أحد كتبه لواليه على العراق (٢) .

- وكان بالولايات دواوين مالية فرعية يثبت بسجلاتها الإيرادات العامة المحصلة من الولاية والنفقات العامة التي أنفقت في شئونها على العاملين بها والخدمات العامة التي تؤدي لأهل الولاية والمرافق التي تقام بها فإذا فاض فائض أرسل الى الديوان المركزي في العاصمة ، وفي عهد عمر بن عبد العزيز رأى أن يترك موارد بيت المال في كل ولاية لأهلها ولا تنقل معه أموال الى العاصمة مكتفياً بموارد الديوان (٣) ، على أنه إذا قصرت موارد الولاية عن نفقاتها العامة كان الفرق يمول من الديوان المركزي .

الأسس العامة لاصلاح نظام عمالة الدولة :

كفى يضمن عمر بن عبد العزيز تنفيذ سياساته بدرجة عالية من الأداء والكفاءة راعى الأسس التالية في اصلاح نظام ولاة الدولة وعملها .

- اجراء تحريات عن الولاية والعاملين قبل تعيينهم ضماناً لاختيار الشخص المناسب للولاية والعمل .

- اختيار الأصلح من بين المرشحين للولاية والعمل .
- تفضيل أهل القرآن في التعيين .
- فرض أجور عالية للعاملين بالدولة .
- امداد العاملين بالتعليمات العامة والرد على استفساراتهم .
- التيقن وعدم الأخذ بالشبهات عند مساءلة العاملين .
- عقاب أو عزل من ثبت تقصيره .

(٢) الطبرى - جزء ٦ - مرجع سابق .

(٣) مذكرات في نظام الحكم والادارة في الدولة الاسلامية - مرجع سابق ص ٢٢٨

وبذلك أقام عمر بن عبد العزيز أمر الدين في نظام عمالة الدولة ،
لأن أسس إصلاحاته لهذا النظام تنبع من فلسفة العمالة في الإسلام التي
نقوم على الاحسان في أداء الأعمال فيقول جل وعلا « انا لا نضيع أجر من
أحسن عملا » (الكهف/ من ٣٠) . ومن الاحسان اختيار الأصلح وتفضيل
أهل القرآن للوظائف التي تتطلب مؤهلاتهم في الدولة الإسلامية ، وإذا تم
اختيار الأصلح للعمل منحتة الدولة الأجر الملائم جزاء وفاقا والله جل وعلا
يقول « ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهو لا يظلمون »
(الأحقاف / ١٩) .

ونناقش فيما يلي أسس الإصلاح السابقة :

التحرى لاختيار الشخص المناسب للعمل :

— رأى عمر بن عبد العزيز أن يولى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى
الأشعري على العراق وكان يلزم المسجد ويقرأ ليله ونهاره ، وكان رأى
عمر أن كان سر بلال كعلائته فهو أصلح رجل لتولى العراق ولكنه أراد أن
يستوثق ، فأرسل له العلاء بن المغيرة ليختبره ويتعرف على حقيقة سلوكه .

فذهب العلاء الى بلال فقال : انك تعرف يا بلال مدى صلتى بأمر
المؤمنين ، فإن أشرت عليه بأن يؤمرك على ولاية العراق فما تجعل لى ؟

قال بلال : لك عمالتى سنة . وكان مقدارها عشرين ألف ألف درهم .

فقال العلاء : فاكذب لى بذلك .

فأسرع بلال الى منزله ، فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك .

فذهب العلاء الى عمر بما كتب بلال .

فقال عمر : ان بلالا غرنا بعبادته فكدنا نغتر . . لقد وجدناه خبثا
كله (٤) .

— وفد جماعة من أهل مصر على سليمان بن عبد الملك وفيهم — ابن
خدايم الصافاني مولى سبأ فسألهم سليمان عن شيء من أهل المغرب
فأخبروه ، وأبى بن خدايم أن يتكلم ، فلما خرجوا قال له عمر بن
عبد العزيز وكان حاضرا الاجتماع : ما منعك من الكلام يا أبا مسعود ؟

(٤) سيرة عمر — ابن الحوري ص ٩٣ .

قال : خفت الله ان أكذب .

فعرها عمر ولما تولى الخلافة كتب الى أيوب بن شرحبيل بولاية ابن خدامر القضاء فبقى في القضاء من سنة ١٠٠ هجرية الى ١٠٥ هجرية (٥) .

— كان والى عمر على خراج العراق « أبو الزناد — عبد الله بن ذكوان » ومما يدل على حسن اختياره ما قاله فيه الامام أحمد بن حنبل فاعتبره « أمير المؤمنين في الفقه بالحديث » . ويقول فيه البخارى « أصح الأسانيد أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة » ، وراه الامام الليثي وخلفه ثلثمائة طالب .

— كان والى عمر على خراج الجزيرة « ميمون بن مهران التابعى » . يقول فيه أبو الملح « ما رأيت أفضل منه أخذ عن الصحابة وأخذ عنه جمع من كبار المجتهدين » (٦) .

— لما أراد عمر بن عبد العزيز عاملا للخراج على خراسان .

قال : ابغوني رجلا صدوقا أسأله عن خراسان .

ف قيل له : أبو مجلز لاحق بن حميد .

فلما قدم عليه قال له : أخبرنى عن عبد الرحمن بن عبد الله القشبرى .

قال أبو مجلز : يكافىء الأكفاء ويعادى الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ، ويقدم ان وجد من يساعده .

فولاه عمر الخراج وكتب الى أهل خراسان بذلك ، فان كان على ما يحبون فيحمدوا الله وان كان على غير ذلك فيستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله (٧) .

اختيار الأصلح للعمل :

وكان عمر يختار الأصلح للعمل لا يفضل عربى على أعجمى وبذلك خالف ما درج عليه امراء بنى أمية السابقين الذين كانوا يتعصبون فى التعيين فى الوظائف العامة لقريش ويفضلونهم على غيرهم وعلى الموالى من المسلمين ولو كانوا أكفاء منهم ، فقد عين عمر على المدينة أبو بكر محمد

(٥) عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام ص ٦٧ .

(٦) المرجع السابق . ص ٦٨ .

(٧) الطبرى جزء ٦ — مرجع سابق . ص ٥٦١ .

ابن حزم وهو من الانصار وليس من قريش ، وكان فقهاء المدينة يقولون عنه « لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر محمد بن حزم » .

وجعل عمر الفتيا في مصر لثلاثة فقهاء منهم عربى واحد واثنان من الموالي فلما خاطبه رؤوس بنى أمية في ذلك قال : « وما ذنبى اذا كانت الموالي تسمو صعدا وأنتم لا تسمون » (٨) .

والموالى هم القوم المنتسبون الى بيوت العرب بعقد ولاء ومنهم الأرقاء ومنهم غير الأرقاء وكانوا فى الأغلب الأعم من أهل البلاد المفتوحة كمصر وفارس الروم . وكان العرب يستطيعون أن يملكوهم بحق الفتح لكنهم تركوهم أحرارا وجزت كلمة الموالي فى إطلاقها على أن تشمل من ليسوا غرباء من أهل هذه البلدان لأنهم كانوا يسلمون على أيدي المسلمين ، فمن أسلم على أيدي مسلم كان مولاه ، وكثيرون منهم أسروا أطفالا رباهم المسلمون وعلموهم وغدوا مواليتهم ، ولم يك بدعا أن يظهر الفقه والعلم على يد أهل هذه البلدان المفتوحة فيقال أن الفقه بعد موت العبادلة الأربعة - أبناء عباس وعمر وعمر والزبير - قد انتقل الى الموالي اذ كان الموالي أهل حضارة رفيعة لم يمسحها الغزو لأنه لم يكن غزوا بربريا وانما كان غزوا فكريا ، فتح الله به على المسلمين وعلى أهل البلاد المفتوحة . فمنح العرب الشعوب المغزوة دينهم قيما ولغتهم فصحاى وقدم الموالي من جانبهم أسباب حضارات فاخرة وأصول تفكير عميقة (٩) .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز يأخذ بمبدأ الكفاءة فى التعيين تحقيقا للمصلحة العامة وتطبيقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا مفاضلة بين المسلمين الا بالتقوى :

وكان يقول :

« لا يجيئون الناس بالأعمال وتجيئونى بالأنساب ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

وكان يؤثر الموالي اذ كانوا هم الأصلح ، وقد أثبتت الأيام فيما بعد أنهم تبوءوا صدارة الفقه ، ويدل على ذلك حديث جرى بين هشام ابن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية فى فاتحة القرن الثانى الهجرى وبين جايسه :

(٨) خامس خلفاء الراشدين - عبد الرحمن الشراوى - جريدة الاهرام فى ١٩٨٥/٨/٢٨ .

(٩) أبو حنيفة - تأليف عبد الحليم الحندى - طبعة ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم ص ٢٥ ، ٢٦ .

فقد سأل هشام جليسه : هل لك علم بعلماء الأمصار -

قال : بلى يا أمير المؤمنين •

قال : فمن فقيه أهل المدينة •

قال : نافع مولى ابن عمر •

قال : فمن فقيه أهل مكة •

قال : عطاء بن أبي رباح •

قال : مولى أم عريبى •

قال : مولى •

قال : فمن فقيه أهل اليمامة •

قال : مكحول •

قال : مولى أم عريبى •

قال : مولى •

قال : فمن فقيه أهل الجزيرة •

قال : ميمون بن مهران •

قال : مولى أم عريبى •

قال : مولى •

قال : فمن فقيه أهل خراسان •

قال : الضحاک بن مزاحم •

قال : مولى أم عريبى •

قال : مولى •

قال : فمن فقيه أهل البصرة •

قال : الحسن وابن سيرين •

قال : موليان أم عريبان •

قال : موليان •

قال : فمن فقيه أهل الكوفة •

قال : إبراهيم النخعي •

قال : مولى أم عريبى •

قال : لا بل عريبى •

قال : كادت نفسى تخرج ولا تقبل واحد عربى (١٠) .

قال ذلك هشام وقد طبع التعصب لأعراقه (جذوره وأصوله)
بالرغم ما سبق من عدل عمر بن عبد العزيز .

تفضيل أهل القرآن فى التعيين بالوظائف العادة :

كتب عمر بن عبد العزيز أن لا تستعمل على الأعمال الا أهل البعراء ،
فان لم يكن عندهم خير فخيرهم أولى أن لا يكون عندهم خير (١١) .

وقد تضمن القرآن التعاليم الكاملة ليؤدى الذين يعملون عملهم بكفاية
واقترار ، فالقرآن وضع نموذجاً للإدارة الحسنة وهى إدارة أموال اليتيم
فقال تعالى :

« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا
أموالهم الى أموالكم انه كان حوباً كبيراً » (النساء/ ٢) .

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً
فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً
فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم
فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً » (النساء/ ٦) .

ونهى عن سوء الإدارة فقال تعالى :

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً »
(النساء/ من ٥) .

ونوه عن الاتقان بصفة عامة ومنها اتقان الأعمال ، فأشار جل وعلا
الى أنه أتقن كل شئ فى آية :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر من السحاب صنع الله الذى
تأنفن كل شئ انه خير بما تفعلون » (النمل / ٨٨) .

ونهى عن الاسراف فى الأموال بقوله جل وعلا « ولا تسرفوا انه
لا يحب المسرفين » (الأنعام/ من ١٤١) .

وينوه القرآن الكريم عن كفاية العاملين طبقاً لدرجة اتقان أعمالهم
فيقول جل وعلا :

(١٠) أبو حبيبة - ناليف عبد الحليم الجندى - طبعه ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم
ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

(١١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير . ص ٩١ .

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون »
(الانعام / ١٣٢) .

وهكذا يجد أهل القرآن حينما يتولون أعمال الدولة أن به ما يحفزهم على حسن ادارة الأعمال واتقان أدائها لخير الرعية وازدهارها وانتظارا لثواب الله بجانب الاثابة المادية من الدولة .

وعن مكانة قارئ القرآن ما رواه عمرو بن سلمة « لما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم باسلامهم وبادر أبى قومه باسلامه » .

فلما قدم قال : جئتمكم من عند النبی صلى الله عليه وسلم حقا فقال . .

« صلوا صلاة كذا فى حين كذا وصلاة كذا فى حين كذا فاذا حضرت الصلاة فليؤمکم اکثرکم قرآنا » .

فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى لما كنت أتلّقن من الركبان فقدمونى بين أيديهم وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين (١٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : ان لله أهليّن من الناس .

قالوا : من هم يا رسول الله ؟

قال : أهل القرآن أهل الله وخاصته (١٣) .

ولعل ذلك ما جعل عمر بن عبد العزيز يرسل تعليماته لولاّته بتفضيل أهل القرآن فى وظائف الدولة .

عدم تعيين المشركين وعزلهم :

كان عمر بن عبد العزيز يرى عدم تعيين المشركين فى وظائف الدولة وعزل من كان يعمل بها لأن الله اعتبرهم نجس وأن شركهم يمحى أعمالهم، فكتب الى ولاّته يقول :

« أما بعد فان المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان وجعلهم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (الكهف / من ١٠٣ ، ١٠٤) .

(١٢) الامام الشافعى - ناصر السنة وواضع الأصول - تأليف الاستاذ عبد الحلیم الجندى - ص ٤٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ١٣٧ .

فأولئك لعمري ممن تجب عليهم باجتهادهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ،
ان المسلمين كانوا فيما مضى اذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون.
بهم لعلمهم بالجباية والكتابة ، فكانت لهم في ذلك مدة ، فقد قضاه الله
بأمر المؤمنين ، فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملك على غير دين.
الاسلام الا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً ، فان محق أعمالهم
محق أديانهم ، فان أولى بهم انزالهم منزلتهم التي أنزلهم الله بها من الذل
والصغار ، فافعل ذلك واكتب الى كيف فعلت » (١٤) .

فرض اجور عالية للعاملين بالدولة :

سبق أن أوضحنا أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت تقوم على
أساس منح العاملين بالدولة مرتبات عالية لما لذلك من مزايا تعود على
العمل والعاملين .

تعليمات للعاملين بالدولة :

مما تتضمنه قوانين العاملين بالدولة حديثاً مواداً توضح ما ينبغي
ان يتحلوا به من مواصفات تؤدي الى اتقان الأعمال وتيسيرها ومخطورات
ينبغي أن يتجنبوها لما لها من انعكاسات تعرقل انطلاق الأعمال وتهبط
بدرجة ادائها .

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - بسلوكيات عمال
الدولة وتناولها في خطبة وكتبه وتعليماته المتتابة الى ولاته وعماله
ومنها ما يلي :

خير سلوكيات العاملين التقوى :

قال عمر بن عبد العزيز لولاته وعماله :

« عليكم بتقوى الله فانها هي التي لا يقبل الله غيرها ولا يرحم
الا أهلها ولا يثاب الا عليها وان الواعظين بها كثير والعاملين بها
قليل » (١٥) .

(١٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - طبعة ثانية - تعليق أحمد عبيد
س ١٣٥ ، ١٣٦ .
(١٥) سيرة عمر - لابن كثير - ص ٧٤ .

والواقع أن خير ما يتحلى به العاملون التقوى لأنها تجعلهم يطيعون الله ورسوله في أعمالهم التي يؤدونها للدولة ، فهم يعلمون أن الله سيري عملهم ورسوله استنادا لقوله جل وعلا :

« وسيري الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » . (التوبة من / ٩٤) .
ويعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يتقنوا الأعمال فقال :

« ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه » .
ويعلمون أن العمل العام المتقن يكون صالحا فيرفع الى الله جل وعلا ، فقد قال جل وعلا :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » . (فاطر / ١٠) .

اصلاح العاملين لأساليب الأعمال وتطويرها :

تنعكس أعمال العاملين بالدولة على الشعب ، فاذا اتسمت بالافتقار وسهولة الأداء ارتاح الشعب واطمأن الى حكومته والعاملين بها ، أما اذا تعقدت الأعمال العامة واتسمت بالجور والظلم والمحاباة والتعقيد أدى ذلك الى ارهاق الشعب وسخطه . وقد حذر عمر بن عبد العزيز عماله وولاته من ذلك فقال :

« كونوا في العدل والاصلاح والاحسان بقدر من كانوا قبلكم في الظلم والفجور والعدوان ولا حول ولا قوة الا بالله .. ان الناس قد أصابهم بلاء شديد وجور في أحكام الله ، وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان » (١٦) .

لزوم العلم للعمل :

حاليا تعاون الجامعات والمعاهد الدولة في امدادها بالعاملين في جميع التخصصات وتنشئ الحكومات ادارات ومصالح مختصة بالبحوث

(١٦) سيرة عمر - لابن عبد الحكم ص ١٠٢ .

المتعلقة بالعاملين وأنشطتهم العامة وتقيم الدورات التدريبية لرفع كفايتهم الانتاجية وترسل منهم البعث للخارج ليزدادوا علما وكفاءة . وقد جاوز الأمر المجال الاقليمي الى المجال الدولي ، فكان الاهتمام بالكفاية الانتاجية للعاملين وتدريبهم المهني من المسائل التي نالت قسطا من عناية الأمم المتحدة .

يعبر عن هذا عمر بن عبد العزيز منذ مئات السنين ، فيوصي العاملين بالدولة الاسلامية في عهده بالمبادئ العامة التالية :

« العلم والعمل قريان ، فكونوا عالمين بالله عاملين له .. فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان عملهم عليهم وبالا » (١٧) .
ويقول :

« من عبد الله بغير علم .. كان ما يفسده أكثر مما يصلحه » .

لا طاعة لرئيس في مخالفة الحق :

يقوم نظام العاملين بالدولة على نظام للدرجات يعطوا بعضها بعضا حتى تصل الى الوزراء ورؤساء الدول ، ولانجاز الأعمال تصدر تعليمات بكيفية انجازها متدرجة من أعلى الى أسفل ، والمفروض أن تكون هذه التعليمات سليمة مدروسة خالية من الأخطاء والمخالفات والتجاوزات ولكن قد يحدث أن يصدر الرؤساء تعليمات غامضة غير واضحة بغير قصد نتيجة عدم الدقة في البحث أو عن قصد لاشباع هوى أو للحصول على نفع غير مشروع ، ويعالج عمر بن عبد العزيز ذلك بتعليمات عامة يذيعها على العاملين بالدولة فيقول :

« الزموا الحق ينزلكم الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس الا بالحق وهم لا يظلمون » (١٨) . ويقول « اذا أرسلت اليكم أمرا يخالف الحق ، فاضربوا به الأرض واستمسكوا بالحق وحده » .

اتباع الولاة والعاملين هواهم يضلهم :

نبه عمر بن عبد العزيز الولاة والعمال الى ابعاد هواهم وشهواتهم عن أداء الأعمال فقال : « قاتلوا أهواءكم والانقياد لشهواتكم كما تقتاتلون أعداءكم » .

(١٧) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - ص ٦٢ ونقلا عن الموسوعة

- عمر أبو النصر ص ٩٤ .

(١٨) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ٩٤ .

وقال « اذا دعتكم قدرتكم على الناس الى ظلمهم فاذكروا قدرة الله عليكم » .

رفق الولاة والعمال بالرعية ضرورى لصالح الحكم :

رفق الولاة والعاملين بالدولة يؤدى الى صلاح الحكم ومصلحة الرعية وقد نصح عمر بن عبد العزيز ولاته بذلك فقال :

« أحب الأمور الى الله القصد فى الجهد والعفو فى المقدرة والرفق فى الولاية . وما رفق عبد بعبد فى الدنيا الا رفق الله به يوم القيامة » (١٩) .

وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو الى الرفق وترغب فى السماحة فقال صلى الله عليه وسلم :

- « ان الله يحب السهل الطلق الوجه » .
- « ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم » .
- « ان الله يحب الرفق فى الأمر كله » (٢٠) .

تسهيل سبل الاتصال لأصحاب الحاجات :

للشعوب حاجات لدى الدولة وعلى الدولة وعمالها أن يقضوا هذه الحاجات ما دامت مشروعة ، لأن الأمير راع وهو مسئول عن رعيته ، ومن الرعاية توفير حاجات الرعية من خدمات عامة كالدفاع عن البلاد وحفظ أمنها الداخلى واقامة العدالة ونشر التعليم وأداء الرعاية الصحية وغيرها . وقد يحدث قصور فى حصول بعض الأفراد على الخدمات العامة ، أو يحرمون بغير حق منها فيتقدمون للعاملين بالدولة لازالة هذا القصور أو الحرمان ، فينبغى أن تكون طرق اتصالهم بالدولة ميسرة لعرض حاجياتهم وبحث شكواهم ، فلا يقيم الولاة والعاملون بالدولة حواجز تصعب طرق وصول الناس اليهم أو حجبا تحول بينهم وبين ذوى الحاجات ، وهو ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز ولاته وعماله فقال :
ناصحا لهم :

(١٩) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير ص ٧٥ .
(٢٠) وردت فى كتاب من أخلاق النبى للدكتور أحمد محمد الحوفى ص ٣٢٤ .

« لا تتخذوا على أبوابكم حجبا يحولون بينكم وبين ذوى الحاجات والمظلومين » (٢١) . وهو بذلك يطبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولاء الله من أمر المؤمنين شيئا ، فاحتجب عن حاجاتهم ، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة » .

اتجار الولاة والعاملين محظور :

تحرم كثير من الدول على الحكام والعاملين بالدولة الاتجار ، ذلك ان الحاكم اذا اتجر يعقد صفقات لحسابه والحكومة كذلك تشتري لنفسها موادا ومهمات مختلفة لمزاولة نشاطها العام وتبيع أحيانا مواد بمخازنها العامة أو تتجر اذا كانت تزاول بعض نواحي الإنتاج ، وتنص عادة قوانين الدول ولوائجها على أن يكون الشراء بأقل الأسعار عن طرق المناقصات ويكون البيع بأعلى الأسعار ، فاذا اتجر الحكام والولاة والعاملين بالدولة معها بطريق مباشر أو غير مباشر أثروا مصلحتهم على مصلحة الدولة ، واذا اتجروا مع غير الدولة حباهم المتعاملون معهم. انتظارا لمنفعة بغير حق تعود عليهم من الدولة أو كسب غير مشروع. ينالونه ويحصلون عليه بظلم يقع على الغير ، لذلك كان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحرم على الولاة والعاملين بالدولة التجارة وصادر أموال الحارث بن وهبه من تجارته مدة ولايته ثم صعد المنبر وقال :

« يا معشر الأمراء ان هذا المال لو رأيناه أنه يحل لنا لأحللناه لكم ، فأما اذا لم يحل لنا وظلفنا (كففنا) أنفسنا عنه وأنفسكم ، فاني ما وجدت لكم الا عطشان ورد اللجة ولم ينظر الماء فلما روى غرق » (٢٢) .

وسار عمر بن عبد العزيز على نفس النهج فأذاع على ولاته تعليمات يحظر فيها قيامهم بالاتجار فقال :

« لا تتجروا وأنتم ولاة ، فان الأمير اذا اشتغل بالتجارة استأثر وأصاب ظلما وان هو حرص ألا يفعل » .

لكل عمل أجره :

وضع عمر بن عبد العزيز لولاته مبدعا عاما يربط الأجر بالعمل فقال :

(٢١) سيده عمر - ابن عبد الحكم ص ٨٣ ، عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٦٣ .
(٢٢) انظر التفاصيل في كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ١٦٥ .

« ليكون لكل عامل أجره فضعوا السخرة عن الناس » .
وهو في هذا يطبق تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه
بومنها قوله :

« أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » (٢٣) .
وقوله صلى الله عليه وسلم :
« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، رجل
أعطى به ثم غدر ورجل باع جزافا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا
فأستوفى منه ولم يعطه أجره » (٢٤) .

متابعة أعمال الولاة والعاملين :

قال أبو يوسف : حدثني داوود بن هند عن رياح بن عبيد قال :
كنت مع عمر بن عبد العزيز فقلت له : ان لي بالعراق ضيعة وولدا
فاذن لي يا أمير المؤمنين أتعاهدهم .
قال : ليس على ولدك بأس ولا على ضيعتك ضيعة .
فلما أزل به حتى أذن لي ،
فلما كان يوم ودعته قلت : يا أمير المؤمنين حاجتك أوصى بها .
قال : حاجتي أن تسأل عن أهل العراق وكيف سيرة الولاة فيهم
ورضاهم عنهم .
فلما قدمت العراق سألت الرعية عنهم فأخبرت بكل خير عنهم .
فلما قدمت عليه سلمت عليه وأخبرته بحسن سيرتهم في العراق
وثناء الناس عليهم .
فقال : الحمد لله على ذلك لو أخبرتنى عنهم بغير هذا عزلتهم
ولم أستعن بهم بعدها أبدا ان الراعي مسئول عن رعيته . فلا بد له من
أن يتعهد رعيته بكل ما ينفعهم الله به ويقربه اليه ، فان من أبتلى بالرعية
فقد ابتلى بأمر عظيم (٢٥) .

(٢٣) من مقال عن « حقوق الانسان في صلة الفرد بالجماعة » للدكتور محمد البهي
مجلد مجمع البحوث الاسلامية المؤتمر السادس ص ٣٩ .
(٢٤) من قضايا الحمل والمال - الشيخ أبو الوفا الرازي - سلسلة مجمع البحوث
الاسلامية ص ٢٨ .
(٢٥) الخراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١١٩ .

فكما سبق يتضح أن متابعة عمر لعمال الدولة تتحرك في دائرة
المبادئ التالية :

- ان الأمير مسئول عن رعيته وذلك طبقا لحديث الرعاية عن
الرسول صلى الله عليه وسلم .
- كى يوفى بهذه المسئولية على الحاكم ان يتعهد رعيته
بكل ما ينفعهم الله به ويقربه اليه .
- تعهد الرعية يتم عن طريق ولاية الدولة وعمالها مما يتعين
معه متابعة أعمالهم وسيرتهم .
- اذا أسفرت المتابعة عن قيامهم بما ينفع الرعية وحسن سيرتهم
حمد الله والا عزلهم ولا يستعين بهم بعدها .

وكان عمر بن عبد العزيز يطلب من الولاة متابعة عمالهم لأن ذلك
من واجبات الرؤساء والمشرفين على الأعمال العامة حتى يراقبوا أعمال
معاونيهم ويتأكدوا من حسن قيامهم بالأعمال المنوطة بهم ، وفى الأزمنة
الحديثة يتم تقييم أعمال العاملين على مدار السنة وتقدم عنهم تقارير
سنوية تكون أساسا للحكم على مدى كفاءتهم واستحقاقهم للترقى الى
وظائف أعلى ، وانعدام متابعة العاملين تجعل المسئء والظالم منهم يتمادى
فى اساءته وظلمه مما يحمل أفراد الرعية عنتا ورهقا فيسخطون على
الحكم والحكام ، وقد حذر عمر بن عبد العزيز ولاته من ذلك فقال
ناصحا ولاته :

« راقبوا حجابكم ورؤساء حرسكم وشرطكم والعاملين معكم ...
واكثروا من الاشراف عليهم حتى تتيقنوا من أنهم لا يرتكبون غشما
ولا ظلما » (٢٦) .

ومما كتبه الى امراء الأجناد :

تعاهد صاحب بابك وصاحب حرسك وعاملك المقيم عندك والذين
ببعث ، فلا يعملون فى شئ مما تحت يدك بغشم ولا يظلم فمن كان
منهم محسنا نفعه ذلك ومن كان منهم مسيئا استبدلت به من هو
خير منه (٢٧) .

(٢٦) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٦ .

(٢٧) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد - طبعة نائنة

ص ٦٩ .

وبجانب متابعة العمال كان عمر يتابع أعمال الدولة مما كان يأتيه من شكاوى الناس .

من ذلك ما أرسلته إليه امرأة من الجيزة من أهل مصر اسمها فرتونة السوداء تشكو أن لها حائطا قصيرا جدا وأن جيرانها يتسلقونه في يسر ليسرقوا دجاجها .

فكتب إليها : بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك ، وأنه يدخل عليك فيه فيسرق دجاجك فقد كتبت لك كتابا إلى أيوب بن شرحبيل - أمير مصر - أمره أن يبنى لك ما يحصنك مما تخافين أن شاء الله والسلام عليك .

وكتب إلى عامله على مصر أيوب بن شرحبيل :

« أما بعد فإن فرتونة السوداء كتبت إلى تذكر قصر حائطها ، وأنه يسرق منه دجاجها ، وتسأل تحصينه لها ، فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها » .

فلما جاء الكتاب إلى ابن شرحبيل ركب بنفسه حتى أتى الجيزة وظل يسأل عن فرتونة حتى وجدها فإذا هي عجوز مسكينة ، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحصن لها الحائط من بيت المال (٢٨) .

وكان عمر لا يكتفى بما يأتيه من شكاوى الناس بل يتابع أعمال الولاة بنفسه وهل أدى حكمه وعملهم إلى تحسين أحوال الرعية من عدمه ، فكان يخرج من عاصمة الدولة ومعه غلامه مزاحم ، فيلقى الركبان قادمين من الأمصار إلى العاصمة ، فيتخسس أخبار الناس ويتحدث إليهم الركبان وهم لا يعرفون أنه أمير المؤمنين وثيابه الخشنة لا تدل عليه .

وقف هو ومزاحم على طريق المدينة فسألا ركبا قادمين منها عن أحوال الناس فيها وفي الحجاز . قال الركب الحجازي : تركنا المدينة والظالم مقهور والمظلوم بها منصور والغنى موفور والعائل مجبور .

فسر عمر بذلك وقال لمزاحم بعد أن مضى الركب ، والله لأن تكون البلاد على هذه الصفة أحب إلى مما طلعت عليه الشمس (٢٩) .

وبعد متابعة عمر بن عبد العزيز لعماله كان ينذرهم بأن يستقيموا ولا عزلهم ، فمن ذلك أنه قال مرة أمام جلسائه لعامل له :

(٢٨) سيرة عمر - لابن كثير ص ٥٦ .

(٢٩) عمر بن عبد العزيز - ابن الجوزي ص ٧٧ .

« استعملنا أقواما كنا نرى أنهم أبرار أخيار فلما استعملناهم إذا هم يعملون عمل الفجار قاتلهم الله ، أما كانوا يتذكرون الموت ، أما كانوا يمشون بين القبور » (٣٠) .

وكتب لآخر :

« أما بعد ، فانه غرنى بك مجالستك القراء وعمامتك السوداء وارسالك اياها من وراء ظهرك ، وأنت أحسنت العلانية وأحسننا بك الظن ، وقد اطلعنا الله على كثير مما تعملون » (٣١) .

وكتب لعامل آخر :

« لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت » .

التيقن من المخالفة قبل الجزاء :

وكن عمر بعد ذلك لا يوقع جزاء على العاملين الا بعد أن تقوم عليهم البينة ، فحدث أن ظهرت خيانة بعض صغار الحكام والمستخدمين في العراق ، فأرسل اليه عامله عليها يسأله الاذن في تعذيبهم على خيانتهم .

فكتب اليه عمر « أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أن قبلك (أى عندك) عمالا قد ظهرت خيانتهم وتسألني أن أذن لك في عذابهم ، وكأنك ترى أن لك جنة ، فان جاءك كتابي هذا فان قامت عليهم بينة فخذهم بذلك ، والا فأحلفهم دبر (أى بعد) صلاة العصر بالله الذى لا اله الا هو ما اختانوا من مال المسلمين شيئا ، فان حلفوا بذلك فخل سبيلهم ، فانما هو مال المسلمين ولعمري لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب الى من ألقى الله بدمائهم والسلام » (٣٢) .

عزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين :

كان عمر يعزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين حتى ولو كانوا من ذوى قرباه .

(٣٠) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب . ص ٦٧ .

(٣١) عمر بن عبد العزيز ابن كثير . ص ١١٥ .

(٣٢) سيرة عمر - ابن الجوزى . ص ٨٥ .

فكتب الى « الجراح بن عبد الله » عامله في خراسان :

« بلغنى أنه استعملت (عبد الله بن الأهم) وأن الله لم يبارك
لعبد الله بن الأهم في العمل فاعزله ولا تهتم بقرابته لنا » (٣٣) .

« وبلغنى أنك استعملت (عمارة الطويل) ولا حاجة لى بعمارة
ولا بأذى عمارة للناس وضربهم ولا بشخص قد صبغ يده فى دماء
المسلمين فاعزله » (٣٤) .

– وعزل أحد الولاة بسبب سوء ادارة المال العام :

فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله واليه على
خراسان .

أنظر من صلى قبلك الى القبلة ، فضح عنه الجزية ، فسارع الناس
الى الاسلام .

فقبل للجراح : ان الناس قد سارعوا الى الاسلام ، وانما ذلك
نفورا من الجزية فامتنعهم بالحثان فكتب الجراح بذلك الى عمر .

فكتب اليه عمر : ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا
ولم يبعثه خائنا .

ثم كتب اليه : ان أقبل وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن
ابن نعيم الغامدى وعلى الجزية عبيد الله بن حبيب .

ولما أراد الجراح الخروج من خراسان الى عمر بن عبد العزيز
أخذ عشرين ألفا من بيت المال . وقال « هى على سلفى حتى أؤديها
للخليفة » .

فلما ذهب للخليفة عزله وسدد عنه قومه من أعطياتهم الدين الذى
أخذه من بيت المال .

وكان من أسباب عزل الجراح شكوى وفد قدم لعمر بن عبد العزيز
من أنه يمنع عن الموالى عطاءهم واستئداء الخراج من أهل الذمة بالرغم
من اسلامهم وقد عمل بالظلم والعدوان كما كان يعمل الحجاج (٣٥) .

(٣٣) عمر بن عبد العزيز – سعد عبد السلام حبيب . ص ٦٨ .

(٣٤) سيرة عمر – ابن الجوزى . ص ٩٦ .

(٣٥) تاريخ الطبرى – جزء ٦ الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

الفصل الثاني

المبادئ أساس اصلاح ادارة المالية العامة

فى عهد عمر بن عبد العزيز

ادارة المالية العامة بالمبادئ : -

انعكست تقوى عمر بن عبد العزيز فى ظلال من علمه وعدله وأخذه بالمشورة على ادارة المالية العامة فأدارها بالمبادئ وبذلك وقى المالية العامة فى عهده من انحرافات وتجاوزات ومخالفات لحقت بها فى عهود من كان قبله من الخلفاء الأمويين ، فبالمشورة منع الزلل عن قراراتها وبالحق أبعد الباطل عن عملياتها وبجباية الطيب من الأموال العامة عصم حصيلتها من الحرام وبالإيضاح أبعد عن تطبيقاتها اللبس والزلل وبالعقل أزال ما وقع على المولدين من ظلم ، وبإشاعة الاصلاح العام قاد المالية العامة نحو الاستقامة ، وبالتيسير المالى خفف أعباء الفرائض المالية عن الشعب ، وبالدعوة لزيادة الانتاج عوض احتمالات النقص فى الحصيلة ، وبوحدة المال العام لتحقيق المصالح العامة للشعب فى جميع الولايات طبق اللامركزية المالية وبتحمل المسئولية العامة تم تخصيص الأموال العامة للخدمات العامة ، وباستقامة العمالة العامة حسن الأداء المالى ، والاسلام قد اهتم بالعمل بهذه المبادئ ولذا فان العمل بها أقام أمر الدين فى عهد عمر بن عبد العزيز .

ونوضح تفاصيل ما سبق فيما يلى :

ادارة المالية العامة بمبدأ المشورة :

قال عمر بن عبد العزيز عن أحد الفقهاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مؤدبه ومربيه وهو - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة -

« انى والله لأشتري ليلة من لىالى عبيد الله بألف دينار من بيت المال » .

فقالوا : يا أمير المؤمنين تقول هذا مع شدة تحريك وتحفظك .
فقال : أين يذهب بكم والله انى لأعود برأيه وبنصيحته على بيت المال بالوف والوف « (١) » .

ادارة المالية العامة بمبدأ الحق :

المبادئ المالية العامة الاسلامية ، أن تؤخذ بالحق وتعطى بالحق وتمنع من الباطل ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ووجد أن الجباية لا تتم فى اطار الحق الذى أمر به الاسلام ، كتب الى عماله :
« لا نأخذوا من أموال الناس الا بالحق الذى شرعه الله وما عدا ذلك فضعه كله » . لا أفرق بين مسلم وأهل كتاب « (٢) » .

فالمالية العامة الاسلامية لا تقر زيادات غير مشروعة فى الأعباء العامة ، فالمسلمون يؤدون الزكاة وأهل الكتاب يؤدون الجزية والحراج اذا كانوا على أرض الفتوح . ولا يجوز فرض أعباء اضافية على أهل الكتاب بوصفهم غير مسلمين لأن ذلك يخالف مبدأ الحق الذى هو دعامة أساسية من دعائم الاسلام وركيزة هامة من ركائزه ، كما لا يجوز التعسف معهم فى استثناء الجزية أو تحصيل الحراج فى أوقات غير ملائمة أو تطبيق أساليب التعذيب ووسائل الاكراه فى التحصيل .

ادارة المالية العامة بمبدأ جباية الحلال الطيب :

تختلط الأموال العامة أحيانا بأموال حرام غير حلال فتأخذ بعض الدول الاسلامية ضرائب على مزاولة أنشطة يحرمها الدين الاسلامى كصناعة الخمور والاتجار فيها ، أو تتقاضى رسوما وأتاوات على المراهنات ولعب الميسر وما شابهها من أنواع ألعاب القمار أو تقرر من المواطنين قروضا طويلة الأجل أو قصيرة الأجل وتحصل على فوائد أو زيادات فوق مبالغ القروض فتدخل فى دائرة المعاملات الربوية التى حرمها الله ، أو تستعمر دولة دولة أخرى ضعيفة فتسلبها خيراتها وثرواتها

(١) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٧٠ .

(٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٧٩ ونقلها عنه سعد عبد السلام حبيب - مرجع سابق ص ٩١ .

وتمول بها خزائنها العامة ، والاسلام يحرم مثل هذه الأموال ، فالله تعالى لا يقبل الا الطيب من الأموال وهذا هو ما نبه عليه عمر بن عبد العزيز أحد ولاته اليه وهو ميمون بن مهران وكان قد استعمله على الجزيرة العربية وعلى قضاتها وعلى خراجها وكان شيخا كبيرا ، فكتب الى عمر يطلب اعفائه ، فأرسل اليه يقول :

« أنا لم أكلفك بغيا في حكمك ولا في جبايتك فاجب ما جبيت من الحلال ولا تجمع للمسلمين الا الحلال الطيب » (٣) .

إدارة المالية العامة بمبدأ وضوح الجباية :

تفرض الدولة أعباء الأموال العامة على مواطنيها بقوانين ، وقد تتضمن القوانين نصا غامضا أو حكما ملتبساً فيكشف تطبيق هذه القوانين عن حالات عملية يستشكل فيها التفسير ، فواجب ممثل بيت المال المناط به التطبيق أن لا يستقل فيها برأيه ، بل يسأل أهل الذكر من ذوي الخبرة حتى يطمئن الى الرأي السليم الذى يؤدي الى عدم ظلم الممول أو بيت المال . وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز واليه الذى توهنا عنه فى الفقرة السابقة ، فكتب اليه يقول :

« أجب الخراج الطيب واقضى ما استبان لك ، وإذا التبس عليك أمر فارفعه إلينا ، فإن الناس لو كانوا اذ أكثر عليهم شيء تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا » (٤) .

إدارة المالية العامة بمبدأ العدل :

من العدل المالى أن نراعى حالات الممولين عند تحصيل الضرائب المستحقة عليهم ، فهي تتأثر بالظروف الاقتصادية التى تمر بها البلاد من ازدهار أو كساد كما أن للظروف الجوية أثرها على المحاصيل الزراعية فتخصب الأرض اذا كانت الظروف الجوية مواتية ويقل انتاجها اذا كانت العوامل الجوية وغيرها غير مستقرة .

وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز ، فقد كتب اليه واليه على اليمن عروة بن محمد بن محمد يذكر انه قدم اليمن فوجد على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة فى أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال فكتب اليه .

(٣ ، ٤) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ٩٥ ، ٩٦ .

« كتبت لي تقول أنك قدمت اليمن ، فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال ان أنصبوا أو جدبوا ٠٠ ان حيوا أو ماتوا ٠٠ فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين ، اذا أتاك كتابي هذا ، فدع ما تنكره من الباطل الى ما تعرفه من الحق واعلم أنك ان لم ترفع الى من جميع اليمن الا جفنة من كتم (نبات يستعمل في تخضيب الشعر ومداد الكتابة) فقد علم الله أنى ساكون به مسرورا مادام فى ذلك ابقاء على الحق والعدل (٥) .

ومن العدل كذلك ان لا يؤخذ الخراج والضرائب على كل ايرادات الممول ، بل يجب أن يعفى جزء من الايراد لمقابلة ضرورات الممول وأعبائه العائلية ، وهذا ما أمر به عمر بن عبد العزيز عامله على خراج العراق ، فكتب اليه يقول :

« دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يختمون به من الذهب والفضة ويلبسون الطيالة ويركبون البرازيل ، وخذ ما يزيد عنهم » (٦).

ادارة المالية العامة بمبدأ الترشيد :

من نصائح سالم بن عبد الله بن عمر لعمر بن عبد العزيز حين تولى الخلافة والتي تؤدي الى ترشيد انفاق المال العام ما يلي :

« أما بعد يا عمر ، فانه قد ولى الخلافة والملك قبلك أقوام ، فماتوا على ما قد رأيت ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحشم ، وعالجوا الموت الذى كانوا منه يفرون ٠٠٠٠٠ بعد انفاق الأموال على حاجاتهم وأغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ا كانوا ينفقون الأموال اسرافا فى أغراضهم وأهوائهم ويقترون فى حق الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتهن بشيء فافعل واستعن بالله ولا قوة الا بالله سبحانه » (٧) .

ادارة المالية العامة بمبدأ الاصلاح :

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته :

(٥) سيرة عمر : ابن عبد الحكم ص ٥٦ ، ١٠٤ .

(٦) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب عن موسوعة عمر أبو النصر

ص ١٠٩ .

(٧) عمر بن عبد العزيز - ابن كثير ١١٤١١٣ وسيرة عمر - ابن الجوزى ص ٢٧ -

« روضوا المخالفين وبصروهم وأرفقوا بهم وعلموهم ، فإن اهتمدوا كانت نعمة من الله وفضلا ٠٠ وان أبوا فتحروا الحق فيما تنزلون بهم من عقاب » (٨) .

ومن أنواع المخالفات المالية التي تقع على المال العام وهي كثيرة منها ما يتعلق بالاسراف والتبذير في الأموال العامة أو اساءة استخدامها ووضعها غير موضعها وقد تصل المخالفة المالية الى الاعتداء على المال العام بسرقة أو اختلاسه أو تضييعه كالتهاون في استئذائه وتحصيله من الملتزمين بأدائه ، ولذلك تضع الدول حديثا نظما لرقابة الدولة على أموالها العامة فتقيم أجهزة رقابية ذات اختصاصات تكشف المخالفات المالية وتعاقب مرتكبيها وتسترد ما تعرض للضياع أو السرقة أو للاختلاس ، وتوقع ما يستحق على المخالفين من عقاب .

على أن عمر بن عبد العزيز في القرن الأول الهجري نبه الى أنه لا يكفي في رقابة الأموال العامة انزال العقاب ، بل ان الأهم هو اصلاح الخطأ أو تحرى أسباب المخالفة وتدريب وتعليم مرتكبيها ، وهدايتهم الى عدم تكرارها مستقبلا مع مراعاة العدل والحق في الجزاء والعقاب . وبذلك تبني عمر الرقابة العلاجية التي تضع العلاج لما يكتشف من مخالفات وعدم الاكتفاء بالرقابة السلبية التي تقتصر على كشف الأخطاء والمخالفات المالية .

فيقرر المبدأ التالي :

« اذا قدرت على دواء تشفى به صاحبك دون الكى ، فلا تكوينه أبدا » (٩) .

إدارة المالية العامة بمبدأ التيسير على الشعب :

من أنواع الإيرادات التي تحصلها الدولة من الشعب الرسوم ، وهي مبالغ نقدية تجبى من الأفراد جبرا لقاء خدمات عامة تقدمها لهم الدولة ، ومن الخدمات العامة التي تؤديها الدولة انشاء القناطر والطرق كى يعبرون عليها ودوابهم وسياراتهم ، ولما كانت هذه القناطر والطرق تحتاج الى صيانة مستمرة بسبب ما يعتريها من استهلاك نتيجة

(٨) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - مرجع سابق ص ١٧٦ .

(٩) المرجع السابق . ص ١٧١ .

الاستعمال ، فان الدول تفرض عادة رسوما على من يعبرون هذه الكبارى والطرق لتغطي نفقات الصيانة ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز اماره دولة الاسلام أمر عماله بالغاء ما يفرض على الناس مقابل اصلاح القناطر والطرق (١٠) ، وبذلك جعل خدمات الدولة فى هذا الشأن بدون مقابل .

ادارة المالية العامة بمبدأ تعويض نقص الحصيلة بزيادة الانتاج :

لا يمكن تعويض النقص فى حصيلة الموارد العامة بزيادتها ظلما أو باغفال تطبيق القوانين بالعدل أو بالتعسف فى الجبائية ، وانما يكون بزيادة الانتاج العام فتزيد دخول الأفراد وتزيد حصيلة ما يدفعونه للدولة وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز أحد ولاته وهو عهده بن أرطاة الفزارى واليه على العراق ، فقد بعث كتابا الى عمر يقول فيه :

« ان الناس قد كثروا فى الاسلام حتى خفت أن يقل الخراج » أى بسبب رفع الجزية عن أهل الكتاب بعد اسلامهم .

فكتب عمر اليه يقول :

« والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى تكون أنا وأنت حراثين ناكل من كسب أيدينا » (١١) .

ادارة المالية العامة بمبدأ وحدة المال العام :

تأخذ بعض الدول حديثا بنظام الحكم المحلى ، فتعد للحكومة المركزية موازنة عامة خاصة بها ، وتعد لكل وحدة محلية موازنة عامة خاصة بها ، وتغطي الموازنة المركزية الموازنة المحلية اذا زادت نفقاتها العامة عن مواردها العامة ، وهذا ما قرره عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وكان قد ولاه خراج خراسان فقال له :

« استوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم ، فان يك كافيا لأعطياتهم فحسننا والا فاكذب الى حتى أحمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم » (١٢)

(١٠) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب . ص ٩٣ .

(١١) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ٩٩ .

(١٢) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٩٥ نقلا عن الطبرى تاريخ

الأمم والملوك .

ادارة المالية العامة بمبدأ تحمل المسؤولية العامة :

كان عمر بن عبد العزيز يطلب النصيح من الأئمة ، فكانوا يوضحون له مسئوليته العامة وانها تتطلب القيام بخدمات معينة للشعب . ومن الطبيعي أن أداء هذه الخدمات يتطلب توجيه شطر من الأموال العامة للانفاق عليها ، وفيما يلي نموذج من نصائح العالم الجليل حسن البصري . لعمر بن عبد العزيز :

فعن خدمات اقامة العدل قال :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل . وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف » .

وعن الخدمات التموينية وخدمات الأمن والدفاع عن الاوطان يشبه حسن البصري الأمير بالراعي الشفيق الذي يقوم بهذه الخدمات فيقول :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على ابله ، الذي يرتاد لها أطيب المراعى ويردها عن مواقع التهلكة ويحميها من السباع ويكفها من أذى الحر والقر » .

وعن خدمات التعليم واقامة المدارس والمعاهد والجامعات وتعيين القائمين على التعليم يقول حسن البصري :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً » (١٣) .

ادارة المالية العامة بمبدأ الرفق :

لما قدم الجراح الى خراسان بعد أن عينه عمر بن عبد العزيز عليها وجد الناس يميلون الى منع حق الله عليهم ومنها الحقوق المالية فكتب الى الخليفة قائلاً :

« انى قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزوا ، أحب الأمور اليهم أن تعود الفتنة ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم الا السيف والسوط ، وكرهت الاقدام على ذلك الا باذنك » .

(١٣) المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١٢١ -

فكتب اليه عمر :

« يا بن أم الجراح ، أنت أحرص على الفتنه منهم ، لا تضر بن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا فى حق ، واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » (١٤) .

ادارة المالية العامة بمبدأ استقامة العمالة :

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته :

« اتركوا أعمالكم عند حضور الصلاة ، فان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضييع » (١٥) .

وتبدو أهمية هذا المبدأ فى المالية الاسلامية حيث ترتبط الايرادات العامة بتعاليم الاسلام فاذا ضيع العاملون بالمالية العامة الصلاة وهى ركن من أركان الاسلام ، تهاونوا فى استئداء حق الفقراء والمساكين من الزكاة وهى ركن أيضا من أركان الاسلام ، كما قد يمتد الضياع الى تعاليم أخرى مرتبطة بالمالية العامة الاسلامية كأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ صدقات الناس من أواسط أموالهم وعلى مياهم وعدم الغلول فى الغنائم وحسن معاملة وعدم تعذيب أهل الكتاب عند استئداء الجزية منهم ، فضلا عن أن الله جل وعلا يصف الذين مكنهم فى الأرض وممنهم المملئين على الأموال العامة فيقول :

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » (الحج / ٤١) .

(١٤) الطبرى - جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٦٠ .

(١٥) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١٠٢ .

الباب السابع

اصلاح نظام العطاء وتطبيق سياسته لرد المظالم

فى عهد عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

اصلاح نظام العطاء

تحقيق فائض كبير في عهد عمر بن عبد العزيز :

أدت اصلاحات عمر بن عبد العزيز الى توازن المالية العامة للدولة وتحقيق فائض كبير وبلوغ الدولة الاسلامية من الغنى ما توضحه الكتب التالية المتبادلة بين الخليفة وأحد ولاته وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن وكان واليا على العراق .

فقد كتب اليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه « ان أخرج للناس أعطياتهم » فكتب اليه عبد الحميد « أنى قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقى فى بيت المال مال » فكتب عمر بن عبد العزيز اليه « أن انظر كل من أذان (استندان) فى غير سفه ولا سرف فاقض عنه » ، فكتب اليه عبد الحميد « انى قد قضيت عنهم وبقى فى بيت مال المسلمين مال » فكتب عمر بن عبد العزيز اليه « انظر كل بكر (الفتى الذى لم يتزوج) ليس له مال فزوجه أو أصدق عنه (ادفع له الصداق) » فكتب اليه عبد الحميد « انى قد زوجت كل من وجدت وقد بقى فى بيت المسلمين مال » فكتب اليه عمر بن عبد العزيز « أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فاسلفه (أى أعطه سلفة) ما يقوى به على عمل أرضه فاننا لا نريد لهم لعام أو لعامين » (١) .

فيتضح من الكتب السابقة أن الرخاء عم الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز وعظمت ثروتها وفاضت الأموال حتى بعد حصول

(١) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

كل فرد على نصيبه من الأموال العامة طبقا لنظام العطاء السارى ،
فاستخدمت الدولة المال العام فى سداد ديون المدينين وفى صداق من
لم ينزوح من الشباب ، وفى اقراض أهل الذمة لرفع خصوبة الأرض
وزيادة انتاجها .

اصلاح نظام العطاء :

امتدت سياسة الاصلاح المالى التى انتهجها عمر بن عبد العزيز الى
نظام العطاء الذى بدأ كما قلنا فى عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله
عنه واستمر فى عهد الخلفاء بعده ولكنه حاد عن عدالة التوزيع فى عهد
الأمويين السابقين على عمر بن عبد العزيز وأراد عمر بن عبد العزيز
حين ولايته على المدينة وقبل تولية الخلافة أن يعمل العدل فى العطاء فكتب
الى يزيد بن عبد الملك لاعطاء بنى هاشم نصيبهم منه ولكنه رفض فكان
من الطبيعى حين ولى خلافة الدولة الاسلامية أن يرد عليهم عطاءهم ، وأن
يصلح ما طرأ على النظام من مخالفات فقام بالاصلاحات التالية التى تبعت
من دائرة العدل العام وهو سمة من سمات الرؤساء الذين يقيمون أمر
الدين الاسلامى على وجهه الصحيح .

اعلان بطلان عطاء الأمراء السابقين :

اعلن عمر بن عبد العزيز بطلان عطاء الأمراء السابقين من بنى أمية
وأنه سيبدأ برد ما نالوه من هذا العطاء الى بيت المال ، فصعد المنبر
وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن هؤلاء القوم (يقصد بنى
أمية) قد أعطونا عطايا ماكان ينبغى لنا أن نأخذها ، وما كان ينبغى
لهم أن يعطوها . . وأن ذلك قد صار الى ما ليس عليه فيه دون الله
محاسب ، ألا وانى الآن قد رددتها وبدأت بنفسى وأهل بيتى » (٢) .

المساواة بين الأمراء وسائر الشعب فى العطاء :

ساوى عمر بن عبد العزيز بين أمراء بنى أمية وغيرهم من الناس
فى العطاء ، فاشتكوا من ذلك وأبلغ عتبه بن سعيد شكواهم لعمر بن
عبد العزيز وكان قد أرسل لكل واحد منهم عشرة دنانير اضافية فقال له
عمر : قل لهم ان عمرا يقرأ عليكم السلام ويقول لكل « أقسم بالله الذى

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى ص ١٠٦ .

لا اله الا هو ما زلت هذه الليلة الماضية ساهرا أناجى الله واستغفره .
 مما أعطيته لكم دون المسلمين فلا والله العظيم لا أعطيكم بعد ذلك درهما
 الا أن يأخذ جميع المسلمين ، . فقال عتبه لامراء بنى أمية أنتم فعلتم
 بأنفسكم ٠٠٠٠ تزوجتم الى عمر بن الخطاب - بنت عاصم ، فجئتم
 بمثل عمر (٣) .

عدم تميز اولاد عمر بن عبد العزيز فى العطاء :

قيل لعمر بن عبد العزيز قبيل وفاته : « هؤلاء ينوك - وكانوا
 اثني عشر - الا توصى لهم بشيء ، فانهم فقراء » فقال : ان ولى الله الذى
 نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والله لا أعطيهم حق أحد وهم بين
 رجلين : اما صالح فالله يتولى الصالحين واما غير صالح فما كنت أعينه
 على قسقه . ثم استدعى اولاده فودعهم وعزاهم بهذا الكلام .

وقال : انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم

ويقول ابن كثير :

« وكان بعض اولاد سليمان بن عبد الملك . مع كثرة ما ترك لهم
 من الأموال يتعاطى ويسأل من اولاد عمر بن عبد العزيز لأن عمر وكل
 ولده الى الله عز وجل ، وسليمان وغيره انما يكلون اولادهم الى ما يدعون
 لهم ، فيضيعون وتذهب أموالهم فى شهوات اولادهم (٤) » .

عطاء يكشف بيت الأمير الزاهد :

أتت الى عمر بن عبد العزيز فى دمشق امرأة من العراق يبدو عليها
 العناء بسبب جهد السفر ووعثائه ، ودخلت دار عمر ، وأجالت فيه
 بصرها وذهل لقلّة وخشونة ما بداخله فقالت : أهذه هى دار أمير
 المؤمنين ؟ أجبت أعر بيتى من هذا البيت الخراب !

فقال لها فاطمة زوجة عمر : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت

أمثالك .

ثم أقبل عمر فكتب الى والى العراق كى يقرض للمرأة وبناتها (٥)

(٣) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٤٠ ، ١٤١ وردت فى كتاب عمر بن
 عبد العزيز لسعد عبد السلام حبيب ص ١٢٧ .

(٤) عمر بن عبد العزيز لابن كثير ، تقديم وتعليق أحمد الشريمان ص ٩٩ .

(٥) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص ١٤٥ وردت فى كتاب عمر بن عبد العزيز لسعد
 عبد السلام ص ١٠٨ .

استرداد عطاء سابق لبیت المال من زوجة الخليفة :

كانت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بنت الخليفة عبد الملك بن مروان وحفيدة الخليفة مروان وأخت الخليفة الوليد بن عبد الملك والخليفة سليمان بن عبد الملك فهي كما قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة حدها أخت الخلائف والخليفة زوجها

وقد أدى ذلك الى أن يؤول اليها في مناسبات مختلفة أموالا من بيت مال المسلمين في ظل سياسة الخلفاء السابقين لعمر من عدم الفصل بين أموال بيت المال وأموالهم الخاصة فمن ذلك ما أمر لها به أبوها في يوم عرسها وزفافها فتجمع لديها الكثير النادر من الجواهر والمؤلؤ الذي لم ير مثله .

فقال لها عمر : اختارى اما أن تردى حليك الى بيت مال المسلمين واما ان تأذنى لى فى فراقك فانى أكره أن أكون أنا وأنت فى بيت واحد .

قالت : لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لى .

فأمر بمالها فحمل الى بيت المال (٦) وراحت فاطمة تشارك عمر اخشوشان المعيشة وتقشفها وهي من نسل الخلفاء قبل عمر المنعمين المترفين ، وتأصل فيها زهد عمر وتقشفه فلما مات عمر واستخلف أخوها يزيد بن عبد الملك .

قال لأخته فاطمة : ان شئت رددت عليك جوهرك وحليك .

قالت : انى لا أشاؤه ، طبت عنه نفسا فى حياة عمر ، وأرجع فيه وأخذه بعد موته لا والله أبدا . فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده (٧) واغتصب بعد عمر حقا لبيت المال المسلمين أخذت منه أيام عمر ، وفى ذلك اقتدت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بسمة من سمات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وهي سمة التقشف حينما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فى الخيار الذى عرضه عليهم الله ورسوله ونزل به القرآن الكريم فى آية .

« يا أيها النبى قل لأزواجك ان كننن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا ، وان كننن تردن الله ورسوله

(٦) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٠ وابن عبد الحكم ص ٥٢ .

(٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ٥٣ وابن الجوزى ص ١٠٧ .

والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ، (الأحزاب - ٢٨ ، ٢٩) .

وفى العصور الحديثة نسمع عن أن بعض زوجات الحكام يغالبن فى التزين والتنعيم والترفيه بما يأخذنه من الأموال العامة فى عهد أزواجهن ، يحدث هذا وقد يكون الشعب فى ضيق وعنت وعناء والمالية العامة فى عجز واستدانة واملاق ، ومن أمثلة ترف زوجات الحكام ما فعلته زبيدة زوجة هارون الرشيد أحد خلفاء العباسيين الذين أتوا بعد الأمويين فيذكر التاريخ أنه كان لها ثوب من الوشى الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار وبساط من الديباج من صنع يدها فيه صور من الذهب أعينها يواقيت ، أنفقت عليه مليون دينار ، وهذا ثوب وبساط من بين العديد من الأثواب والبسط (٨) .

وقد وصل زهد زوجة عمر الى الخلافة نفسها فكانت تقول :

« ياليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سرورا مذ دخلت علينا » (٩) .

اجتماع ودعوة بنى أمية لرد ما أخذوه من عطاء سابق وأموال دن بيت المال :

فى الدعاوى العامة الجديدة التى يتبناها الزعماء والأمراء ورؤساء الدول لتحريك مجتمعاتهم من الضلالات الى الفضائل والهدايات يبدأون بأنفسهم فيحولوها الى المذهب الجديد ثم يتبعون ذلك بدعوة ذوى قرباهم الى الانضمام الى الدعوة الجديدة وبذلك يتبلور نموذج عملى يقتدى به المواطنون تباعا للنداء الجديد ، وهذا ما فعله عمر فبدأ بنفسه تم بزوجه ثم عشيرته الأقربين من بنى أمية ، فاقتدى بذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره جل وعلا بأن ينذر عشيرته الأقربين أى الأذنين اليه وانه لا يخلص أحد منهم الا ايمانه بربه عز وجل .

فعن ابن عباس قال : لما أنزل الله عز وجل « وأنذر عشيرتك الأقربين » (الشعراء / ٢١٤) أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا

(٨) أحمد بن حنبل - امام أهل السنة - للاستاذ عبد الحليم الجندى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ص ٨٥ .
(٩) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١١١ .

ففسعد عليه ثم نادى : يا صباحاه . فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء اليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤى أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟

قالوا : نعم .

قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا .

وانزل الله « تبت يدا ابي لهب وتب » (١٠)

وكذلك جمع عمر بن عبد العزيز بنى أمية وقال لهم : يا بني أمية انكم قد أعطيتكم حظا وشرفا وأموالا واني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثيها في أيديكم ، فأدوا ما في أيديكم من حقوق الناس ، ولا تلجئوني الى ما أكره وأحملك على ما لا تكرهون .

فلم يجبه أحد منهم .

فقال : اجيبوني .

فقال عمر بن عبد العزيز : والله لولا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لاخضعتكم عاجلا . ولكنى أخاف الفتنة . ولئن ابقاني الله لأردن الى كل ذى حق حقه ان شاء الله » (١١) .

وبعد ذلك أصدر عمر قراراته بإلغاء كافة مخصصات بنى أمية ومخصصات حرسهم وخدامهم ونزع ما في أيديهم من اقطاعيات وأرض زراعية وردها الى بيت المال .

عمر يرفض الوساطة في استرداده للعطاء :

أصر عمر على سياسة استرداد عطاء وأموال بيت المال من بنى أمية التي أخذوها من بيت المال بغير حق بالرغم من كثرة الشفاعات والوساطات التي أتت عليه ليحيد عن سياسته بكلمات مائعة وحاسمة .

(١٠) أخرجه الامام أحمد ورواه البخارى والترمذى والنسائى .

(١١) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٥ .

فقد اجتمع امرء بنى أمية الى عمر فقالوا : انك قد أفقرت بنى أبيك فيما ترد من هذه الأموال ، وهذا أمر قد وليه غيرك من قبلك ، فدع من وليه وما كان منه يحاسبه الله على فعلته . . . واشتغل أنت وشأنك واعمل بما رأيت .

قال عمر : أهذا رأيكم ؟

قالوا : نعم .

قال : والله لوددت أن لا تبقى مظلمة في الأرض الا رددتها . . . والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل الا بتقطيع أوصالي وأعضائي لأمضيت ذلك وأنا سعيد والله لو لبثت فيكم خمسين عاما ، ما أقمت الا ما أريد من العدل (١٢) .

فلما يأسوا منه أتوا عمتهم فاطمة بنت مروان وكانت لها مكانة عند عمر فهي أخت أبيه فشكوا اليها فأتت اليه وناقشته .

فقالت : « ان عمك عبد الملك كان يجرى على ما تعلم . . . ثم كان الوليد فزادني ثم توليت أنت فمعتني ومنعت قرابتك ما كان يجرى علينا من أرزاق . . . لقد قطعت عنا خيرا كان يجرى به غيرك علينا . . . أنهان في زمانك يا عمر » .

فقال لها عمر : « يا عمه . . . ان عبد الملك والوليد وسليمان كانوا يعطوا من أموال المسلمين ، وهي ليست لي حتى أعطى قومي وأصل بها رحي . . . لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث عن أمانة الحكم باهتمام عظيم ويلقى تعليماته الرشيدة وتوجيهاته الهادية الى الحكام والولاة والقضاة والى كل من يحمل مسئولية في الأمة . . . فالحكم بكل ألوانه أمانة عظيمة ومسئولية كبرى . . . ترتعد من هول حساب الله عليها أفئدة الأبرار ، يقول محمد صلى الله عليه وسلم عن الولاية :

انها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامه الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ، لقد سمع « عبادة بن الصامت » الصحابي الجليل وأحد زعماء الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن مسئولية الولاة وعن مصير من يفرط منهم في حق أو تعبت ذمته بمال . . . فأقسم بالله ألا يكون أميرا على اثنين أبدا ، والصحابي الكبير « سلمان الفارسي » تعرض عليه الامارة فرفضها ويهرب منها .

(١٢) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٢٥ .

قائلا : « ان استطعت ان تأكل التراب ولا تكون أميرا على اثنين خافعل » .

فقال له عمته : يا عمر ان قرابتك يشكونك ، ويزعمون أنهم يسبون عندك فلا تنكر ، وانك أخذت منهم خير غيرك وأعطيتهم للناس .

قال عمر : يا عمة ما منعهم حقا أو شيئا كان لهم .

قالت عمته : انى رأيتهم يتكلمون ، وانى أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصبيا » .

فاذا بعمر ينتفض غضبا ويقول « انى لا أخاف سوى حساب الله يوم القيامة » . وكل يوم أخافه دون هذا اليوم ، فلا وقانى الله شره » .

ثم دعا لقطعة من الحديد ومجمره . . ووضع قطعة الحديد على النار حتى احمرت وتوهجت .

فقال لعمته : « ألا تخافين على ابن أخيك من مثل هذا » .

فتركته عمته وانصرفت لتجد أفراد بنى أمية فى انتظارها ، فأخبرتهم بما حدث وبما يأسهم من الطمع عنده .

وقالت لهم : ذوقوا مغبه أمركم . ولا تلومون الا أنفسكم يا معشر بنى أمية . . من قال لكم زوجوا حفيدة عمر بن الخطاب لعبد العزيز بن مروان ؟ انها جاءكم بعمر ثان (١٣) .

ومن الحديث السابق نستنتج المبادئ التالية التى قررها عمر بن عبد العزيز بشأن عطاء أقاربه الأمراء من بيت مال المسلمين .

★ الحكم والولاية أمانة .

★ المال العام مال المسلمين وهو مستقل عن مال الحكام والولاية .

★ من الأمانة أن لا يأخذ الحكام والولاية وأقاربهم من المال العام الا بالحق .

★ ومن الأمانة كذلك أن يسترد ما اخذوه بالباطل ولو كان بموافقة الحكام والولاية السابقين .

★ تكون أمانة الحكام والولاية مستمرة طويلة مدة حكمهم وولايتهم .

(١٣) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٧ .

★ لا يخشى الولاة والحكام معارضة من استردت منهم الأموال التي حصلوا عليها من بيت المال ظلما وبدون وجه حق .

★ اذا قصر الحكام والولاة في استرداد الأموال العامة من مغتصبها فالله محاسبهم على ذلك يوم القيامة ، كما أن للشعب الحق في محاسبتهم في الدنيا .

رفض عمر لمعارضة مفرضة لاسترداد عطاء وأموال بيت المال :

حاول امراء بنى أمية بكافة الوسائل استرجاع الأموال العامة التي استردت منهم تارة بالمناقشة مع عمر بن عبد العزيز مباشرة وتارة بإرسال الوسطاء والشفعاء ليتوسطوا لديه وليتشفعوا عنده ، فلما يئسوا اعلنوا معارضتهم ونقدتهم لسياسته بكتاب أرسلوه الى عمر على لسان كبيرهم وشيخهم الذى شاركهم تملك الأموال العامة ظلما وهو عمر بن الوليد بن عبيد الملك فكتب اليه بكتاب جاء فيه :

« انك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشئنا لمن بعدهم من أولادهم .. وقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، اذ عمدت الى أموال قريش ومواريتهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا .. يا ابن عبد العزيز اتق الله وراقبه ، فانك لم تكذ تظمنن على منبرك حتى خصصت قرابتك بالظلم والجور (١٤) .. »

ورد عليه عمر بكتاب أوضح فيه ان المال مال المسلمين وفيه حقوق الفقراء والمرضى واليتامى والأسرى وأن عمال الأمراء السابقين جبوا الأموال العامة ظلما من الشعب وأنفقوها فى الترف والمحرمات ، وفيما يلى بعض فقرات من كتاب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد .

« تزعم أنى من الظالمين ، لأنى حرمتك وأهل بيتك من مال المسلمين الذى هو حق الفقير الجائع .. والمريض الضائع .. والمظلوم المقهور .. واليتيم والأرملة والأسير وإن شئت اخبرتك بمن هو أظلم منى وأترك لعهد الله .

انه أبوك الوليد ، الذى استعملك صبيها على جند المسلمين تحكم برأيك . فويل لك وويل لأبيك ، وما أكثر خصمائكما يوم القيامة .. وكيف تنجو وينجو أبيك من خصمائهم ؟

.. (١٤) سيرة عمر - ابن عبد الحكم - ص ١٢٦ .

وان أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل « الحجاج بن يوسف على خمس العرب . . يسفك الدم الحرام . ويأخذ المال الحرام . وان أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل « قرّة بن شريك » الفاسق المتهتك على مصر وأذن له فى اللهو والشراب . . وان أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل « يزيد بن أبى مسلم » على جميع المغرب يسفك الدم الحرام ، ويجبى المال الحرام . . فرويدا يا ابن بنانة (١٥) فلو طالت بى الحياة لاتفرغن لك ولأهل بيتك حتى أقيمكم على المحجة البيضاء (١٦) .

العتاء لجميع المسلمين :

لما ولى عمر بن عبد العزيز كان من ضمن ما كتبه آيات من القرآن اختارها ليعلن أن الفئ ومنه العطاء لجميع المسلمين فقال :

« . . . ثم أفاء الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أموال قرى لم يوجف عليها خيل ولا ركاب فقال فيها لتكون سنة فيما يفتتح الله من القرى بعدها » .

« وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير » (الحشر/٦) -

وقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كئ لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (الحشر / ٧) .

ثم سمى فى هؤلاء الآيات الذى للمسلمين ، فليس لأحد منهم قسم الا وهو فى هذه الآيات فقال « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (الحشر / ٨) .

وأهل هذه الآية من خرج من بلده مهاجرا الى المدينة وليس فيهم. الأنصار .

ثم قال : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم.

(١٥) بنانة هو أم عمر بن الوليد بن عبد الملك .

(١٦) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١١٢ .

ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون «
(الحشر / ٩) .

وأهل هذه الآية من كان بالمدينة من الأنصار ، فان هجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانت اليهم .

ثم قال في الآية الثالثة وهي التي جمعت حظ من بقي من المسلمين
بعد هذين الصنفين الأولين في الاسلام وقسم المال « والذين جاءوا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » (الحشر / ١٠)

فهم جماعة من بقي من أهل الاسلام ومن هو داخل فيه بعد الهجرة
الأولى حتى تنقضي الدنيا (١٧) .

وما يلاحظ أن ما أورده عمر بن عبد العزيز من آيات هي نفسها التي
أوردها قبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتأييد وجهة نظره في عدم
تقسيم أرض الغنائم وكانت حجته ان توالى الآيات والتنويه عن الغنيمة في
الآية السادسة من سورة الحشر وأنها للقرى كلها في الآية السابعة
وللمهاجرين في الآية الثامنة وللأنصار في الآية التاسعة ولما جاء من بعدهم
في الآية العاشرة - يؤيد وجهة نظره بعدم التقسيم ويؤيد جعل أرض
الغنائم لصالح جماعة المسلمين حاضرا ومستقبلا (١٨) .

تنفيذ وعد سابق بشمول العطاء :

وشمول العطاء جميع المسلمين وعدم إثارة الخليفة نفسه بالأدوال كان
أيضا تنفيذا لوعد كان عمر بن عبد العزيز وعد به في عهد سليمان بن
عبد الملك .

فقد حمل بعض وجهاء خراسان لسليمان هدايا ثمينة من الذهب
والجواهر والآلئ والدر والزبرجد والياقوت والتحف النادرة وكان عنده
وزيره عمر بن عبد العزيز ففرح سليمان بالهدايا فرحا شديدا وأمر
أصحابها أن يملأوها بها على عمر ليراها ، فكان كلما مر بعمر صنف منها
سأله سليمان : كيف ترى هذا ؟ .

(١٧) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تعليق احمد عبد - طبعة ثاسة
ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٨) السياسة المالية لعمر بن الخطاب تأليف قطب ابراهيم محمد طبعة أولى ص ٧٢ .

فيقول عمر : يا أمير المؤمنين ، انما هو متاع الحياة الدنيا .
 قال سليمان : يا ابن عبد العزيز فوالله لو وليته ما أنت صانع فيه
 قال عمر : أوزعه حتى لا يبقى منه شيء .
 قال سليمان : اللهم اشهد
 ولكن سليمان قبل الهدية .
 وقال : النبي عليه الصلاة والسلام قبل الهدية
 قال عمر : كانت له هدية وهي لمن بعده رشوة وقد نهى عمر بن
 الخطاب عن قبول الهدية (١٩) .

تنظيم العطاء في عهد عمر بن عبد العزيز :

ثم راح عمر بن عبد العزيز يضع التنظيمات اللازمة لنظام العطاء حتى
 يقوم على أساس من العدل فيقتدى بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم
 ويستشير في قواعد التطبيق ويجتهد استنادا لما ورد في القرآن الكريم
 وينشئ حقوقا للورثة في العطاء ويبسط اجراءاته بتطبيق اللامركزية
 ويعالج بعد ذلك ثغرات التطبيق ، وذلك على التفصيل التالي :

استلھام سنة الرسول في عطاء القصر :

عن نافع عن ابن عمر قال : « عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 للقتال يوم أحد فاستصغرني فردني وكنت ابن أربع عشرة سنة وعرضني
 يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة وأجازني » .

فلما سمع عمر بن عبد العزيز من نافع بذلك كتب الى عماله :

« من بلغ خمس عشرة سنة فافرضوا له في المقاتلة ومن كان دون
 ذلك فافرضوا له في الدرية فالأصل أن الغلام يعتبر في المقاتلة اذا بلغ
 الحلم فيأخذ عطاء المقاتلة فان شك فيه فلا يعطى عطاء المقاتلة حتى يبلغ
 خمس عشرة سنة اقتداء بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما
 أجاز لابن عمر أن يجاهد يوم الخندق حينما بلغ خمس عشرة سنة ولم يجز
 له ذلك حينما كان سنه دون ذلك » (٢٠) ومما يدعم رأى عمر أن ذلك
 مطبق أيضا في الحدود والشهادة .

فعن مكحول قال « اذا بلغ الغلام خمس عشرة سنة جازت شهادته .
 ووجبت عليه الحدود » (٢١) .

(١٩) خامس الراشدين - سلسلة مقالات بقلم عبد الرحمن الشرقاوي - بجريدة.

الامرام عدد ١٩٨٥/٧/٢٤ .

(٢٠ ، ٢١) الخراج لأبي يوسف - مرجع سابق ص ١٧٥ .

استشاره في مبدأ العطاء :

حدث سليمان بن حبيب :

« ان عمر بن الخطاب فرض لعيال المقاتلة ولذريتهم العشرات يرثها ممن ليس في العطاء والعشره ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فسألني عمر عن ذلك فأخبرته فانكر الوراثة وقال (أى عمر) : أقطع الوراثة وأعمم الفريضة .

فقلت : مهلا يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن يستن بك من بعدك في قطع الوراثة ولا يستن بك في عموم الفريضة .

قال : صدقت أتركهم (٢٢) .

فعمر بن عبد العزيز استطلع الرأي فيما كان في عهد عمر بن الخطاب ، وأراد أن يعدل ما كان يطبقه من باب الاجتهاد ، فلما أشير عليه بأن ذلك قد يؤدي الى خلل في نظام العطاء بعده ، عدل عن رأيه .

اجتهاد في العطاء استنادا للقرآن :

حدث مروان بن شجاع الجزري قال : أثبتني عمر بن عبد العزيز وأنا فطيم في عشرة دنائير (٢٣) وحدث محمد بن كثير عن أمية بن يزيد قال : سألت عمر بن عبد العزيز لابن لي (يعني لم يبلغ الفطام) فقال : لو كنت أفرض لابن لي مثله فرضت لهذا (أى لو كنت أفرض لابني الذي لم يتم رضاعة فرضت لابنك) (٢٤) .

وكان عمر بن الخطاب يفرض للطفل حين يفطم ثم عدل عنه وفرض للطفل حين ولادته فاجتهد عمر بن عبد العزيز ورأى أن يتقرر عطاء الأطفال حين يفطمون ، وفي القرآن ما يؤيد اجتهاده ، فالقرآن يقرر أن رضاع الطفل نفقة على أبيه فان لم يكن له أب فعلى الوارث اذا لم يكن للصبى مال فان كان له مال فمن ماله (٢٥) .

وما دامت تكلفة رضاع الطفل على أبيه وأبوه يأخذ عطاء بيت المال ، فلا يكون الطفل قبل الفطام وفي فترة الرضاع في حاجة للعطاء .

(٢٢) الأموال لابن عبيد ص ٣٠٥ .

(٢٣) المرجع السابق ص ٣٠٤ .

(٢٤) المرجع السابق ص ٣٠٦ .

(٢٥) الأموال لأبي عبيد - مرجع سابق ص ٣٠٤ .

تنظيم ميراث العطاء :

كان عمر بن عبد العزيز اذا وجب للرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته .
وقد كتب للقائمين على العطاء يأمرهم بذلك فقال :

أن انظر في أهل الدواوين فمن كان عمل على عطائه سنة كاملة
ثم يقبض (أى يموت) بعد ما يؤمر للناس بأعطياتهم ، فأمر لأهله بعطائه
حقا واجبا ، (٢٦) .

لا مركزية العطاء :

قال أبو مجلز لعمر : انك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل الينسا
لأموال .

قال عمر : يا مجلز قلبت الأمر .

قال أبو مجلز : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك .

قال عمر : بل هو لكم اذا قصر خراجكم عن أعطياتكم .

قال أبو مجلز : فلا أنت تحمله الينا ولا نحمله اليك وقد وضعت
بعضه على بعض .

قال عمر : أحمله اليكم ان شاء الله .

ومن المناقشة السابقة يمكن استنتاج المبادئ التالية بشأن الخراج
والاعطيات : (٢٧)

الأصل أن يكون العطاء لأهل بلدة من مواردها وأنه اذا قصر خراج
بلدة عن عطائها يتم تعويضها عن النقص من فائض بيت المال المركزى ،
وبذلك يكون توزيع العطاء قام على سياسة اللامركزية ، ويؤيد ذلك نصيح
عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وقد ولاء على الخراج فى خراسان
فقال « فاستوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم » فان يك كافيا لاعطياتهم
فحسننا . . والا فاكتب الى حتى أكمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم » .

فلما قدم عقبه وجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم .

فأمر عمر بتقسيم الفضل فى أهل الحاجة (٢٨) .

(٢٦) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٣١٣ .

(٢٧) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٧٠ .

(٢٨) سيرة عمر - ابن عبد الحليم ص ١٤٠ ، ١٤١ .

عطاء وولاء للرسول صلى الله عليه وسلم :

دخل على عمر بن عبد العزيز رجل غريب يلتمس عنده مالا ، وكان يعطى الغرباء مائتى درهم •

فسأله عمر : ممن أنت ؟

قال : من أهل الحجاز

قال : من أى أهل الحجاز ؟

قال : من أهل المدينة يا أمير المؤمنين

قال : من أيهم ؟

قال : من قریش

قال : من أى قریش ؟

قال : من بنى هاشم يا أمير المؤمنين

قال : من أى بنى هاشم

قال : مولى على

قال : من على ؟

قال : على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين •

فجلس عمر ووضع يده على صدره •

وقال : وأنا والله مولى على : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كنت مولاة فعلى مولاة •

ثم سأل مزاحم : كم يعطى مثله من الغرباء
قال مزاحم : مائتى درهم

قال : أعطوه خمسين دينارا (خمسمائة درهم) لولائه من على •

ثم سأله : ان كان له عطاء

فقال الغريب : لا

ففرض له عطاء

وقال له : الحق ببلادك ، فانه سيأتيك ان شاء الله ما يأتى غيرك (٢٩)

(٢٩) خامس الخلفاء الراشدين وسلسلة مقالات - عبد الرحمن الشرقاوى - الأهرام
عدد ١٤/٨/١٩٨٥ •

السياسة المالية - ١٩٣

عطاء وكلمة طيبة :

وكثيرا ما كان عمر بن عبد العزيز يحيط عطاء بيت المال بكلمة طيبة ورفق فى المعاملة اذا ما أتوه أرباب الحاجات يسألونه العطاء أو يعفو عن اساءة من اساء فيمنح المستحقين العفو والعطاء معا وذلك كما يتبين مما يلى :

★ دخل اعرابى على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءت بى اليك الحاجة وانتهدت اليك الغاية والله سائلك عنى .

فبكى عمر

فقال : كم أنتم .

فقال : أنا وثلاث بنات .

فقرض له عمر بن عبد العزيز ثلثمائة وفرض لبناته مائة وأعطاه مائة درهم من ماله .

وقال له : اذهب واستنفقها حتى تخرج اعطيات المسلمين فتأخذ معهم (٣٠) .

★ خرج ابن لعمر بن عبد العزيز وهو صغير ، يلعب مع الغلمان فشججه صبي منهم ، فاحتملوا الصبى الذى شجج ابنه وجاءوا به الى عمر فسمح الجلبه فخرج اليهم

فاذا امرأة تقول : انه ابنى ، وانه يتيم .

فقال لها عمر : هونى عليك ، أله عطاء فى الديوان

قالت : لا

قال : فاكتبوه فى المدرية

فقالت فاطمة زوجة عمر : أتفعل هذا به وقد شجج ابنك ، فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشجج ابنك ثانية .

فقال عمر : انه يتيم وقد أفزعتموه (٣١) .

(٣٠) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق ص ١١٨ .

(٣١) المرجع السابق ص ٧٥ .

نصيحة بدل العطاء :

وكان عمر ينصح أولئك الذين يأتونه يطلبون العطاء ولا حق لهم فيه فقد جاءه رجل من قريش كان بنو مروان يعطونه اذا سألهم ، فطلب من عمر فرفض ، فذكر أن عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ابنا عبد الملك كانوا يعطونه كل عام آلاف الدنانير ، فقال له عمر « هذا لا يجوز » •

فخرج الرجل غاضبا ، فناداه عمر ، فعاد الرجل مبتهجا ، فقد خيل اليه أن عمر سيعطيه حتى يرضى • ولكن عمر أعطاه نصيحة جاء فيها :

« اذا رأيت شيئا من الدنيا فأعجبك فاذكر الموت فإنه يقلله من نفسك ، واذا كنت فى شيء من أمر الدنيا قد غمك ونزل بك فاذكر الموت فإنه يسهله عليك ، وهذا أفضل من الذى طلبت » (٣٢) •

(٣٢) خامس الراشدين - بقلم عبد الرحمن الشرقاوى - عدد الأهرام ١٩٨٥/٨/٧ •

الفصل الثانى

تطبيق سياسة رد المظالم فى عهد عمر بن عبد العزيز

تعريف سياسة رد المظالم :

تقع أحيانا مظالم من ذوى النفوذ والسلطان فى الدولة من حكام وولاة وغيرهم ، ويعجز القضاء العادى عن اىصال الحق الى صاحبه لاقتصار وظيفته على القضاء وافتقاره لسلطة التنفيذ ، ولرد هذه المظالم وجدت فى الاسلام وظيفة « والى المظالم » أو « صاحب المظالم » كما كان يطلق عليها فى بعض العهود .

ويعرف أحد علماء المسلمين ولاية المظالم فيقول :

« ان ولاية المظالم كولاية القضاء وكولاية الحرب وكولاية الحسبة جزء مما يتولاه ولى الامر الأعظم ويقيم فيه نائبا عنه ، من تكون فيه الكفاية والهمة لأدائه ، ويسمى المتولى لأمر المظالم ناظرا ولا يسمى قاضيا وان كان له مثل سلطان القضاء ومثل إجراءاته فى كثير من الأحوال ، ولكن عمله ليس قاضيا خالصا ، بل هو قضائى وتنفيذى ، فقد يعالج الأمور الواضحة بالتنفيذ أو بالصلح أو بالعمل الخيرى بأن يرد لصاحب الحق حقه فهو قضاء أحيانا وتنفيذى ادارى أحيانا » .

ويوضح المازودى الغرض من قضاء المظالم بأنه هو :

« قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهبة » .

كما يوضح مواصفات ناظر المظالم بأنها :

« أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، لأنه يحتاج فى نظره الى سطوة الحماة وثبت

القضاة ، فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين ، وان يكون بجلال القدر نافذ الأمر في الجهتين » .

ربط سياسة رد المظالم بالاصلاح المالى :

ولا يكفى لتحقيق الاصلاح المالى فى أى دولة أن تنقى المالية العامة ايرادا وانفاقا وادارة مما شاب مسارها من مخالفات وتجاوزات ، بل ينبغى أن يمتد الاصلاح المالى الى معاملات المال الخاص فتتمنع أية مظالم وقعت عليه سواء من بدء تنفيذ سياسة الاصلاح أو قبلها ، لأن المال الخاص هو المنبع والمصدر للأموال العامة ، ويتم ذلك الاصلاح بوضع نظام بجانب القضاء يلجأ المظلومون لطلب النصفة من الظالمين خصوصا اذا كانوا أولى قوة وبأس شديد وذوى قرى من الرؤساء والحكام ، وبغير ذلك يظل المقتصبون للأموال الخاصة معتزين بظلمهم والمظلومون مهوورين لاغتصاب أموالهم .

أدرك عمر بن عبد العزيز ذلك فربط سياسته للاصلاح المالى بسياسة عامة لرد المظالم وبذلك أقام نشاطا للدولة الاسلامية أساسه العدل فأحيا مبدعا من مبادئ الاسلام .

وفيما يل المبادئ التى أقام عليها عمر بن عبد العزيز سياسته لرد المظالم :

أسس سياسة رد المظالم :

قامت سياسة عمر بن عبد العزيز لرد المظالم على الأسس التالية :

- عزل الولاة الذين ظلموا الرعية واستباحوا حقها .
- التعجيل برد المظالم والاعلان عنها .
- الاعلان عن مكافآت لمن يرشد عن مظلمة .
- رفض طلبات لولاته تحمل شبهة الظلم .
- تطبيق اللامركزية فى رد المظالم وتبسيط وتسهيل اجراءاته .
- منع المظالم عن بيت المال قبل وقوعها .
- مراجعة الدواوين ورد المظالم للورثة .
- عدم التردد والحزم فى تنفيذ سياسة رد المظالم .
- مساندة سياسة رد المظالم بنظام عادل للقضاء .

ونناقش فيما يلي سياسة رد المظالم مع تعزيزها بحالات تمت في عهد
عمر بن عبد العزيز رد فيها المظالم .

عزل الولاة الظلمة :

ما أن ولي عمر بن عبد العزيز خلافة الدولة الإسلامية حتى بادر
بالعمل على إيقاف المظالم وكانت أولى خطواته في ذلك عزل الولاة الظلمة
الذين أذلوا الناس وأوقعوا بهم الجور ، فقد كان يعرفهم قبل توليه الخلافة
ونوه عنهم فقال :

« الوليد بالشام والحجاج بالعراق ومحمد بن يوسف باليمن وعثمان
ابن حيان بالحجاز وقرّة بن شريك بمصر ويزيد بن أبي مسلم بالمغرب ،
امتلات الأرض والله جورا » (١) .

وقد شمل العزل بعد ولايته مباشرة كلا من :

– أسامة بن زيد التنوخي صاحب خراج مصر وكان سليمان بن
عبد الله قد واه على الخراج وكان أمير مصر إذ ذاك هو ابن رفاعة وكان
صالحا عفيفا حسن السيرة يقيم العدل في الرعية ، فلما وجد أن صاحب
الخراج يشق على أهل مصر في الخراج فكان يقطع الأيدي في خلاف ما أمر
الله به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها من لم يدفع الضريبة ومن يخالفه
واللصوص وقطاع الطرق ثم يلقي بهم إلى التماسيح لتلتهمهم التهاما ،
شكاها الناس إلى سليمان بن عبد الملك ولكن سليمان كان يحتضنه بعد
أن رسم له سياسته في الخراج وقد أوضحنا أنه كان يقول له .

« احلب الدر حتى ينقطع » والدر هو اللبن « واحلب الدم حتى
ينصرم » .

وقد حاول عمر اقناع سليمان بعزل هذا الجبار الظلوم .

ولكن سليمان قال له في إعجاب بأسامة التنوخي « أسامة لا يرتشى
دينارا ولا درهما » .

قال عمر : أنا أدلك على من هو أشر من أسامة ولا يرتشى دينارا
ولا درهما .

قال سليمان : من هو ؟

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز – ابن عبد الحكم – تصحيح وتعليق أحمد عبيد –
طبعة ثانية ص ١٤١ .

قال عمر : عدو الله ابليس *

من أجل ذلك كان أول ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو عزل أسامة التنوخي وحبسه بما اقترف من جرائم وأمر به أن يقيد في الأصفاة ، ولا ترفع عنه الا وقت الصلاة (٢) *

— وعزل عمر بن عبد العزيز كذلك أمير أفريقية يزيد بن مسلم وأمره بأن يقدم حسابه فقد كان يأمر مخالفيه ان يعذبوا بين يديه ويشهد عذابهم سعيذا متلئذا به وهو يسبح ويكبر ويقول :

« سبحان الله والحمد لله ، عذبوه في موضع كذا من جسمه ، لا اله الا الله والله أكبر ، شد يا غلام موضع كذا ٠٠٠ » (٣) *

— كما عزل عمر بن عبد العزيز خالد بن الريان سيف الوليد وصاحبه ، فقد حدث في عهد سليمان بن عبد الملك أن أرسل في طلب عمر بن عبد العزيز فدخل عليه فاذا هو عابس فأشار اليه أن اجلس فجلس *

فقال سليمان : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أ يقتل ؟

فسكت عمر ثم عاد الوليد فسكت ثم عاد *

فقال عمر : أقتل يا أمير المؤمنين ؟

قال سليمان : لا ولكن سب *

فقال عمر : ينكل به *

فغضب سليمان وخرج *

وكان عند سليمان بن عبد الملك صاحب حرسه وسيفاه خالد بن الريان ، فأمره بضرب عنق الرجل *

فلما خرج سليمان *

قال خالد بن الريان لعمر : تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه الا أن تشتمه كما شتمك ؟ والله لقد كنت متوقعا أن يأمرني بضرب عنقك *

قال عمر يسأله : لو أمرت لفعلت ؟

قال خالد بن الريان : انى والله لو أمرت لفعلت *

(٢) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ٣٢ *

(٣) المرجع السابق ص ١٠٢ *

فلما تولى عمر الخلافة استدعى بن الريان وعزله عن الحرس .
وقال له : يا خالد ضع السيف عنك ، اللهم انى قد وضعت لك
خالد بن الريان ، اللهم لا ترفعه أبدا .

• وولى عمر على الحرس عمر بن مهاجر الانصارى (٤) .
ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بعزل الظالمين من ولاته وعماله بل
أعلن فى احدى خطبه أن الامام الظالم عاصى فقال :
« لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، الا وانكم تعدون الهارب من ظلم
امامه عاصيا ، ألا وان أولاهما بالمعصية الامام الظالم » (٥) .

التعجيل فى رد المظالم والاعلان عنها :

وكان عمر حينما عزل الظلمة من ولاته قد بدأ بإزالة سبب هام من
الأسباب التى تؤدى لوقوع المظالم وكان أحد أبنائه قد استعجله فى تطبيق
سياسة رد المظالم فبعد أن بويغ بالخلافة ذهب عمر يوما يتبوا مقبلا فأتاه
ابنه عبد الملك .

قال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟
قال يا بنى : اقبل .
قال : تقبل ولا ترد المظالم الى أهلها .
قال : انى سهرت البارحة فى أمر سليمان ، فان صليت الظهر رددت
المظالم .

فقال الابن : ومن لك أن تعيش الى الظهر .
قال : ادن منى أى بنى .
فدنا فقبله بين عينيه .

وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى (٦) .
— ولجأ عمر الى جميع وسائل الاعلام التى كانت فى عهده للإعلان
وابلاغ الشعب بأن يتقدم كل صاحب مظلمة للدولة لرد مظلمته فأعلن

(٤) فى رواية أخرى أن الذى استدعى عمر هو الوليد - انظر عمر بن عبد العزيز
لابى كثير القرشى ص ٥٢ .

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - تصحيح وتعليق أحمد عبيد
طبعة ثانية - ص ٣٧ .

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير مرجع سابق ص ١٠٧ .

ذلك على الناس سواء عن طريق مناد ينادى فى الناس بذلك أو بما ألقاه من خطب أو بما وزعه من منشورات مكتوبة على الشعب ، وفيما يلي نماذج لذلك :

★ ما ان نزل عمر من على المنبر يوم أتنه الخلافة حتى أرسل قبل صلاة الظهر مناديا ينادى فى الناس « من كانت له مظلمة فليرفعها » (٧) .

★ ووقف عمر فى الناس خطيبا فقال :

« وما منكم من أحد تبلفنا حاجته يتسع له ما عندنا الا حرصنا أن نسد حاجته ما استطعنا وما منكم من أحد تبلفنا حاجته لا يتسع له ما عندنا، الا تمنيت ان يبدأ بى وبخاصتى حتى يكون عيشنا وعيشه سوء » .

★ وأمر عمر ان يذاع منشور له عن رد المظالم فى جميع الاقطار وحيث تجمعات الناس فى المواسم والمساجد والأسواق وورد فيه :

« من ظلمه حاكمه مظلمة فلا اذن له على » (٨) .

اعلان عن مكافأة لمن يرشد عن مظلمة :

أمر عمر بن عبد العزيز أن يعلن فى موسم الحج على الناس الاعلان التالى :

« ايما فرد قدم علينا فى رد مظلمة فى أمر يصلح له به خاصا أو عاما من أمر الدين فله ما بين مائة دينار الى ثلثمائة بقدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة وطول السفر وبقدر ما يحق الله به حقا أو يمين به باطلا أو يفتح به من ورائه خيرا ، ولولا أن أطيل عليكم فيشغلكم ذلك عن مناسكتكم لسميت أمورا من الحق أظهرها الله وأمورا من الباطل أماتها الله » (٩) .

تعليمات عمر لعماله بتجنب المظالم :

بدأ عمر بن عبد العزيز بولاته فنصحهم وأوصاهم بعدم ارتكاب المظالم وحذرهم من السير على شاكلة من سبقهم فى ظلم الرعية وإيقاع الجور والحيف بها فأرسل لهم الكتب بذلك وأشهد الناس عليهم وطلب منهم مراقبة هؤلاء الولاة وعدم الاستجابة لأى ظلم يحاولون إيقاعه بهم .

(٧) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ١٠٤ .

(٨) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ٥٥ .

(٩) المرجع السابق ص ٧٣ .

ومن نصائح عمر لولاته عن تجنب الظلم :

« كونوا فى العدل والاصلاح والاحسان بقدر ما كان قبلكم فى الظلم والجور والعدوان ولا حول ولا قوة الا بالله .» ان الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله وسنن سيئة سننها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان (١٠) .

ومنها أيضا :

« ادعوا الحدود بالشبهات » استطعتم فى كل شبهة . فان الولى اذا أخطأ فى العفو خير من أن يتعدى فى العقوبة » (١١) .

ويدعو الناس لمراقبة عماله فيقول :

« انى قد استعملت عليكم عمالا . . . لا أقول أنهم خيركم . . . ولكن أقول أنهم خير ممن هم شر منهم » (١٢) .

ويأمر عمر الناس بعدم طاعة الحاكم اذا هو انصرف عن الحق فيقول :

« أى عامل من عمالى رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم وقد صيرت امره اليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم » (١٣) .

ورفض عمر طلبات لولاته تحمل شبهة الظلم :

يحاول بعض الولاة أن يتخذوا من الظلم وعدم تطبيق القوانين . وانزال العقاب بالناس وسيلة للاصلاح وهؤلاء ان أصابوا مرة أخطأوا مرات ، وتكون اصلاحاتهم ان تحققت قد قامت على أسس منافية للعدل وهو عماد أى اصلاح دئم شامل وركيزة رضا الشعب عن هذه الاصلاحات وتقبله لها ، لذلك رفض عمر بن عبد العزيز طلبات الاصلاح التى تقدم بها ولاته بوسائل تحيد عن الحق والعدل فمن ذلك :

(١٠) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ١٠١ .

(١١) سيرة عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ٦٤ .

(١٢) سيرة عمر - ابن الجوزى ص ٧٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ٧٢ .

★ ولي عمر بن عبد العزيز « يحيى الفسائي » على الموصل فلما قدمها وجدها من أكثر البلاد فسادا ، تنتشر فيها السرقة والجريمة ، فكتب الى عمر يعلمه بحال البلد ويسأله هل يأخذ الناس بالظنة ويضرب على مجرد التهمة أو يأخذهم بالدليل والبينة .

فكتب اليه عمر :

« خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة . . فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . . » (١٤) .

★ وحدث أن تلقى عمر كتابا من واليه على خراسان يطلب منه فيه أن يأذن له باستخدام القوة والعنف مع أهلها قائلا : انهم لا يصلحهم الا السيف والسوط . . .

فكتب اليه عمر :

« كذبت . بل يصلحهم العدل والحق . فابسط ذلك فيهم ، واعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين ان قلوب الأمم لا تملك بالقسر والقسوة » (١٥) .

بل ذهب عمر الى أكثر من ذلك فسلب الولاية حق الحكم بقتل الناس بعد أن أسبى استعمال هذا الحق في العهود السابقة وقرر عدم قتل أحد الا بعد عرض قضيته عليه شخصيا وأخذ رأيه حتى يتحقق قول الله جل وعلا :

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » (الأنعام/ من ١٥١) .

تطبيق المراكزية في رد المظالم :

ولسرعة رد المظالم وتبسيط اجراءاتها أمر عمر بن عبد العزيز ولاته بذلك على النحو الذي أوضحنا كما أمر عماله بعدم مراجعته فيما يأمر به من رد للمظالم ، كما أجاز نقل الأموال لرد المظالم من بيت مال إحدى الولايات الى بيت مال ولاية أخرى اذا كانت هذه الولاية ليس بها أموال ، فلما نفذ بيت مال العراق في رد المظالم حمل اليها من الشام (١٧) وكتب الى عامله على اليمن بعدم التردد في رد المظالم فقال .

(١٤) المرجع السابق ص ٩٧ .

(١٥) المرجع السابق ص ٩٣ .

(١٦) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٧٧ .

(١٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٠٧ .

« أما بعد فاني أكتب اليك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني
 ٠٠ ولا تقدر المسافة بيني وبينك ولا تعرف أحداث الموت - حتى لو كتبت
 اليك أن أردد على مسلم شاة ٠٠ لأرسلت تسألني أن أرددها عفراء
 أو سوداء ٠٠ فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني ٠٠ وتبين
 وجه الحق فيه ثم امضه » .

وكتب الى عامله على الكوفة (١٨) :

« يخيل الى اني لو كتبت اليك أن تعطي رجلا شاه ، لكتبت الى
 أضأن أم ماعز ٠ فان كتبت بأحدهما كتبت الى أصغيرة أم كبيرة فان كتبت
 اليك كتبت الى أذكر أم أنثى فان أتاك كتابي في مظلمة فاعمل بها
 ولا تراجعني » (١٩) .

وكتب الى آخر :

« انك تراجعني ٠٠ فنفذ ما أكتب به اليك من الحق فانه ليس
 للموت ميقات نعرفه » (٢٠) ٠ وشبية بكثرة أسئلة ولاية عمر في رد
 المظالم وأمثالهم من عمال الدولة المترددين ما فعله بنو اسرائيل مع موسى
 حينما أمرهم بذبح بقرة وضرب القتيل ببعضهما فتعود اليه الحياة ويرشد
 عمن قتله ، فقد أكثروا من الأسئلة وما كادوا يفعلون ما أمرهم به موسى
 عليه السلام ويشير القرآن الكريم الى ذلك ، فيقول الله جل وعلاء :

« واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتناخذنا
 هزوا قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
 ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
 ما تؤمرون ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لوئها ، قال انه يقول انها
 بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
 ماهي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ، قال انه يقول انها
 بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ، قالوا
 الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون » (البقرة / ٦٧ - ٧١) .

(١٨ ، ١٩) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ٩٧ .

(٢٠) الموسوعة - عمر أبو النصر ص ١١٢ .

تسهيل اجراءات رد المظالم :

وتبسيطا وتسهيلا لرد المظالم كان عمر بن عبد العزيز يكتفى
لأثبات حق المظلوم باليسير من البينة ويفسر الشك لصالحه .

— فقد قال أبو الزناد : كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم الى
أهلها بغير البينة القاطعة وكان يكتفى باليسير اذا عرف وجه مظلمة الرجل
ردها عليه ، ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله
على الناس (٢١) .

— وكتب عمر بن عبد العزيز كتابا الى عماله بتفسير الشك
لصالح المظلوم هذا نصه :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العمال :

أما بعد فاني كنت قد كتبت اليكم برد المظالم ، ثم كتبت اليكم
أن تحبسوها ، ثم كتبت اليكم بردها ، فاطلعت من بعض أهلها على
خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالا قد كنت رددتها ، ثم رأيت أن
أردها على سوء ظن بأهلها أحب الى من أن أحبسها حتى ينجلي الأمر من
غد على ما ينجلي عنه ، فاذا جاءك كتابي هذا فاردها على أهلها والسلام
عليك ، (٢٢) .

منع المظالم عن بيت المال قبل وقوعها :

لم تكتف سياسة عمر بن عبد العزيز برد مظالم وقعت بل كانت
تمنع نشوء ظلمات جديدة ، فكان يرفض طلبات الطامعين في الأموال
العامّة ولو كان من قرابته أو من أصدقائه وكان بذلك يضرب المثل لولائه
وعماله ويقدم القدوة لهم ليحذوا حذوه وحتى يسيروا على منواله .

— فقد جاء عمر أحد أصدقائه من بنى عمه وسأله مالا .

فقال له : ان كان مالك الذي أصبح عندك حلالا فهو كافيك وان
كان حراما فلا تزيدن اليه حراما .

ألا تخبرني أمحتاج أنت ؟

قال : لا .

قال : فعليك دين ؟

قال : لا .

(٢١) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم - تصحيح وتعليق أحمد عبيد .
ص ١٠٦ طبعة ثانية .
(٢٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

قال : أفتأمرني أن أعمد الى مال الله فاعطيكه من غير حاجة بك اليه ، وأدع فقراء المسلمين ، لو كنت غارما (مدينا) أديت غرمك (دينك) أو محتاجا أمرت لك بما يصلحك ، فعليك بمالك الذي عندك فكله (أنفقه) واتق الله وانظر أولا من أين جمعته ، وانظر لنفسك قبل أن ينظر اليك من ليس عنده هوادة ولا مراجعة (٢٣) .

— أتى عمر بن عبد العزيز عنبة بن سعيد أحد شيوخ بني أمية وقد أوتى قدرا كبيرا من الحلم والحكمة وكان عنبة صديقا حميما لعمر .

فقال له « يا أمير المؤمنين ان سليمان بن عبد الملك رحمه الله قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار ، حتى انتهيت الى ديوان الختم ولم يبق الا قبضها فتوفى على ذلك ، وأمر المؤمنين أولى باستتمام الضيعة عندي ، وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان » .

قال عمر : كم ذلك ؟

قال : عشرون ألف دينار يا أمير المؤمنين .

قال : عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين وأدفعها الى رجل واحد مالى الى ذلك من سبيل ، فرمى عنبة بالكتاب الذى فيه أمر سليمان .

فقال له عمر : لا عليك أن يكون معك فاحتفظ به فلعلة يأتى بعدى من هو أجراً على هذا المال منى فيأمر لك به .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ان قومك يسألونك أن تجرى عليهم ما كان قبلك يجرى عليهم .

قال عمر : والله ما هذا المال مالى وما الى ذلك من سبيل (٢٤) .

مراجعة الدواوين ورد المظالم للورثة :

وكتب عمر الى عماله بجرد الدواوين والنظر فى كل جور فعله من قبله فى حق مسلم أو معاهد فيرده اليه ، فان كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا يدفعه الى ورثته (٢٥) .

(٢٣) خامس الخلفاء الراشدين — عبد الرحمن الشراوى — جريدة الاهرام . عدد

١٢ ص ١٩٨٥/٨/٢١

(٢٤) مقتبسة من سيرة عمر — لابن عبد الحكم ص ٤٩

(٢٥) الموسوعة — عمر أبو النصر ص ١٩٩

حزم في سياسة رد المظالم :

استجاب المظلومون لسياسة عمر في رد المظالم وتقدموا اليه والى ولايته وعماله يطلبون رد ظلاماتهم التي وقع معظمها قبل عهده سواء كان ذلك من أقرباء الخليفة أو من أمراء بنى أمية أو من الولاة وعمال الدولة ولم يتردد عمر في رد المظالم .

فحين جرد أمراء بنى أمية من ثرواتهم وممتلكاتهم وردها الى بيت المال والى أربابها قال له بعض أصفياؤه : يا أمير المؤمنين ، ألا تغاف غوائل قومك ؟

فقال : أب يوم سوى يوم القيامة تخوفونني ؟ فكل خوف أقيسه دون يوم القيامة لا وقته (٢٦) .

وكان يقول « والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل الا بتقطيع أوصالي وأعضائي لأمضيت ذلك وأنا سعيد والله لو لبثت فيكم خمسين عاما ، ما أقمت فيكم الا ما أريد من الغدل (٢٧) » .

قضاء عدل يساند سياسة رد المظالم :

تساند سياسة رد المظالم والقضاء العادل في اشاعة العدل في ارجاء المجتمع ونصفة المظلومين ، لذا عنى عمر بن عبد العزيز بمرفق القضاء ، فكان يشترط في القاضى قبل تعيينه مواصفات معينة فقال « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالما قبل أن يستعمل ، مستشيرا لأهل العلم ، ملقيا للطمع ، ومنصفا للنصم ، ومقتديا بالأئمة » .

وكانت وظيفة القضاء قبل عصر عمر وفقا على العرب لا يتسامى اليها الموالي ، ولكن عمر بن عبد العزيز لا يفرق بين العربى والموالى ، بل جعل الأساس هو التقوى والصلاح وتوفر المواصفات التى حددها ، فشد أزر الولاة بقضاء عدول فمثلا جعل :

الحسن البصرى على قضاء البصرة .

وعامر الشعبى على قضاء الكوفة (٢٨) .

(٢٦ ، ٢٧) عبقريه الاسلام - عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٨) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ٦٦ ، ٦٨ .

نماذج من حالات رد المظالم :

وفيما يلي نماذج لبعض المظالم التي ردها عمر بن عبد العزيز :

عمر بن عبد العزيز يرد دارا آلت لأخيه بمصر :

بنى خارجة بن حذافة دارا غربي مسجد عمرو بن العاص فلما مات آلت الدار الى ابنه الربيع وكان يتيما في حجر عبد العزيز بن مروان . والد عمر ، فلما بلغ الربيع اشترى عبد العزيز بن مروان منه داره بمشرة آلاف دينار وملكها لابنه الأصمغ بن عبد العزيز ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ذهب الربيع اليه طالبا رد الدار فردها عليه بعد أن يدفع اليه الثمن ، فسأله الربيع أن يعطيه كراهها (ايجارها) .

فقال عمر : أما الكراء فلا ، الكراء بالضمان .

وبذلك لم يأمر بالكراء (٢٩) .

ويبدو أن حيثيات عمر في رد الدار أنه لا يجوز لولي اليتيم الشراء ممن يلي أمره استنادا لقول الله جل وعلا :

« وءاتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » . (النساء - ٣) .

وقوله سبحانه وتعالى :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » . (النساء - ٦) .

أما حيثياته في عدم دفع الكراء هو أن سساكن البيت يضمن سلامتها بما ينفقه عليها من صيانة وتجديد وهي نفقات تقابل قيمة الكراء .

استرداد الأهالي لحوائيتهم المقتضية :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز استرد لبيت المال حقوقه من الأمراء الأمويين فرد اليه ما نالوه من عطاء بالباطل وأموال عامة اغتصبوها بغير حق ولم تقف ما استرد منهم على ذلك فقط ، بل امتدت اجراءاته لاسترداد ما كانوا اغتصبوه ظلما من الناس ، فقد أتى عمر بن عبد العزيز

(٢٩) فتوح مصر واخبارها - مرجع سابق ص ٣٧ .

جماعة من أهل حمص ، فشكوا أن روح بن الوليد قد اغتصب منهم حوائيتهم ، فدعاه عمر والمظلومون حاضرون وأمره أن يرد الحوائيت عليهم .

قال روح : هي لي بسجل الوليد .

قال عمر في حسم قاطع : وما يغني عنك سجل الوليد يا ابن الوليد ، ولحوانيت حوائيتهم قد قامت لهم البينة عليها ؟ خل لهم حوائيتهم .

تظاهر روح بالموافقة وقام ، وقام معه القوم المتظلمون ، فلمسا خرجوا من عند الخليفة توعدهم روح ، فرجع شيخهم مسرعا وقال : يا أمير المؤمنين هو والله يتوعدنا .

فأمر عمر صاحب شرطته أن يخرج الى روح فينذره أن يسلم ما اغتصب والا أنزل به عقاب المفسدين في الأرض ، فرد حوائيت حمص على أصحابها (٣٠) .

استرداد أرض للمي من الأمراء الأمويين :

أثناء جلوس عمر بن عبد العزيز لرد المظالم قام اليه رجل من أهل حمص .

فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله .
فقال عمر : ما ذاك ؟

قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي

وكان عدد من رؤوس الناس وفيهم العباس بمجلس عمر .

فسأله عمر : يا عباس ماذا تقول ؟

قال : نعم أقطعنيها أبي أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا .

فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟

قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى .

فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم

فاردد عليه ضيعته يا عباس (٣٠) .

(٣٠) سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن عبد الحكم - علق عليها أحمد عبيد - المعة

فردها عليه صاغرا (٣١) .

رد حقوق أهل دير من ذوى قرى الخليفة :

- خاصم مسلمة بن عبد الملك أهل دير اسحاق فشكوه الى عمر .
- فجاء مسلمة وجلس وهم وقوف ٠٠٠ فانتفض عمر غضبا .
- فقال لمسلمة وهو ابن عمه وصهره : لا تجلس وخصماؤك بين يدي .

وقضى عمر لأهل دير اسحاق بحقهم (٣٢) .

وبذلك عدل عمر بن عبد العزيز ومنع الظلم الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » (٣٣) .

رد مظالم الحجاج :

وكان مما سرت عليه سياسة رد المظالم ، رد المظالم المالية للحجاج الثقفى فقد أخرج عمر أهل بيت الحجاج من العراق ، ونزع منهم ما اغتصبوه من غيرهم فرد الأموال المقتصبة الى أصحابها ، أما ما أغدقه عليهم الحجاج من أموال فردته الى بيت مال العراق ، وقد سمع أن عامله على العراق لم يتخلص بعد من تقاليد وأوضاع سيئة ومنها الأوضاع المالية ، فكتب اليه :

« بلغنى أنك تستن بسنن الحجاج ، فلا تستن بسننه ، فانه كان يصلى الصلاة بغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لا سوى ذلك أضيع (٣٤) » .

رد أموال اغتصبها والى :

خرج عمر من مكة بعد أن حج وخرج معه عامله على مكة وبعض أعيانها ليودعوه ، وفى الطريق أتاه رجل .

(٣١) خامس الراشدين - عبد الرحمن الشرفاوى - عدد الاهرام ١٩٨٥/٨/٢١ .

(٣٢) سيرة عمر - ابن الجوزى - ص ٧٤ .

(٣٣) الخراج لأبى يوسف - ص ١٢٥ .

(٣٤) خامس الخلفاء الراشدين - مقال للأستاذ / عبد الرحمن الشرفاوى -

عدد الاهرام فى ١٩٨٥/٨/٢٨ ص ١٢ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ظلمت ولا أستطيع أن أتكلم .

فقال عمر للرجل : ان كنت صادقاً فتكلم ولا تخشى غير الله .

قال الرجل : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، ان هذا - وأشار الى عامل تمر على مكة - سامني بما أملك وأعطاني به ستة آلاف درهم . فأبيت أن أبيع ، فاستعداه على غريم لي فحبسني فلم يخرجني حتى يعتة بنصف ما فرض على أنفسا ، بثلاثة آلاف بدلا من ستة آلاف . واستحلفني بالطلاق أن خاصمته أبدا .

فنظر عمر الى عامله على مكة ثم مس بالخيزران علامة ظهرت من كثرة السجود ما بين عينيه . وصاح مؤنبا : هذه غرتني منك .

ثم قال للرجل : اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنت عليك (٣٥) .

رد اموال من بيت المال لرفع ظلم :

وكانت المظالم ترد من كل من ظلم حتى من بيت المال نفسه .

فقد جاء رجل من أهل ازربيجان وقام بين يدي عمر بن عبد العزيز .

وقال : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غدا بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلاق ، من يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب .

فبكى عمر بكاء شديدا .

ثم قال له : ما حاجتك ؟

فقال : ان عاملك بأذربيجان عدا على فأخذ مني اثنتي عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال .

فقال عمر : اكتبوا له الساعة الى عاملها فليردها عليه ، ثم أرسله مع البريد (٣٦) .

رد أرض اغتصبها عامل بالدولة :

وجاء عمر رجل يشكو عادلا له انتزع منه أرضا فأمر عمر بالتحقيق في الأمر ، فلما تبين له أن عامله ظلم الرجل ، عزل عامله ورد

(٣٥) خامس الخلفاء الراشدين - مقال للاستاذ / عبد الرحمن الشرفاوى - عدد الأهرام في ١٩٨٥/٨/٢٨ ص ١٢ .

(٣٦) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق ص ٧٠ .

الأرض الى صاحبها ، وقبل أن يرحل الرجل . سأل عمر : كم أنفقت .
فى مجيئك الى ؟

قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، تسألنى عن نفقتى وأنت قد رددت .
على أرضى وهى خير من مائة ألف .

قال عمر : انما رددت عليك حقه فأخبرنى كم أنفقت ؟

قال الرجل : ما أدرى يا أمير المؤمنين .

قال عمر : احزره .

قال الرجل : ستون درهما .

فأمر عمر له بها من بيت المال فأخذها الرجل وانصرف شاكرا .
فناداه عمر فرجع .

فقال له : خذ هذه خمسة دراهم من مالى ، فكل بها لحما حتى .
ترجع الى أهلك (٣٧) .

رد الكنائس لأهل اللمة :

ولم يقتصر رد عمر للمظالم على المسلمين وحدهم ، بل امتدت مظلة
عدالته وسماحته لغيرهم من أهل الكتاب ذلك أن عمر يعرف أنه اذا أدى
أهل الكتاب الجزية أصبحوا فى ذمة الدولة الاسلامية تمكنهم من اقامة
شعائرهم ولا تعتدى على معابدهم وترعاهم برعاية عدالة الاسلام . ومن
نماذج عدالة عمر ما أوردناه عن عزمه على هدم جزء من المسجد الأموى
أقيم على أرض كان لأهل الكتاب عليها كنيسة لولا قبولهم بالاتفاق مع
علماء المسلمين التنازل عن ظلامتهم مقابل تسليمهم جميع كنائس
الغوطة التى أخذت منهم وصارت فى أيدي المسلمين .

ومن ذلك أيضا ما قاله البلاذرى .

قال ضمرة عن « على بن أبى حملة » أنه قال :

خاصمنا عجم أهل دمشق فى كنيسة كان فلان قد قطعها لبنى نصر
فأخرجنا عمر منها وردّها الى النصارى (٣٨) .

(٣٧) سيرة عمر - ابن عبد الحكم ص ١٢٥ .

(٣٨) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - ص ٧٦ نقلا عن عمر أبو النصر
عن البلاذرى .

رد ظلامة عامل من والى :

ولم يكتف عمر برد الظلمات المالية بل امتدت ازالته للمظالم ورفع الظلم عن وقع عليهم الى مظلمات عماله فقد عزل واليه مسلمة بن عبد الملك عامله العريان بن الهيثم وكان على شرطة الكوفة .

فتقدم العريان الى عمر رافعا ظلامته وشكواه .

فكتب عمر الى مسلمة :

« ان من حفظ أنعم الله رعاية كبار السن .. ومن اظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنوب .. ومن تمام السؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع .. وقد كنت أودعت (العريان) نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك .. لقد غصبت عليه حتى وليته .. ثم عزلته أنت وخليته .. واني شفيعه ، فأحب أن تجعل له من قلبك نصيبا ولا تخرجه من حسن رأيك » (٣٩) .

رد المظالم عن الحيوان :

وكان من رحمة عمر بن عبد العزيز أن رد المظالم عن الحيوانات نفسها فأمر أن لا تحمل ما لا تطيق وان لا تنخس الدواب حتى تسرع في المسير .

فقد كتب يوما كتابا الى « حيان بن شريح » عامله تلى مصر يقول فيه :

« بلغنى أن الجمالين يحملون الابل ما لا تطيق .. فاذا أتاك كتابي هذا فامنع الناس من أن يحملوا البعير أكثر من ستمائة رطل » (٤٠) .

ورأى في بعض جولاته اناسا يحملون مقارع (عصيا) وركبت في أسفلها مسامير (لنخس) الدواب حتى تسرع في المسير فأصدر أوامره فورا بتحريم استخدام مثل هذه العصي * (٤١)

وأرسل اليه واليه على الأردن بسلتين كبيرتين من رطب الأردن كهدية فلم يقبلها .

وسأل : علام جئ بهما ؟

قيل : على دواب البريد .

(٣٩) المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٨ .

(٤٠ ، ٤١) سيرة عمر - ابن عبد الحكم - ص ١٣٦ .

قال : لقد حملتموها فوق ما تطيق ٠٠ اخرجوا السلتين فبيعهما
واجعلوها ثمنها فى علف دواب البريد ٠ (٤٢)

وان كانت هذه نماذج تفصح عن رحمة عمر ، الا انها من ناحية
اخرى تحافظ على الثروة الحيوانية للبلاد وتصونها من الاسـتهلاك
السريع نتيجة سوء الاستعمال ٠

وعمر بن عبد العزيز فى ذلك كان مقتديا بالرسول صلى الله وسلم
الذى ارسله الله رحمة للعالمين (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (الانبياء
- ١٠٧) ، فمن نماذج رحمته بالحيوان انه نهى عن وسم الحيوان فى
وجهه ، وأمر عائشة بالرفق بالحيوان وكانت معه فى سفر على بعير
صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا ، كما أمر أن تعطى الدواب حقها
فى المنازل حين ركوبها ولعن من مثل بالحيوان ونهى عن التحريش بين
البهائم ، وفى مسيرة من المدينة الى مكة عام الفتح رأى على ماء فى الطريق
كلبة تهر على أولادها وهن حولها يرضعن منها فأمر رجلا من أصحابه
أن يقوم حذاءها حتى لا يعرض أحد من الجيش لها ولا لجرائها (٤٣) ٠

سياسة رد المظالم اشاعت الاستقرار :

يسجل التاريخ أن الخوارج كانوا قوما يلحون فى الخصومة وكان
لبعضهم آراء وعقائد لا يزيها قرآن ولا سنة واستخدموا السلاح فى
فرض آرائهم ، ولم يغمدوا سيوفهم يوما واحدا منذ عهد معاوية فأغمدوها
فى عهد عمر بن عبد العزيز وقرروا ألا يثيروا تمردا ولا شغباً ما دام عمر
خليفة ، وكان ذلك من عوامل استقرار المجتمع ، فقد أثر عمر أسلوب
المناقشة والاقناع فكان يجتمع بهم ويناقش آراءهم بمنطق سليم وحجج
قوية ورزق من رضى منهم وكساهم من بيت المال ، وأمر لهم بعطاء ٠ وقد
كان من عوامل اغماد الخوارج للسلاح سيرة عمر وردده للمظالم ٠

فقد قيل :

« فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ما رد من المظالم ٠٠ اجتمعوا
وقالوا : ما ينبغى أن نقاتل مثل هذا الرجل » (٤٤) ٠

(٤٢) سيرة عمر - ابن الجوزى - ص ١٦٠ ٠

(٤٣) من أخلاق النبی - نالیف د / أحمد محمد الحوفى ص ١٩٧ - ٢٠٠ وبطل

الابطال - بقلم عبد الرحمن عزام - ص ٧٠ ، ٧١ ٠

(٤٤) سيرة عمر - ابن الجوزى - ص ٥٤ ، سيرة عمر لابن عبد الحكم ٠ ص ١٠٨ -

ومما ساهم في الاستقرار أيضا ما أمر به عمر من الاقلاع عن المظالم التي كانت تقع على أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومنع سب علي على المنابر واعطائهم العطاء المستحق لهم وكان مما أمر به عندما ولى الخلافة الاقلاع عن لعن وسب علي وجعل مكانه :

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . (٤٥)

وبذلك تفادى عمر بن عبد العزيز نقد أم سلمة رضي الله عنهما للعن الخلفاء الأمويين لعل بن أبي طالب ، حينما كتبت الى معاوية ابن ابي سفيان تقول :

« انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون عليا ابن أبي طالب ومن أحبه . وأنى أشهد ان الله أحبه ورسوله » (٤٦) .

(٤٥) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ١٤٩ .

(٤٦) المرجع السابق ص ١٤٦ - نقلا عن عمر بن عبد العزيز - احمد زكي صفوت .

ص ٦٥ .

الباب الثامن

انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز
بعد وفاته
وشهادات له ولسياساته

الفصل الاول

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس سياسته المالية

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس الاصلاح المالى بعده :

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة اشهر واربعة ايام، فقد توفي الخميس ليلال بقين من رجب سنة احدى ومائة هجرية وهو ابن تسع وثلاثين وخمسة اشهر (١) ، وقيل أن سبب وفاته السمل ، وقيل أن السبب هو شدة خوفه من الله ، وقيل أنه مات مسموما باسم دسه مولى له نظير الف دينار من معارضى سياسته من أمراء بنى أهية ، ولما اكتشف عمر بن عبد العزيز ذلك أمر بوضع الألف دينار بيت مال المسلمين وترك الجاني ، ومات الخليفة بدير سمعان ودفن بها (٢) .

وبموت عمر بن عبد العزيز ، انتكست سياسة الاصلاح المالى التى قادها ، وعادت تجاوزات ومخالفات المال العام تعتري عناصر السياسة المالية للدولة فى عهود بعض من تولى بعده .

اسباب انتكاس سياسة عمر بن عبد العزيز للاصلاح المالى :

رأينا أن عمر بن عبد العزيز طلب سياسة عمر بن الخطاب ليقتدى بها وأنه طبق هذه السياسة فى النواحي الخاصة بالمال العام على النحو الذى أوضحناه بعد أن استقناها من مصدرها الأساسيين وهما القرآن والسنة وظلت هذه السياسة منفذة فى حياته ، ولكنه لما مات انتكست للأسباب التالية .

(١) الطبرى جزء ٦ مرجع سابق ص ٥٦٥ .

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد الشرباصى ص ٩٨ .

نبذ أمراء بنى أمية سياسة عمر بن عبد العزيز من بعده :

كانت صدارة الامة الاسلامية فى عهد بنى أمية لأمرأ بنى أمية ، وكان من مصلحتهم المادية نبذ سياسة عمر بن عبد العزيز التى جردتهم من مزاياهم المالية المتمثلة فى التميز فى العطاء والاغتراف من بيت المال. كما يشاءون والتى أعادت لأبناء على بن أبى طالب ومن شايعهم حقوقهم المشروعة فى عطاء بيت المال وكانوا يخشونهم على سلطانهم ، كما أنهم كانوا رافضين لسياسة عمر بتولى الاكفاء من الموالى الوظائف العامة ويعتبرون ذلك نبلا من تعاليهم وسلبا لتمييزهم على الموالى .

عودة الصراع بين الأحزاب والحزب الحاكم :

سلب أمراء بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز المعارضين حقوقهم المالية التى كان قد أعادها اليهم وكانت المعارضة للحكم الأموى تتمثل فى الأحزاب والطوائف التالية :

حزب الشيعة : يرى أن على بن أبى طالب وأولاده من بعده احق الناس بالخلافة .

حزب الخوارج : وأعضاؤه الذين خرجوا من جيش على وأنصاره وأعلنوا عصيانهم له وكانوا يستحلون دماء الأمويين والعلويين ويرونهم خارجين على الدين ويرون أن الخلافة حق لكل مسلم لا فرق بين قرشى وغير قرشى .

حزب الزبيريين : وينادى أعضاؤه بالخلافة لعبد الله بن الزبير .

طائفة الموالى : لم تظهر كحزب ولكنهم كانوا ينضمون للأحزاب المعارضة (٣) .

طائفة القدرية : كانوا ينكرون قدر الله تعالى ويغالون فى اثبات قدرة الانسان (٤) .

وقد أدى سلب الحقوق المالية للمعارضة الى اتخاذ العلاقة بين أمراء بنى أمية والأحزاب شكل الصراع الذى مولته الدولة الأموية وبذلك عادت للمال العام احدى نكساته التى كانت له قبل عمر بن عبد العزيز وهى اتفاق جزء منه على قتال المسلمين بعضهم بعضا .

(٣) محاضرات فى تاريخ العالم الاسلامى - د. محمد الطيب النجار ص ٨٥ . ٨٦ -

(٤) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ١٥٦ .

قصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز :

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كما ذكرنا سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام وهي مدة قصيرة لا تكفى لتأصيل السياسة المالية الإصلاحية واستقرار مبادئها واعتياد الممولين عليها ، ولقرآن الكريم يوضح ذلك فى السياسة المالية التى اقترحها يوسف الصديق عليه السلام فقد استغرق تنفيذها خمسة عشر عاما كما يبين من الآيات التالية :

« قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغات الناس وفيه يعصرون » (يوسف ٤٧ - ٤٩) .

علم حماس البعض لاستهوار سياسة عمر بن عبد العزيز المالية :

لم يكن الأمراء الامويين وحاشيتهم وحدهم الرافضين لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية ، بل كان بجانبهم بعض المنتفعين من بيت المال بغير حق فكانوا يتقدمون لعمر بن عبد العزيز يطالبون بمزايا قررها لهم الخليفة الأموى السابق فيرفضها بعد أن يوضح لهم عدم أحقيتهم لما يطلبون من اموال خصوصا وأنهم كانوا من الأغنياء ، وقد أوردنا نموذجا لبعضهم فيها سبق (٥) ومن هؤلاء ايضا الشعراء الذين اعتادوا الحصول من بيت المال على منح وعطايا كبيرة بناء على أوامر من حكام بنى أمية - السابقين لعمر بن عبد العزيز بعد أن يلقوا قصائد الشعر فى مدحهم بغير حق نفاقا لهم ابتغاء حصولهم على الأموال العامة سحتا وبهتاناً . كما أن الظالمين الذين طبقت عليهم سياسة رد المظالم كانت صدورهم موغرة ضد هذه السياسة وضد واضعها يتمنون أفولها ونهاية واضعها ، وانضم الى هؤلاء فى كراهيتهم لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية الولاة والعمال الظلمة الذين فصلهم عمر فى بدء ولايته لظلاماتهم ومنها تعسفهم فى الجباية وتعذيبهم للأهالى والسير بسيرة الحجاج الثقفى فى الولاية ، وكذلك الولاة والعمال الذين كان أمير المؤمنين يثق فيهم ويوليهم الولايات والأعمال العامة ثم يكتشف من تتبعهم أنه أحسن الظن واغتر بهم وأنهم غير جديرين بالثقة ولا بحسن الظن لما يرتكبونه من الغشم فى الولاية

(٥) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٦٥ .

والسوء فى الادارة والجور فى الجباية والظلم فى الحقوق . ومما ساهم فى انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته أن بقيه الرعية من المواليين للبيت الأموى من غير الأحزاب الأخرى والمؤيدين للسياسة المالية لعمر بن عبد العزيز صمتت عندما تبدلت سياسته بعد وفاته ، فلم يذكر التاريخ أن رأيا جماعيا طالب بالتمسك بها وعدم الانحراف عنها .

فرض الخليفة الأموى بعد عمر :

جعل سليمان بن عبد الملك يزيد بن عبد الملك خليفة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز ، ولذلك لم يكن لعمر بن عبد العزيز رأى فيما يلى بعده ، ومن المعروف أن الحكم الأموى جعل الخلافة سلطة مطلقة مع تطبيق مبدأ الوراثة المباشرة فى الخلافة فى أول الأمر بمعنى أن يخلف الابن أباه ثم الوراثة المطلقة بمعنى أن يتولى الخلافة شخص آخر من أفراد الأسرة الحاكمة بشرط أن يكون من أبناء البيت الأموى .

وأغلب الظن لو ترك الخيار لعمر بن عبد العزيز فى أمر الخلافة بعده ، لطبق إحدى طرق ثلاث :

لصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قبض ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر الصديق رضى الله عنه .

أو لصنع كما صنع أبو بكر فاختار عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى قال عنه عثمان بن عفان رضى الله عنه « لن يأتى الزمان بمثل عمر » .

أو لصنع كما صنع عمر بن الخطاب فجعل الأمر شورى فى ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده .

وتطبيق طريقة من الطرق الثلاث كان سيؤدى لاختيار خليفة يتسم بالصلاحيية فيبقى على سياسة عمر بن عبد العزيز التى اتسمت هى الأخرى بالصلاحيية وقامت على الإصلاح .

وتوضح فيما يلى نماذج من مظاهر انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته فى عهود بعض من تولى بعده .

خلفاء الدولة الأموية بعد عمر بن عبد العزيز :

ولى إمارة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز فى عصر الدولة الأموية :

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير - تعليق أحمد الشرباصى ص ٩٨ .

يزيد الثاني ١٠١ - ١٠٥ هجرية

هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥ هجرية

الوليد الثاني ١٢٥ - ١٢٦ هجرية

يزيد الثالث ١٢٦ - هجرية

ابراهيم ١٢٦ - ١٢٧ هجرية

مروان بن محمد ١٢٧ - ١٣٢ هجرية

وبموت عمر بن عبد العزيز انتكست سياسة الاصلاح المالى التى فادها وعادت التجاوزات ومخالفات المال العام تعتري عناصر السياسة المالية للدولة الاموية كما يبين من النماذج التالية .

نماذج مخالفات الايرادات العامة :

غلول من فئ المسلمين :-

فى عهد يزيد بن عبد الملك استعمل سعيد خدينة على خراسان فرفع اليه ان ثمانية من العمال عندهم أموال قد اختانوها من فئ المسلمين فحبسهم . (٧)

استيلاء على الخراج :-

- لما تولى سعيد خزينة خراسان رفع اليه ان عمال عبد الرحمن ابن عبد الله القشيري عندهم أموال من الخراج فحبسهم .

فكلمة فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري .

فقال له سعيد : قد رفع عليهم أن عندهم أموالا من الخراج .

قال : فأنا اضمنه .

فضمن عنهم سبعمائة ألف .

ثم لم يأخذ بها . (٨)

- ولى يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان سنة اثنتين ومائة ولكن ما لبث أن عزله لأنه لم يرفع اليه من الخراج شيئا . (٩)

(٧ ، ٨) المرجع السابق ص ٦٠٦ .

(٩) المرجع السابق ص ٦٠٥ .

اهدار أساس في الجزية : -

- في سنة اثنتين ومائة قتل يزيد بن أبي مسلم من أهل الذمة فوضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فتأمروا عليه وقتلوه . (١٠)

- في سنة ١٢١ هجرية في عهد هشام بن عبد الملك خطب والي خراسان نصر بن سيار في بلاد ماوراء النهر فقال :

« اني قد استعملت عليكم منصور بن عمر وأمرته بالعدل فيكم ، فأيا رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك الى منصور بن عمر يحوله عن المسلم الى المشترك » .

فما كانت الجمعة الثانية حتى اتاه ثمانون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد أقيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم والقاء عن المسلمين .

فهذا النص يوضح لنا أن الموالى كانوا قبيل سنة ١٢١ هـ في بلاد ما وراء النهر يدفعون الجزية وأن الموالى الجديد رفع عنهم ذلك وأن الخراج كان يوضع في غير موضعه . (١١)

- في سنة ١٢٣ هـ قامت ثورة من البربر في الشمال الأفريقي لأن حاكم طنجة قد وضع الجزية على من أسلم منهم (١٢) .

- ويعلق أحد الكتاب على ذلك فيقول :

« نستطيع ان نستنتج أن الأمويين بعد عصر عمر بن عبد العزيز قد رجعوا في سلوكهم مع الموالى فيما يتعلق بالجزية والخراج الى سياسة الحجاج ، أو على الأقل قد حاولوا الرجوع اليها ، وأنهم قد استطاعوا أن ينفذوها في بعض الجهات بينما استعصت عليهم في جهات أخرى وكانت سببا لأضرار كثيرة وثورات عنيفة » (١٣) .

(١٠) المرجع السابق ص ٦١٧ .

(١١) (١٢) محاضرات في تاريخ العالم الاسلامي - بقلم الدكتور محمد الطيب النجار

- طبعة معهد الدراسات الاسلامية - طبعة ١٩٨٦ م ص ١٦٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ١٦٣ .

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الانفاق العام على ترف الأمراء :

— يروي المؤرخون أن يزيد بن عبد الملك كان مولعا بالطرب محبا للهو مشغوبا بالجسور والقيان ، وهناك أخبار كثيرة عن جاريته المفضلتين حباة وسلامة ومدى حبه لهما وهو حب أفقده عقله حتى أنه لما ماتت سلامة امتنع عن دفنها ثلاثة أيام حتى انتنت ولامه الناس فأمر بدفنها ولم يمكث بعدها إلا أياما معدودة ثم قتله الحزن عليها . (١٤)

— سار هشام بن عبد الملك في مستهل خلافته على نهج عمر ابن عبد العزيز فاستبشرت النفوس وازدهرت الآمال وتوقع الناس على يديه الخير الكثير ولكن بطانة السوء التي التفت حوله صرفته عن هذا السبيل القويم . (١٥)

انفاق على الحاشية والشعراء والأنصار :

— ولم يلبث الوليد (الثاني) أن أتى على ما في خزائن هشام من أموال مدخرة فبددها ذات اليمين وذات الشمال وأسرف في منح الشعراء واعطاء الطالبين ومع ذلك كان الأعم لأغلب من الشعب ينتقدون تصرفاته وينددون بأسرافه في اللهو والشراب وسماح القيان . (١٦)

زيادة الانفاق العام على الموالين واتقاص العاملين :

— يزيد الثالث وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك دان لليمانيه في نوليه الخلافة ولذا قربهم وأغدق عليهم الأموال واضطر الى انقاص إعطيات الجند لنضوب موارد الخزانة فاستاءوا منه وسموه « الناقص » (١٧) .

انفاق عام على قتال المسلمين :

كان للسياسة العادلة التي انتهجها عمر بن عبد العزيز أثرها في تسكين الحرب بين الخوارج . وجاء الخلفاء الذين من بعده فلم ينهجوا نهجه ، فقام الخوارج بالثورة في عهد يزيد بن عبد الملك بقيادة زعيمهم شوذب

(١٤) المرجع السابق — نقلا عن ابن الاثير — ص ٨٠ .

(١٥) المرجع السابق ص ٨٠ .

(١٦) المرجع السابق ص ٨٢ .

(١٧) المرجع السابق ص ٨٣ .

بعنه ثم قاموا بالنورة فى عهد هشام بن عبد الملك بقيادة زعيمهم البهلول بن عمر الشيبانى وقاموا بالثورة كذلك فى عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد (١٨) • ولقد كال الأمويون لهؤلاء الخوارج ضربات قوية كلفت بيت المال أموالا طائلة كان الأولى أن توجه لمصلحة الاسلام والمسلمين •

كما أن الشيعة بدأت فى ١٢١ هـ بقيادة زيد بن علي ثم من بعده ابنه يحيى الكفاح الرهيب والنضال المرير مع خلفاء بنى أمية مما اضطر الدولة الأموية الى تجريد الجيوش لمحاربة الشيعة وهزيمتها وقتل قائدها زيد بن علي وابنه وهذا نموذج آخر يوضح كيف أن شطرا من الأموال العامة كان يوجه لقتل المسلمين بعضهم بعضا •

مخالفات فى الادارة المالية

اعادة والى ظالم : -

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز عزل أسامة بن زيد التنوخي عن خراج مصر لظلمه ومع ذلك لما تولى يزيد بن عبد الملك رده الى عمله • (١٩)

ولاية للقراية :

- أوضحنا أن يزيد بن عبد الملك ولى مسلمة بن عبد الملك الكوفة والبصرة وخراسان وكان شقيقه فذهب أموال الخراج •

- واستعمل مسلمة سعيد حذينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته فقد كان سعيد متزوجا بابنة مسلمة • (٢٠)

تعيين مرشح قتلة الوالى :

أوضحنا سبب قتل يزيد بن مسلم بأفريقية وهو فرضه الجزية على من أسلم ، وقد ولى من قتلوه محمد بن يزيد مولى الأنصار بدله وأرسلوا بذلك للخليفة فأقر من عينوه (٢١) •

(١٨) المرجع السابق ص ١٠٠ •

(١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - تعليق أحمد عبيد ص ٣٢ •

(٢٠) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٦٠٥ •

(٢١) المرجع السابق ص ٦١٧ •

انتكاس السياسة المالية ساهم في نهاية الدولة الأموية :

ساهمت مخالفات وتجاوزات المال العام بعد عمر بن عبد العزيز مع غيرها من الأسباب في نهاية عهد الأمويين وزوال حكمهم .

فقد غلت بعض الأموال العامة ، والله جل وعلا نهى عن الغلول فقال :

« وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة »
(آل عمران / من ١٦١) .

وقد فرضت الجزية في بعض البلاد على من أسلم ، والله جل وعلا أنزل نظاما للجزية فجعلها على من لم يسلم من أهل الكتاب وبذلك حكم بعض الولاة بغير ما أنزل الله . والله سبحانه وتعالى قال :

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (المائدة/من٤٧) .
وقد أترف بعض الأمراء وأقاربهم وحاشيتهم والموالين لهم من الأموال العامة والله جل وعلا حذر من الترف والفسوق وأوضح أن العقوبة هي التدمير ، فقال سبحانه وتعالى :

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء / ١٦) .

ووجهت الأموال العامة لقتال المسلمين ، وكان من الممكن تدارك ذلك ووقف القتال كما فعل عمر بن عبد العزيز ، وتطبيق ما أمر به الله جل وعلا في قوله :

« وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن جاءت فأصلحوا بينهما بالعذل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » (الحجرات / ٩) .

وحظي الأقارب بمناصب الدولة فانتهب بعضهم الأموال العامة وأساءوا إدارتها والشأن أن يتولى الأموال العامة الأمناء لا الأقرباء فالرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا لم يعين ذوى قرباه في المناصب ما عدا علي بن أبي طالب لتقواه وعلمه وحكمته ، والله أمر بإبعاد من لا يحسنون إدارة الأموال عن العمل بها ، فقال جل وعلا .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » (النساء / من ٥) .

والسفهاء هم الجهال بموضع النفقة وقيمة الأموال وسيئو التصرف عموما .

ومن يدري فلو سار خلفاء بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز على نهجه ، لثبت الله حكمهم ولأطال عهدهم ، ولكن بعضهم نكث ومن ينكث فانما ينكث على نفسه ، والله الأمر من قبل ومن بعد •

على أنه بالرغم من انعكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته بسبب عدم تطبيق بعض أمراء بنى أمية للأسس التي قامت عليها إلا أن هذه الأسس تعتبر نهجا تنهجه الماليات العسامة الحالية للإصلاح وسنبين ذلك فيما يلي •

الفصل الثانى

شهادات بتقييم عمر بن عبد العزيز وسياسته

توافق اصلاحات المالىات العامة الحالية مع اصلاح عمر بن عبد العزيز :

يعتري المالىات العامة للدول حالياً وجوه خلل تمثلت فى زيادة النفقاب العامة لها عن الموارد العامة وتفاقم العجز المالى وتزايد سنة بعد أخرى ومحاولة تغطية العجز المالى بقروض ولدت فوائدها وأقساطها أعباء ثقيلة على الموازنات العامة للدول ، ومنها من غطى العجز باصدار المزيد من أوراق نقد بدون غطاء ، ومنها من جمع فى تغطية العجز بين الاقتراض واصدار النقد المكشوف والكثير من الدول خصوصاً النامية منها استخدمت حيلة القروض والنقد المصدر فى تمويل نفقات عامة استهلاكية غير انتاجية ، فتولدت موجات تضخمية رفعت الأسعار وهبطت بالقوة الشرائية للنقد فعانى من ذلك أصحاب الدخول المحدودة بسبب عجز دخولهم عن اشباع حاجياتهم من السلع التى توالى ارتفاع أسعارها ، وأدى ارتفاع الأسعار الى ارتفاع تكاليف الخدمات العامة للشعب فأدتها الحكومات ناقصة غير كاملة وهابط مستوى أدائها ، ومما ساهم فى ذلك قلة الموارد وعدم كفاءة جهاز الدولة (١) .

ومما اقترحه المتخصصون لاصلاح المالىات العامة الحالية للدول .
بصفة عامة ما يلى :

— ربط الاصلاح المالى باصلاح اقتصادى .

— اصلاح الموارد العامة بمراجعة نظمها وتحقيق عدالتها وتنشيط حصيلتها ورفع كفاءة ادارتها .

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع لكتابنا الموازنة العامة للدولة — طبعة ثالثة — اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب .

– منع الاسراف فى النفقات العامة وترشيدها وترتيبها طبقاً
لأولويات تحقق أكبر نفع منها •

– اصلاح نظم الادارة المالية برفع كفاءة العاملين ومتابعة أعمالهم
واصدار التعليمات المفسرة للقوانين المالية وتطبيق نظم للحوافز •

– معالجة أية مظالم مالية وقعت قبل الإصلاح •

– الحرزم فى تطبيق الإصلاح وايجاد القدوة العامة التى تساهم فى
نجاحه •

– التوسع فى كفاءة الطبقات ذات الدخل المحدود • •

وهذه الأسس هى نفس الأسس التى قام عليها اصلاح السياسة
المالية فى عهد عمر بن عبد العزيز فى القرن الأول الهجرى وبذلك يمكن
الاقتباس من اصلاحاته وتطويرها بما يلائم أوضاع المالية العامة لكل دولة

تنويه جهاعى لسياسة عمر بن عبد العزيز :

نوه الخلفاء والملوك والأئمة والكتّاب والشعراء عن مبادئه ومنجزاته
العظيمة التى تمت فى مدة خلافته القصيرة فكانت شهادات صدق باقية
على مر العصور ، فقالوا :

عمر بن عبد العزيز أحد الخلفاء الراشدين :

قال عباد السماك – وكان يجالس سفيان الثورى

سمعت الثورى يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى
وعمر بن عبد العزيز وهكذا روى عن أبى بكر بن عياش والشافعى وغير
واحد (٢) •

عمر بن عبد العزيز أحد أئمة الهدى :

ذكر ابن خاقان لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثورى •

أنه قال : أئمة الهدى أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن
عبد العزيز •

فقال له ابن حنبل : هكذا هو (٣) •

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى تعليق وتقديم أحمد الشرباصى ص ٧٠ •

(٣) المرجع السابق هامش ص ٤٠ •

عمر بن عبد العزيز القام الدين :

— روى الامام أحمد بن حنبل عن الرسول صلى الله عليه وسلم:
المديث التالى :

« ان الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم
لها أمر دينها » .

وأضاف الامام أحمد : فكان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز
وأرجو أن يكون على رأس المائة الثانية الشافعى رضى الله عنه (٤) .

— قال النووى عن عمر بن عبد العزيز .

وأجمعوا على جلالته وفضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه
وعدله وشفقته على المسلمين وحسن سيرته فيهم ، وبذل وسعه فى الاجتهاد
فى طاعة الله وحرصه على اتباع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم
والاقتداء بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وهو أحد الخلفاء الراشدين.
وفضائله أكثر من أن تحصر (٥) .

— وقال الشاعر جرير يرى عمر بن عبد العزيز ويشهد أنه سار
بأمر الله فيما حمل به :

يتعنى النعاعة أمير المؤمنين لنا	يا خير من حج البيت واعتصمرا
حملت أمرا عظيما فاضطلعت به	وسرت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس كاسفة ليست بطالعة	تبكى عليك نجوم الليل والقمر (٦)

قول عمر بن عبد العزيز حجة :

قال الامام أحمد بن حنبل — لا أدري قول أحد من التابعين حجة الا
قول عمر بن عبد العزيز (٧)

زهد عمر بن عبد العزيز أبكى هارون الرشيد :

كان الاقتداء بعمر بن عبد العزيز درساً ألقاه الفضيل بن عياض.
واعظ الرشيد عليه ، فقال له بين الذى قاله :

(٤) الامام الشافعى — تأليف الاستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣٨٠ طبعة المجلس الأعلى
للتشئون الاسلامية .

(٥) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق الشريانى — مرجع سابق هامش ص ٤١ .

(٦) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٧) المرجع السابق ص ٤٠ وهامشها .

ان عمر بن عبد العزيز يوم ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة .

وقال لهم : انى ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على .

فعد الخلافة بلاء وعددها أنت نعمه .

وقال سالم : ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا ، وليكن افطارك على الموت .

وقال محمد : وليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم لك أخا واصغريهم لك ولدا ، فبر أباك وأرحم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء : أحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك .

وبكى الرشيد حتى غشى عليه .

فقال الفضيل بن الربيع حاجب الرشيد : ارفق بأمر المؤمنين .

قال الفضيل : يا ابن الربيع ، قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا .

فلما أفاق الرشيد قال : زدنى .

قال الفضيل : بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شبكا اليه السرف ، فكتب اليه عمر يقول « يا أخى اذكر سهر أهل النار فى النار وخلود عباد الله فيها » . فلما قرأ كتابه طوف فى البلاد حتى قدم عليه وقال : « ما أقدمك ؟ » قال : خلعت قلبى بكتابك ، لا وليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله » .

وبكى الرشيد ثم قال : زدنى .

فزاده الفضيل وعظا .

فقال الرشيد : أعليك دين ؟

قال الفضيل : دين لربى .

قال الرشيد : انما أعنى دين العباد (يريد سداذه عنه أو بر قوم يريد الفضيل برهم) .

قال الفضيل : ان ربي لم يأمرنى بهذا وانما أمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره .

قال الرشيد : هذه ألف دينار خذها لعيالك وتقو بها على عبادة ربك .

قال الفضيل : سبّحان لك - أنا أدلك على طريق النجاة وتكافئني بهذا ! أسلمك الله ورفض الدنانير (٨)

اشادة بعدل عمر بن عبد العزيز :

- قال محارب بن دثار يرثى عمر بن عبد العزيز وينوه عن عدله :
لو أعظم الموت خلقا أن يواقع له
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي
لعدله لم يصيبك الموت يا عمر
كادت تموت وأخرى منك تنتظر
على العدول التي تفتالها الحفـ (٩)
- وقال آخر :

أقول لما نعى الناعون لى عمرا لا يبعدن قوام العدل والدين
قد غادر القوم باللمح الذى لحدوا بدير سمعان قسطاس الموازين (١٠)
- وقال امبراطور الروم ليو الثالث لما بلغه وفاة عمر بن عبد العزيز
وقد كان خصما عنيدا للدولة الاسلام .

« مات والله ملك عادل ليس لعدله مثيل ، وليس ينبغي أن يعجب
الناس لراهب ترك الدنيا ليعبد الله فى صومته ، انما العجب لهذا الذى
صارت الدنيا تحت قدميه فزهده فيها » (١١) .

عمر بن عبد العزيز ادى واجبه نحو مصلحة الأمة :

- يقول : ولهوزن فى كتابه .

« لم يكن عمر بن عبد العزيز يعنى بنفسه قط وانما كان يعنى
بالصالح العام . . . ولقد جعلته تقواه يدير شئون الأمة ويسوسها على
وجه جعل كل عامل من عماله يؤدي ما فرض عليه الواجب نحو مصلحة
المجموع . . وكان عمر يقوم بما فرض عليه من التبعات الجسام والواجبات
الثقال باستقامة وأمانة فادرة المثال » (١٢) .

(٨) أحمد بن حنبل - امام أهل السنة - الاستاذ عبد الحليم الجندى - هامش

ص ٩٨ ٩٩ .

- (٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق الشريانى مرجع سابق ص ١٠٣ .
- (١٠) الطبرى - جزء ٦ - مرجع سابق ص ٥٧٢ نقلا عن ابن الاثير فقال كثير عزة .
- (١١) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز خالده محمد خالد ص ١٦٦ .
- (١٢) ورد ذلك فى كتاب عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب ص ١٦٢ .

نقلا عن كتاب The Arabkingdom and its Fall By de welhusen.

– و يترجم الشعر عن صنائعه للأمة فأنشد عمرو الشيباني لكثير
عزة فقال :

عمت صنائعه فعم هلاكه فالناس فيه كلهم مأجور
والناس ماتهم عليه واحد فى كل دار رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم توله خيرا لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه عليه حياته فكانها من نشرها منشور (١٣)

أغنى الله الناس على يد عمر بن عبد العزيز :

– قال رجل من ولده زيد بن الخطاب : فما مات عمر حتى كان الرجل
يأتينا بالمال العظيم .

فيقول : « اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء » .

فلا يجد فقيرا يتصدق عليه ! وما يبرح حتى يرجع بماله فقد أغنى
عمر بن عبد العزيز الناس (١٤) .

– قال يحيى بن سعيد : بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات
افريقية فجمعته – وطلبت فقراء أعطيها لهم فلم أجد فقيرا يقبل أن يأخذ
منى صدقة بيت المال ٠٠٠ فاشتريت بها رقابا واعتقتهم بعد أن جعلت
ولاءهم للمسلمين (١٥) .

– كتب عدى بن ارطاه الى عمر : انه قد أصاب الناس من الخير
خير ٠٠٠ حتى لقد خشيت أن يبطروا (١٦) .

تفرد عمر بن عبد العزيز :

يقول (براون) فى كتابه :

« ينفرد عمر بن عبد العزيز عن سائر خلفاء بني أمية بالورع
والإيمان ، فلم يكن مدفوعا فى إدارته للدولة بسوافح مالية ، ولكنه كان
يرغب فى نشر تعاليم الاسلام واحكامه ٠٠٠ وكان هذا المعنى مبسطا
على نفسه حبيبا الى قلبه ، ويعتبر هذا الخليفة استثناء لما كان عليه خلفاء

(١٢) عمر بن عبد العزيز – لابن كثير – تعليق الشرباصى – مرجع سابق ص ١٠٣ .
تقلا عن ابن عبد الحكم .
(١٤) ، ١٥ ، ١٦) وردت فى عمر بن عبد العزيز لسعد عبد السلام حبيب ص ٨١ ، ٨٢
تقلا عن ابن عبد الحكم .

بنى أمية من طمع واستئثار بالسلطة والنفوذ وبعد عن الطريق
القوم « (١٧) » .

ويكرر الشاعر عوف القوافي نفس المعنى فيقول :

أجبنى أبا حفص لقيت محسدا على حوضه مستبشرا وراآله
فأنت امرؤ كلتا يدك مفيدة شمالك خير من يمين سواكا (١٨) .

عصر العباسيين ينقصه مثل عمر بن عبد العزيز :

كان المهتدى بالله بن الواثق بعد أن صار خليفة من خلفاء بني
العباس يقول :

« انى استحي أن يكون فى بنى أمية عمر بن عبد العزيز ولا يكون
مثله فى بنى العباس » (١٩) .

فراصة صلق فى عمر بن عبد العزيز :

أخبر الليث بن سعد أنه قيل :

الفراصة فراصة العزيز فى يوسف النبى عليه السلام حين قال
« ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين »
(يوسف/ من ٥٤) .

وفراصة عمر بن الخطاب فى الهلالية حين قال لولده : تزوجها والله
ليوشكن أن تأتى بفارس يسود العرب فأتت بعمر بن عبد العزيز .

وفراصة سليمان بن عبد الملك فى عمر بن عبد العزيز حيث قال
والله لأعقدن عقدا ليس للشيطان فيه نصيب فعقد لعمر بن عبد العزيز (٢٠) .

ديمقراطية عهد عمر بن عبد العزيز :

ويقول آخر :

لم يكن عصره قد عرف النظم البرلمانية بعد . . . لكن ديمقراطية
الحاكم مع ذلك كانت تبين وتسفر كالشمس من خلال أسلوبه فى الحكم .

(١٧) المرجع السابق ص ١٦١ نقلا عن

Browne : A Litterary Hiatony of Teraia

(١٨) الطبرى ج ٦ - مرجع سابق ص ٥٦٦ .

(١٩) أحمد بن حنبل - للاستاذ عبد الحليم الجندى ص ٩٨٠ .

(٢٠) سيرة عمر بن عبد العزيز - لابن عبد الحكم - مرجع سابق ص ٢٠ .

وطريقته في اختيار ولاته وبطانته . واستعداده لتقبل النقد ، وسماع كلمة الحق ، ونظراته الى الامة التي يحكمها ومدى ولائه لحقوقها وحرياتها .
وبهذا المعيار والمسبار ، يقف عمر بن عبد العزيز في هذا المجال وكأنه نسيج وحده (٢١) .

عدل عمر بن عبد العزيز روض الوحوش :

روى موسى بن أعين الراعى - وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينه قال
« كانت الأسد والغنم والوحوش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز
في موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب .
فقلت : انا لله ، ما أرى الرجل الصالح الا قد هلك .
قال : فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة (٢٢) .
رحم الله عمر بن عبد العزيز ورضى عنه جزاء ما قدم للاسلام
والمسلمين .

ثم بعون الله

(٢١) معجزة الاسلام - عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - مرجع سابق
ص ١٤٠ .
(٢٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشي - تعليق أحمد الشرباصي - مرجع سابق
ص ٧٩ . وورد بهامشه أنه بصفحة ٧٠ من ابن الجوزي أكثر من رواية في هذا الشأن .

بعض المراجع

- القرآن الكريم •
- معجم ألفاظ القرآن الكريم — طبعة ثانية — إصدار الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر •
- صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله البخارى — صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- المنتخب من السنة — المجلد السادس — صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- السبك الجرار المتدفق على حدائق الأزهار — لشيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى — طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- تاريخ الطبرى — لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى — طبعة ثانية — دار المعارف بمصر •
- تاريخ العالم الإسلامى — دكتور إبراهيم العبدوى — مطبعة جامعة القاهرة — ١٩٨٦ •
- فتوح مصر وأخبارها — لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى — تقديم وتحقيق محمد صبيح — مؤسسة التعاون والنشر •
- محاضرات فى تاريخ العالم الإسلامى — دكتور محمد الطيب النجار — معهد الدراسات الإسلامية ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م •
- معاوية بن أبى سفيان فى الميزان — عباس محمود العقاد — طبعة دار الهلال •
- سيرة عمر بن عبد العزيز — جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن الجوزى — مطبعة المؤيد بالقاهرة •

- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه -
لأبي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم تصحيح وتعليق أحمد عبيد -
طبعة ثانية - اصدار مكتبة وهبة .
- عمر بن عبد العزيز - للامام ابن كثير القرشي - تقديم وتعليق أحمد
الشرباصي - الدار القومية للطباعة والنشر .
- عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام حبيب - دار الفكر العربي .
- معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز - خالد محمد خالد - طبعة ثالثة ..
دار المعارف .
- بطل الأبطال - عبد الرحمن عزام .
- من أخلاق النبي - دكتور أحمد محمد الحوفي - طبعة المجلس الأعلى
للمشئون الاسلامية .
- من قضايا العمل والمال - الشيخ أبو الوفا المراغي - سلسلة مجمع
البحوث الاسلامية .
- الحراج - للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم - المطبعة السلفية
ومكتبتها .
- الأموال - لأبي عبيد القاسم بن سلام - تحقيق وتعليق محمد خليل .
هراس - دار الفكر للطباعة والنشر .
- الاقتصاد السياسي الجزء الأول - د . احمد محمد ابراهيم - طبعة
ثالثة .
- مذكرات نظام الحكم والادارة - المستشار عمر الشريف - طبعة معهد
الدراسات الاسلامية .
- أبو حنيفة - عبد الحلیم الجندی - طبعة وزارة التربية والتعليم ..
١٩٧٠ .
- أحمد بن حنبل أمام أهل السنة - عبد الحلیم الجندی - اصدار
المجلس الأعلى للمشئون الاسلامية .
- الامام الشافعي - عبد الحلیم الجندی - اصدار المجلس الأعلى للمشئون
الاسلامية .
- خامس الخلفاء الراشدين - سلسلة مقالات - عبد الرحمن الشرقاوي -
نشرت بجريدة الأهرام .

- حقوق الانسان في صلة الفرد بالجماعة - د. محمد البهي - مقال
في مجلد مجمع البحوث الاسلامية - المؤتمر السادس .
- علاوة على المراجع التالية للمؤلف والتي أصدرتها الهيئة المصرية العامة
للكتاب .
- الموازنة العامة للدولة - طبعة ثالثة سنة ١٩٧٨ .
- النظم المالية في الاسلام - طبعة ثالثة سنة ١٩٨٦ .
- الاطار الاخلاقي لمالية المسلم - طبعة سنة ١٩٨٣ .
- السياسة المالية للرسول - طبعة سنة ١٩٨٠ .
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب - طبعة سنة ١٩٨٤ .
- السياسة المالية لعثمان بن عفان - طبعة سنة ١٩٨٦ .

الفهرس

صفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٧	الباب الأول : (السياسة المالية للدولة الاسلامية قبل عمر بن عبد العزيز
٩	الفصل الأول : (عموميات عن السياسة المالية للخلفاء الراشدين
١٧	الفصل الثاني : (مخالفات مالية فى عهد بن أمية قبل عمر بن عبد العزيز)
٣٩	الباب الثاني : (خلافة عمر بن عبد العزيز وسياسته المالية)
٤١	الفصل الأول (خلافة عمر بن عبد العزيز)
٥٧	الفصل الثاني : (أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز)
٦٧	الباب الثالث : (الاصلاح المالى للموازنة العامة للزكاة والموازنة العامة لخمس الغنائم)
٦٩	الفصل الأول : (الاصلاح المالى للموازنة العامة للزكاة)
٧٩	الفصل الثاني : (الاصلاح المالى لنفقات موازنة الزكاة الاصلاح المالى وموازنة خمس الغنائم)
٩١	الباب الرابع : (الاصلاح المالى لايرادات موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة)
٩٣	الفصل الأول : (الاصلاح المالى لايرادات الجزية)
١٠٣	الفصل الثاني : (الاصلاح المالى لخراج الأرض وعشور التجارة)
٢٤١	

الصفحة

١١٥	• • • (اصلاح الانفاق العالم ونماذج منه)
١١٧	• • • • (اصلاح الانفاق العام)
	الفصل الثانى : (نماذج من الانفاق العام فى عهد عمر
١٣٩	• • • • • (ابن عبد العزيز)
	الباب السادس : (اصلاح ادارة المالية العامة فى عهد
١٤٩	• • • • • (عمر بن عبد العزيز)
	الفصل الأول : (اصلاح سياسة عماله الدولة فى عهد
١٥٠	• • • • • (عمر بن عبد العزيز)
	الفصل الثانى : (المبادئ أساس اصلاح ادارة المالية
١٦٩	• • • • • العامة فى عهد عمر بن عبد العزيز)
	الباب السابع : (اصلاح نظام العطاء وتطبيق سياسته لرد
١٧٧	• • • • • المظالم فى عهد عمر بن عبد العزيز)
١٧٩	• • • • • (اصلاح نظام العطاء)
	الفصل الأول : (تطبيق سياسة رد المظالم فى عهد عمر
١٩٧	• • • • • (ابن عبد العزيز)
	الباب الثامن : (انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز
٢١٧	• • • • • بعد وفاته وشهادات له ولسياسته)
	الفصل الأول : (وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس
٢١٩	• • • • • سياسته المالية)
	الفصل الثانى : (شهادات بتقييم عمر بن عبد العزيز
٢٢٩	• • • • • وسياسته)
٢٣٧	• • • • • بعض المراجع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٣٦٧٣

٢ - ١٧٧٢ - ٠١ - ٩٧٧ - ISBN

هذا الكتاب تجميع أقوال وأعمال عمر بن العزيز بعد تصنيفها
ووضعها في سياسات عامة فرعية منبثقة من سياسته المالية لتكون
هاديا ومرشدا لمن ينقلونها

وأفرغت ماورد بالكتاب في القوالب الفنية للمالية العامة الحالية
تحديثا للتراث وتحقيقا لسهولة الاقتباس منه والانتفاع به كما دعمت
وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم
كلما لزم الأمر بإعتبارهما من مصادر المالية العامة الإسلامية .

ولما كانت سلوكيات عمر بن عبد العزيز وسياساته محل تنويه
رؤساء الدول والحكام والأئمة والكتّاب والشعراء على مر العصور ،
فقد ختمت الكتاب بشهادات صديقي صدرت منهم وبذلك يكون
لدى القارئ نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة
إسلامية اعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .